من تراث أعلام الدعوة السلفية بمصر

المقالات السلفية

لفضيلة الشيخ

عبد الظاهر أبو السمح

إمام وخطيب الحرم المكي الشريف
(ومؤسس دار الحديث الخيرية بمكة)

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

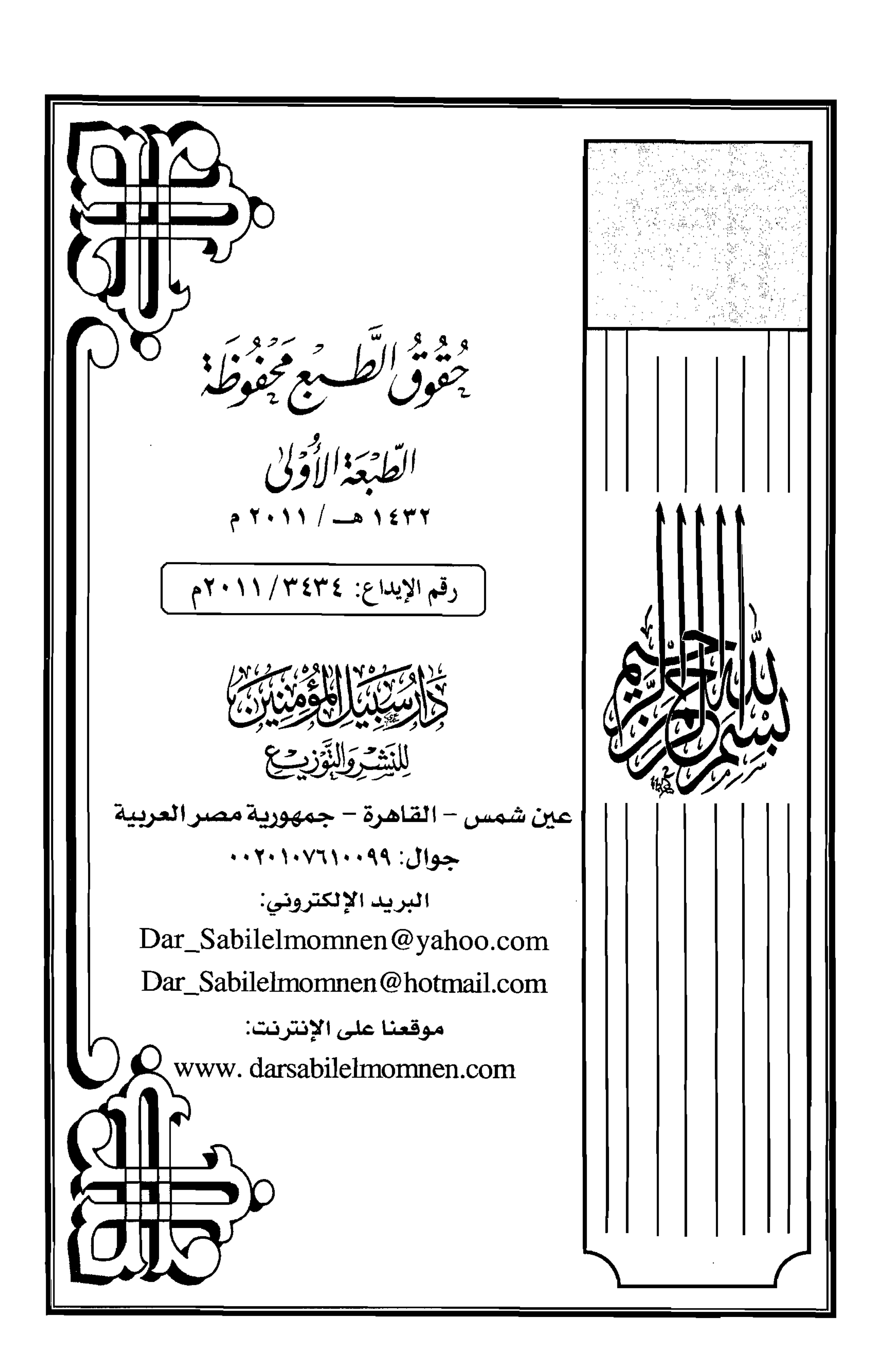




المقالات السلفية

لفضيلة الشيخ

عبد الظاهر أبو السمح



الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

رقم الإيداع: ٢٠١١/٣٤٣٤م

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩
البريد الإلكتروني:
Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com
موقعنا على الإنترنت:
www. darsabilelmomnen.com



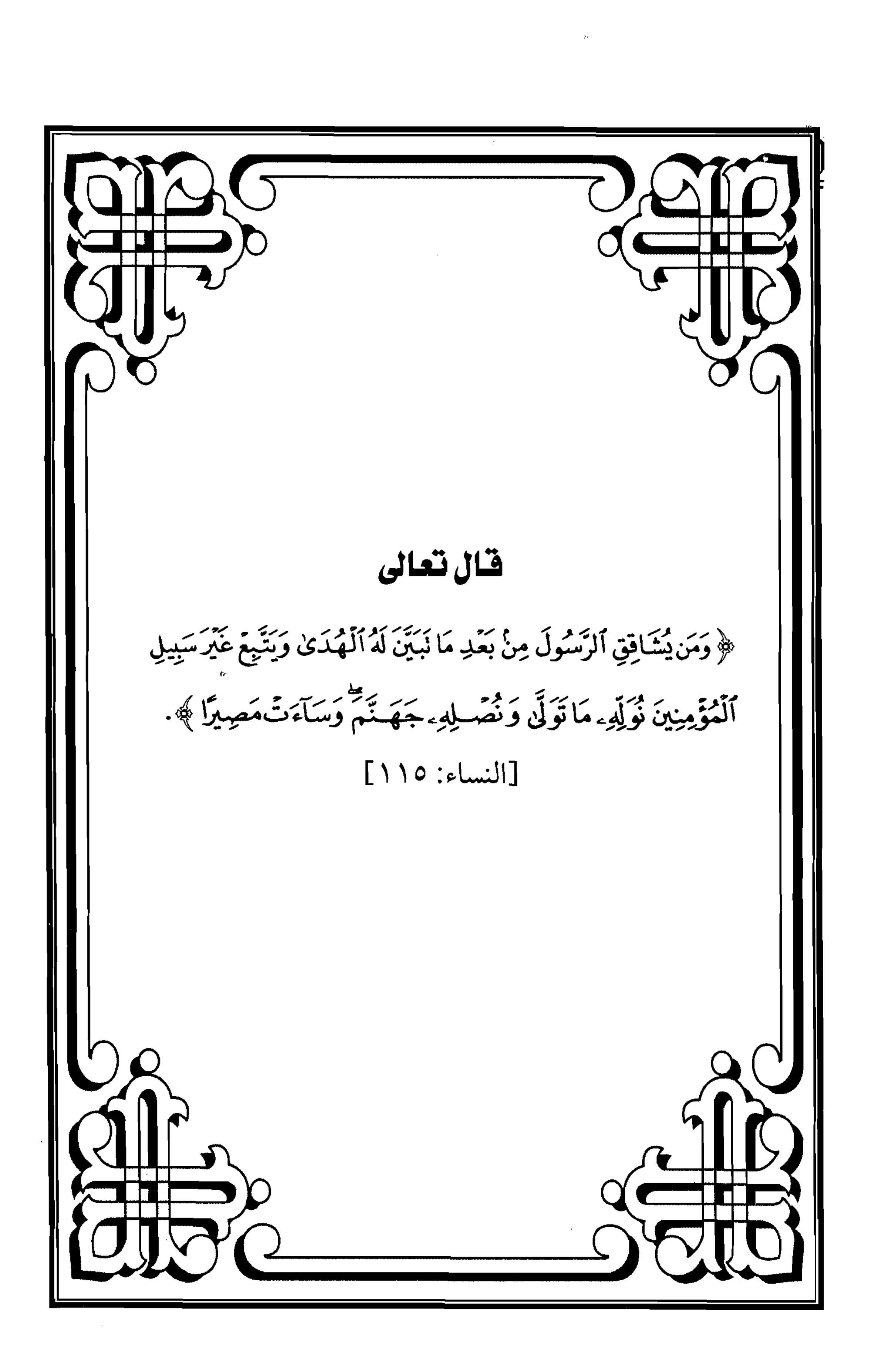
من تراث أعلام الدعوة السلفية بمصر

المقالات السلفية

لفضيلة الشيخ

عبد الظاهر أبو السمح

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع



قال تعالى

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾.

[النساء: ١١٥]

ترجمة الشيخ عبد الظاهر أبي السمح

عبد الظاهر بن محمد نور الدين أبو السمح، العالم الأزهري، أحد كبار أئمة الدعوة إلى السنة في مصر، والإمام والمدرس بالحرم المكي، ولد رحمه الله ببلدة (تلين) بمصر، في عام ١٣٠٠هـ، أتم حفظ القرآن على يد والده في التاسعة من عمره، ثم التحق بالأزهر فقرأ الروايات السبع، وزادت همته في حفظ السنة، واهتم بالتفسير والفقه واللغة وغيرها، وبعد سنين من طلبه للعلم اتصل بعلامة شنقيط العالم محمد أمين الشنقيطي رحمه الله فلامس الحق قلبه، فاستنار به إلى العقيدة السلفية، فعكف على دراسة كتب ابن تيمية وابن القيم وغيرهما فسلك سبيل الحق وتابع الدليل، وساعده في ذلك طلبه للقرآن والسنة، ونفسه المتجردة للحق.

وقد عمل بمدرسة بالسويس، ثم عاد للقاهرة وطلب العلم بمدرسة دار الدعوة، ثم عين مدرسًا بالإسكندرية فقام يدعو إلى توحيد الله، وكانت دعوته سببًا في رفع الجهل عن كثير من الناس، وكان المؤسس لجماعة أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية وممن استنار بدعوته العالم الأزهري المُحَدِث محمد عبد الرزاق حمزة.

وبعد هذا الجهد الكبير، عرفته الدنيا كعالم ناصح، فطلبه الملك عبد العزيز رحمه الله ليكون إمامًا للحرم المكي، ومدرسًا به وبدار الحديث بمكة المكرمة وكان ذلك في عام ١٣٤٥هـ فأجاب الدعوة، وكان سنده وعضيده بعد الله تلميذه وصاحبه وصهره الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، فقاما بالدعوة في الحجاز خير قيام بنشر الحق تدريسًا ومناصحة وتأليفًا، وقد ألف الشيخ عبد الظاهر عددًا من الرسائل منها: «الرسالة المكية في الرد على

الرسالة الرملية» و«حياة القلوب بدعاء علام الغيوب» و«الأولياء والكرامات».

وما زال على هذه الحال حتى توفاه الله بمصر عام ١٣٧٠هـ، غفر الله له ورحمه.

انظر ترجمته في «الأعلام» (٤/ ١١)، و«سير وتراجم» (٢٥٧) لعمر عبد الجبار و«المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر» (٢/ ٣٧١).

* * *

مقالات الشيخ عبد الظاهر أبي السمح

تفسير القرآن الحكيم[1]

للأستاذ المفاضل العلامة السيد محمد رشيد رضا

أنزل الله تعالى كتابه المبين وحث على تدبره فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال عز من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وأمر تعالى باتباعه فقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

ولا ريب أن الاتباع لا يكون إلا بعد التدبر والتفقه في المعاني، ومعرفة ما يريد المتكلم جل وعلا. وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم ويتدبرونه ويعملون به؛ أفرادًا وحكومات، يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويستنبطون منه كل ما يحتاجون إليه من أحكام في شيءونهم الخاصة والعامة في حالتي اليسر والعسر والسلم والحرب، متقيدين بما وردت السنة مخصصة لعامة ومبينة لما أجمل فيه، وفيما عدا ذلك كان بابه واسعًا لمن أراد أن يفهم ويعمل.

فخلف من بعدهم خلف جمدت قرائحهم وسفهوا أنفسهم فلم يتدبروه، وإن قرأوه قرأوه ألفاظًا على سبيل التبرك. والبركة ليست إلا في تدبره واتباعه، وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل تسفلوا حتى صاروا إلى دركة يحرمون قراءته تدبرًا بل يكفرون من يتدبره ويدعو الناس إلى تدبره والعمل به.

(١) مجلة الإصلاح – العدد الثالث عشر- ١/ ٩/ ١٣٤٧هـ.

والقرآن أنزل لهداية الناس جميعًا إلى قيام الساعة؛ لأنه أنزل على خاتم النبيين وقال الله فيه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وإذا كان القرآن كذلك ولا كتاب بعده، ولا نبي يأتي بعد الذي أنزل عليه، وكان معلومًا أن الأزمنة والأمكنة تختلف والحوادث دائمًا في تجدد مطرد، لم يعقل أن يترك الله الناس سدي من غير أن يبعث إليهم كل حين من يجدد لهم أمر دينهم كما في الحديث. ويرفع لهم راية السلف الصالح، ويضرب لهم الأمثال العلمية والعملية، ويريهم كيف يكون فهم القرآن، وكيف كان هو صالحًا لكل زمان ومكان، وأنه ما من جيل أو أمة أو فرد إلا وفي القرآن الحكيم نبؤه وحكمه وما له وما عليه، وما يلزمه في مرضه وصحته، وقوته وضعفه، وعسره ويسره، وحضره وسفره، وحياته وموته، ودنياه وآخرته.

ولقد كان تفسير أستاذنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار حفظه الله وأمد في أجله من أحسن التفاسير التي يحتاج إليها أهل هذا العصر في بيان الأحكام المناسبة؛ ذلك لأنه راعى في ذلك طريقة القرآن نفسه في الوعظ والتذكير، غير معرج على ما يلهي الناس من الاصطلاحات ما ينفر طائر التفكير.

وكم قد أهاب بالأمم الإسلامية وحثهم على الرجوع إلى كتابهم وتدبره والعمل به، وكشف لهم اللثام عن مخدرات معانيه، وأراهم أنفسهم في مرآة وصفه، وكم بكى عليهم وأبكى، وحذر وأنذر، ووعظ وذكر.

هذا بعض ما يقال في تفسير السيد وعلمه.

والله أسأل أن يعفو عنا وعنه، وأن يبارك لنا ولجميع المسلمين فيه، ويؤيده ويسدده ويكبت أعداءه للدين وحساده.. والسلام.

الدعوة إلى الله تعالى(١)

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الدعوة إلى الله تعالى أشرف الأعمال وأزكى الخصال، وكفى بها فضلًا أنها وظيفة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ووظيفة الذين أورثهم الله علمهم واتباع سنتهم.

ومن أجل الدعوة إلى الله أنزلت الكتب وبعثت الرسل وكتب الجهاد وخلقت الجنة والنار وكان الموت والحياة، والدنيا والآخرة، والأرض والسموات.

لم يكن الله تعالى ليخفى على ذوي البصائر والعقول حتى يحتاج الناس إلى من يعرفهم به، ولا ليقيم الدليل على وجوده لولا ذلك الشيطان الرجيم الذي اجتالهم عن فطرتهم ولولا تلك الشهوات التي ركبت فيهم فحجبت بصائرهم ورانت على قلوبهم، وما كان لعبيد أذلاء فقراء أن يعصوا سيدهم ومليكهم ويتمردوا على أوامره وكتبه، وهو يحسن إليهم وينعم عليهم لولا الأمل الكاذب والجهل المركب والاغترار بالدنيا وزينتها وظنهم الخاطئ أن لن يبعث الله أحدًا.

(١) مجلة الإصلاح - العدد الأول- ١٥/ ٢/ ١٣٤٧هـ.

ففطرة الله التي فطر الناس عليها هي معرفة ربهم والإذعان له جل شأنه بالعبودية.

ولكن لما كانت هذه الصوارف التي قدمنا ذكرها من أعظم ما يحول بين المرء وسعادته ويصرفه عن التفكير في عاقبة أمره اقتضت الحكمة الإلهية أن يرسل الله لعباده رسلًا منهم يبصرونهم بها ويحذرونهم منها ويخوفونهم عاقبة الركون إليها ويدعونهم إلى ربهم الذي تشهد بوجوده وربوبيته فطرهم ووجداناتهم فضلًا عن آياته الكونية الماثلة لأعينهم والتي تغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم وتملأ أسماعهم وأبصارهم، ما بين مضيئة مشرقة، ومظلمة دامسة، وجامدة شامخة، ومتحركة متلاطمة، تملأ القلب روعة وجلالًا والعين بهجة وجمالًا.

بعث الله رسله إلى عباده يدعونهم إليه، ويذكرونهم بنعمه لديه، وإحسانه إليهم. مبينين لهم عن ربهم ما يحتاجون إليه في سعادتهم الدنيوية والآخروية.

قائلين لهم: اعبدوا الله وحده لا إله إلا هو ولا يستحق العبادة سواه، ضاربين لهم الأمثال، مالئين أسماعهم بالمواعظ، مجلين لهم العبر في أجلى مظاهرها، مطلعين عليهم شمس الحجج في رابعة نهارها ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

الدعاة قسمان: قسم يدعو إلى الرحمن وقسم يدعو إلى الشيطان:

فدعاة الرحمن هم أنبياء الله ورسله وأولياؤه الصالحون.

والدعاة إلى الشيطان هم الجهلة الضالون الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.

ينبغي أن نزيدك بيانًا وننعت لك كل قسم حتى كأنك تراه؛ لعل الله أن ينير بصيرتك ويجعلك من الداعين والمرشدين إلى سبيله:

الدعاة إلى الله قوم عرفوا أنفسهم أنهم عبيد لربهم فآمنوا به وأحبوه وعظموه، وعرفوا أنه هو المستحق للعبادة، ورأوا كثيرًا من إخوانهم في الإنسانية غارقًا في بحر الهوى والضلال يخضع لغير الله ويذل لسواه، فخلعوا ثياب رفاهيتهم عنهم وألقوا بأنفسهم في تلك الأمواج المتلاطمة لينتشلوا أولئك الغرقى وقد مدوا إليهم حبل النجاة، فمنهم من اعتصم به فنجا ومنهم من أبى فكان من الهالكين.

جاءوا إلى عبدة القبور حيث يذبحون عندها ويدعون أصحابها وينذرون لهم ويهتفون باسمهم في الشدة والرخاء فقالوا لهم: مهلًا مهلًا: كيف تدعون من لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنكم شيئًا؟ أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقوله جل جلاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وهذا تهكم بالداعين غير الله تعالى وقد نهى تعالى عن دعاء غيره فقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ثم إن ذبحكم ونذركم لأصحاب القبور عبادة أيضًا لا تنبغي إلا لله الذي خلقكم ورزقكم، فهو سبحانه أحق بأن يكون هذا كله لوجهه تعالى، يا قوم إن الله الذي خلقكم ورزقكم هو المستحق لعبادتكم فادعوه وحده وتوكلوا عليه وحده، وخافوه ولا تخافوا غيره، الله هو الذي يجيب دعاء المضطر منكم إذا دعاه ويكشف السوء ويقضي لكم جميع حاجاتكم؛ لأنه حي يسمع ويبصر ويعلم وهو على كل شيء قدير.

أما الذين تدعونهم فليسوا بأحياء ولا يسمعون ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

يا قومنا أرأيتم لو كان لأحدكم عبد أو خادم وكلفه أن يعمل في حديقته أو مزرعته وتكفل له بطعامه وكسوته وكل ما يحتاجه في معاشه، ووعده أجرًا جزيلًا إن هو أحسن الخدمة ونصح لسيده في المهنة، ثم ذهب هذا الخادم يعمل في مزرعة عدو سيده وهو لم يزل في نعمة السيد متقلبًا وفي كنف إحسانه مقيمًا ماذا تحكمون على ذلك الخادم؟ وماذا يستحق عندكم من العقاب؟.

لا شك أنكم تقولون إنه يستحق التأديب والتعذيب.

فهذا مثل المشرك كلفه الله تعالى بعبادته وتكفل له برزقه فذهب يعبد الشيطان ويطيعه ويعصى ربه ويكفر نعمته ويجحد إحسانه.

هكذا بمثله يدعو الدعاة إلى الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

الدعوة إلى الله سبيل الفلاح ومفتاح النجاح، وباب العز وأصل الاستقلال والحرية، وأشرف ما تنفق فيه النفوس والأموال ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فمن أقام هذه الدعوة وبذل فيها نفسه وماله عاش عزيزًا ومات شريفًا ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. فاستمدوها أيها المسلمون من ربكم وادعوا إليه من تنكب عن سبيل الاستقامة.

إن المسلمين لما تركوا الدعوة إلى الله وانصرفوا إلى شهواتهم مكن الله منهم عدوهم فأذلهم واستباح أموالهم وأعراضهم وسامهم كما تسام البهائم العجماوات؛ وذلك جزاء من تشبه بالبهائم في اتباع الشهوات، وعصى رب الأرض والسموات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: ٢٠].

ولا عجب أن يسلط الله تعالى على المسلمين من يذلهم ويستعبدهم لما تركوا الدعوة إلى الله والعمل الصالح، فقد سلط الكفار المشركين على من كانوا أبر منهم قلوبًا وأفضل إيمانًا وأعظم شجاعة وهم مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فأوقعوا فيهم القتل والذبح، حتى بقروا بطن حمزة عم رسول الله ﷺ؛ وما ذلك إلا لأنهم خالفوا أمرًا واحدًا من أوامر رسول الله ﷺ حيث قال لهم: «**لا تبرحوا أماكنكم غلبنا أم غُلبنا**»[1] فغلبوا المشركين أولًا ثم تركوا أماكنهم يجمعون الغنائم، فلما فعلوا ذلك انقلب عليهم المشركون ثانية وكان ما كان، فكيف بمن خالفوا الدين كله أصولًا وفروعًا وفعلوا جميع المنهيات وعصوا جميع الأوامر حتى ما كان منها متعلقًا بنظام الدنيا والسيادة فيها؟!.

وإن من أعظم المصائب، وأشد الكوارث نسيان الغياث الحق عند حلول الخطوب وفجاءة النقم، وأذل من الذل أن تطلب الحرية ممن عزه في إذلالك، وسعادته في إشقائك.

إن المسلمين لا يحيون حياة طيبة، ولا ينالون العزة والسيادة إلا بأن يدعوا أنفسهم أولًا إلى الله، فإذا أفردوه بالإلهية وأبوا أن يكونوا لغيره عبيدًا، وتواصوا على ذلك وصبروا عليه لم يلبثوا عشية أو ضحاها حتى يحيا منهم من حي عزيزًا، ويموت منهم من يموت شهيدًا شريفًا إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٧٧.

الدعوة إلى الله تعالى(١)

كيف تكون وعلى أيِّ أساس تقوم؟

[٢]

إن الدعوة إلى الله من أسهل الأمور وأشقها على النفوس، فلذا ينبغي أن نبين كيف تكون.

ووجه المشقة فيها ما يلاقيه الداعي من أذى المدعوين، واستهدافه لتقولاتهم ومعاداتهم واحتياجه إلى معرفة طبائع النفوس وما يليق بها، والطرق الحكيمة التي يسلكها لبلوغ غايته وجذب الناس إلى دعوته، وإنقاذهم من مصايد الشيطان، وشفائهم من أمراض الشهوات وعلل الشبهات، واستعمال الرفق في موضعه والبرهان عند أهله.

وأما وجه السهولة فيها فلأنها تتضمن ذكر الله تعالى، وبذكره تطمئن القلوب، وموعود عليها بالنصر في غير ما آية من كلام الله تعالى وغير ما حديث من سنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، الآية ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] الآية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧] الآية - ولأن الداعي لله تعالى يجد من الآيات والأدلة والبراهين على صحة الدعوى ما لم يجده داع لغير الله ﷻ.

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ولأن الفطر مستقر فيها معرفة الله تعالى بآياته ونعمه.

أما كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى فإنك تجده في القرآن الحكيم

(١) مجلة الإصلاح - العدد الثالث - ٣٠/ ٣/ ١٣٤٧هـ.

وسيرة النبي على أفضل الصلاة وأتم التسليم، تجده في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٣- ٣٥] ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٩٩- ٢٠٠]، وفي آية ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦].

وفي قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾ [النمل: ٦٩] الآية ﴿ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ... إلخ.

هذا تعليم الله لرسوله في موضع الرفق والملاينة.

وقوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢] في موضع المخاشنة والوعيد والتهديد.

ولا ريب أن من الناس من ينقاد بالرفق ويسترقه اللين ويعطفه العتاب، ومنهم من قست قلوبهم وغلظت طباعهم فلا يؤثر فيهم إلا الكلام الشديد كالتهديد والوعيد، أو لمعان الحديد وقطع الوريد، على أن الداعي إلى الله لا يمتشق حسامًا، ولا يكره إنسانًا، بل يحبب الله إلى عباده ويعرفهم به

ويقودهم بالحسنى إليه، وإنما يضطر إلى امتشاق الحسام وإشراع الرمح والسنان إذا صودر في دعوته واعتدي على دينه ووقفت شياطين الإنس تحول بينه وبين هداية عباد الله إلى الله، وإقامة ما أمر الله به من العدل والإحسان وإزالة ما نهى عنه من الظلم والعدوان وعبادة الأوثان؛ مما يجعل الإنسان الذي كرمه الله أخس أنواع الحيوان.

ولقد لبث رسول الله ﷺ في مكة بين قومه ثلاث عشرة سنة يدعوهم باللين والرفق وهم يؤذونه ويؤذون أصحابه بما قدروا عليه حتى هاجروا غير مرة، ولم يكف المشركين ذلك حتى بيتوا قتل النبي ﷺ آخر الأمر، ولولا أن الله أمره بالهجرة منها لبقي صابرًا محتسبًا.

فالدعوة إلى الله تكون بالرفق واللين ومقابلة السيئة بالحسنة، والإعراض عن الجاهلين وتحمل أذاهم بالصبر الجميل والدعاء لهم بالهداية إلى أقوم سبيل ولولا أن الرفق واللين في الدعوة من أسباب نجاحها وأنهما من الحكمة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] لما أمر موسى عليه السلام أن يقول لفرعون حين أمره بالتوجه إليه ودعوته إلى الله ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

فالقول باللين يشرح الصدر، ويفسح للنفس مجالًا للتفكر، ويرغبها في القبول.

وأما الشدة فهي مدعاة للتنفير والإعراض عن الداعي، وسبب في صرفه عن الدعوة والاشتغال بما أثار من شر كان كامنًا وفتنة كانت نائمة، ومضاعفة مرض كان على وشك الشفاء لو صادف طبيبًا ماهرًا وسائسًا حكيمًا.

فينبغي للداعي إلى الله أن يكون أوسع حلمًا ممن يدعوه، وأصبر على أذى يلاقيه، وأن يكون سخيًا في الحق، موطنًا نفسه على الشهادة في سبيل الله،

بادئًا من يدعوهم بما هو الأهم، ويجب أن يكون عاملًا بما يدعو إليه وإلا كان عمله المخالف لقوله حجة عليه ومناقضًا لما يدعو إليه.

إن الدعوة إلى الله لا تقوم إلا على أساس التوحيد وإخلاص الداعي لله، فأما إذا كان غير مخلص لم يثمر عمله، وإن أثمر في الدنيا لم يكن له عليه ثواب في الآخرة.

*   *   *



الدعوة إلى الله(١)

[٣]

الدعوة إلى الله تستلزم جهادًا، وصبرًا من الداعي، وحلمًا ورفقًا بالمدعو.

وهذه أركان الدعوة، فإذا جاهد ولم يصبر لم يُنصر، وإن صبر ولم يكن حليمًا رفيقًا بالناس لم يظفر بالنجاح، وربما كان ضرره أكثر من نفعه، وتنفيره أكثر من تأليفه، وإفساده أكبر من إصلاحه.

ويشترط في الداعي إلى الله أن يكون على بصيرة مما يدعو إليه عاملًا به، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومن قوله عز من قائل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله تعالى في قصة شعيب حاكيًا عنه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقوله عز وجل لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] أي: أول المنقادين المطيعين لما أدعوكم إليه.

فأما إذا كان الداعي على غير بصيرة فيما يدعو إليه فقد ضل وأضل. وكذلك إذا خالف إلى ما ينهى عنه أي تخلف عن رُفقة المطيعين وخالفهم ما نهاهم عنه.

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد الخامس- ١/ ٥/ ١٣٤٧هـ.

فالقائل قولًا لا تصدقه فعاله مخذول مرذول ممقوت عند الله وعند الناس، معدود في زمرة المنافقين المرائين، ومن الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وإنك لتجد كثيرًا من الناس كذلك وكما قال الشاعر:

إذا ندبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل

وقال تعالى في المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] الآيات.

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

ومعنى ذلك والله أعلم أن قوله مخالف لما في قلبه، وأنه إذا تكلم في الدنيا أي في وصفها وشأنها أعجبك كلامه لوصفه إياها بما يطابق الحقيقة من فنائها وعدم بقائها وأنها كعجوز شمطاء تزينت للناس بمتاعها وزخرفتها، وبدت لهم في ثياب الفتيات تغرهم بالآمال وتخدعهم بمزيف الجمال، وهو ألد الخصام أي شديد الخصومة في الباطل إن عرض له منها عارض أو بدت له فيها أية منفعة، فتراه مثلًا يؤول الآيات لأجل حطامها، ويضعف الأحاديث طمعًا في وصلها، ويحل الشيء عامًا ويحرمه عامًا، وإن وصف لك المتقين خلته منهم، وإن ذم لك المنافقين حسبته من أشد الناس عداوة لهم، ولكنك إذا بلوت أخباره، ورأيت فعاله، عجبت من أحواله، ومخالفة أفعاله لأقواله. فمثل هذا لا يصلح للدعوة إلى الله ولا يكون من أهلها. ولكنه إذا وجد في هذا الزمان يعد من أئمة الإصلاح ويعطى أضخم ألقاب العلم والفضل، وأشرف أسماء السيادة والنبل والذكاء والعقل!!

حق على علماء المسلمين في كل بلد وقطر أو يقوموا متضافرين

متناصحين داعين إلى الله، ناعين على أهل البدع الشركية بدعهم، مقيمين عليهم الحجة، رافعين لهم لواء السنة، فإنهم متى رأوا ذلك اللواء في يد ثقاة الأمة انضووا إليه ولحقوا به وكانوا تحت ظله فكانوا من المصلحين.

فليستعذ العلماء العارفون بالتوحيد من الجبن وحب الدنيا والحرص عليها ويقيموا على قدم وساق بادئين بما هو الأهم كما في حديث معاذ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات**» الحديث(١).

فواجب على العلماء العارفين معنى الشهادتين أن يدعوا الناس إليهما حتى يحققوا العمل بهما إيمانًا بالله ورسوله وكفرًا بالطواغيت، واجب على العلماء أن يعملوا أمام العوام بما يعلمون ليكونوا لهم خير قدوة يفهمون بها الكتاب والسنة فهمًا عمليًّا، كما كان النبي ﷺ يعلم الناس بالعمل. والأحاديث الدالة على ذلك في الصحيحين وغيرهما، وكأن علماء التربية في هذا العصر وقفوا على كيفية تعليم الرسول ﷺ فاقتدوا به وأصبحوا لا يدخل مدرس المادة من العلم إلا أخذ معه عدة تمثيلية وتصويرية، إن لم يمكنه عمل الشيء بنفسه أو إيجاده تحت حواس المتعلمين، كما في تعليم الكيمياء والطبيعة وغيرهما من العلوم.

وبعدُ، فمتى يعود المسلمون إلى دينهم ويعملون بكتاب ربهم وسنة نبيهم.

ليعود إليهم عزهم وسيادتهم وملكهم؟

سؤال يخالج كل ذي ضمير حي وعقل سليم.

والجواب عليه: إذا وجد دعاة يدعونهم إلى الله بالرفق، ويبينون لهم

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٥٨، ٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

خطأهم في العقائد ويبصرونهم بالعواقب ويضربون لهم الأمثال، ويتلون عليهم قصص الأمم الغابرة في القرآن، ويخطبون في المساجد والمجتمعات، وأنى لنا بأولئك الدعاة الذين توفرت فيهم شروط الدعوة وأنابوا إلى الله وأخلصوا له؟

أقول – والحزن ملء فؤادي -: إنهم قليلون، بل هو أقل من القليل.

نسأل الله أن يكثرهم في المسلمين، وأن يلهم الأغنياء والملوك والأمراء البذل في هذا السبيل وإعداد طائفة من الدعاة والمرشدين.

كما أسأله أن يوفقهم للأخذ بأحكام الشريعة الغراء ويقيموا الحدود فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. والسلام.

* * *

الدعوة إلى الله تعالى(١)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال تعالى عن لقمان وابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم(٢) «**وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر صدقة**»، وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي(٣)، «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرًا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم**» أي بني إسرائيل المذكورين أول الحديث.

وفي الصحيح لمسلم وسنن النسائي(٤) وغيرهما عن النبي ﷺ: «**إن الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين**

---

(١) مجلة الإصلاح – العددان السابع والثامن - ١٥/ ٦/ ١٣٤٧هـ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٢٠، ١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٢١٦٩) من حديث ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥)، والنسائي (٤٢٠٨)، وأبو داود (٤٩٤٤) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

وعامتهم». والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة.

والمقصود بالمعروف هنا المعروف من الشرع، وبالمنكر ما ينكره الشرع، وإلا فقد يكون للناس عادات قبيحة وبدع سيئة هي المعروف عندهم، حتى لو أنكرها عليهم عالم بالشرع لكفروه.

مثال ذلك: دعاء العوام وأشباه العوام أصحاب القبور، ونذرهم لها وطوافهم حولها زاعمين أن ذلك توسل إلى الله تعالى، وهو شرك محض، فمن أنكر عليهم قالوا إنه ينكر الكرامات ويبغض الأولياء وتقولوا عليه أكثر من ذلك.

وقد أضاع المسلمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تغلب أولوا الأهواء والشهوات المفسدون في الأرض، ورفعوا عقيرتهم بالدعوة إلى شهواتهم الشيطانية بدعوى المدنية والتجديد، فسموا تبرج النساء حرية وزينة وجمالًا، والحياء والحشمة والقرار في بيوتهن حبسًا وتأخرًا، والقائم بذلك من الرجال على نسائه متوحشًا ومستبدًا وجاهلًا، إلى غير ذلك من الألقاب.

وما دعوا إلى شهواتهم هذه الدعوة الخبيثة إلا في نومة أهل الحق واستكانتهم وغفلتهم عنه.

ومن الناس من يقوم بالأمر بالمعروف، فإذا أوذى في الله ترك وجعل فتنة الناس كعذاب الله.

ومنهم من يأمر بالشدة فينفر الناس من الدين ويكون ضرره أكثر من نفعه.

ومنهم من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر وهو يأتيه، كما رأيت ذلك في بعض البلاد؛ فترى أحدهم مثلًا ينهي عن المسكرات وهو شيخ الحشاشين ونديم السكارى.

وإنما يجب أن يكون المتصدر للأمر بالمعروف عالمًا بما يأمر عالمًا بما ينهي، عاملًا بما يأمر به تاركًا لما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر رفيقًا فيما ينهى، متحملًا لكل ما يقع عليه من الأذى صابرًا محتسبًا.

ولا يشترط في الآمر أن يكون عالمًا بكل مسألة في الدين ولا بكل علم من العلوم.

نعم ينبغي أن تؤلف هيئات من أهل العلم العاملين الغيورين على الدين والفضيلة ويجولون في كل مجتمع وفي كل مسجد بالوعد والخطابة بالقرآن والسنة.

وعلى العلماء أن ينكروا كل محرم شرعًا، وأن يبيعوا أنفسهم في هذا السبيل بيع سماح، وإلا فليدعوا هذا اللقب الشريف (العلماء) لغيرهم، وليعلموا أنهم لن يحترموا به إذا لم يحققوا معناه في أنفسهم، وتشهد له آثاره فيهم؛ من الغيرة وعزة النفس والزهد في الدنيا.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما[1]

على أهل العلم أن يعلموا أنهم عبيد الله وأنهم ما خلقوا إلا لعبادته والغيرة على دينه وإعزاز كلمته، فإذا علموا ذلك وباعوا نفوسهم في هذا السبيل عزوا في هذه الحياة وكانوا يوم القيامة من الفائزين.

ليس كل من لبس عمامة وجبة صار عالمًا، إنما العلماء هم الذين يخشون الله ويخافونه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

ليس من العلماء من يشكك في الدين وينكر ما صح من أحاديث سيد المرسلين، كأحاديث سؤال القبر ولا من ينكر شيئًا معلومًا من الدين

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٧١ من قول علي بن عبد العزيز الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بالضرورة، كالاسترقاق المشروع، أو حقيقة الشياطين، أو نحو ذلك، فأمثال هؤلاء يستحقون التأديب أو دخول مستشفى المجاذيب ويسأل لهم الشفاء، لا أن يتربعوا على كراسي التدريس وتجري عليهم مرتبات من أوقاف المسلمين.

ينبغي أن يكون في كل بلد إسلامي هيئة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا تعول على الأغنياء والأمراء، ولا تخاف الأذى من الناس أو المخلوقات المستهترة بأمر الدين أو المعادية له، فإن يد الله على الجماعة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

إن الذي يرى المنكر ويسكت عليه ولا ينكره إنما هو شيطان أخرس، بل هو شريك الفاعل، وقد بين الحديث الذي رواه مسلم[1] عن النبي ﷺ أن إنكار المنكر على ثلاث درجات: أعلاها الإنكار باليد، وأوسطها الإنكار باللسان، وأدناها بالقلب، وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من إيمان. قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

ولولا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضاد النفوس الشريرة، وأن الآمر يناله منها الأذى بكل ما تقدر عليه ما عقبت وصية لقمان لابنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقد لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله وعدم تناهيهم عن منكر يفعلونه، وقيل لهم: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] ولا ريب أن تلك اللعنة وهذا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الذم ليس خاصًا بهم، بل هو لهم ولغيرهم من كل من يتحقق فيه وصفهم ويكون مثلهم فيما ذموا من أجله ولعنوا بسببه.

ونحن إذا حللنا نفسية علماء اليوم الساكتين على الشرك والزنا والخمر والربا وسب الدين وتبرج النساء وغير ذلك من الموبقات التي تخجل كل حر عاقل فضلًا عن متدين، لرأينا أن سبب ذلك شيئان: أحدهما؛ الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأمره وشرعه، والثاني؛ حبهم الدنيا وعدم إيمانهم بالآخرة.

فإذا سألتهم ما أسكتكم عن إنكار المنكر وأنتم مغمورون فيه، وهو واقع بين سمعكم وبصركم؟ أما لكم غيرة لله على دينه؟ ألستم الذين يقال لهم العلماء؟! اعتلوا بعلل واهية، واعتذروا بأعذار ساقطة، فمنهم من يقول: الحكومة هي التي في يدها القوة، وهي التي أباحت هذا المنكر ولا قدرة لنا بالوقوف في وجهها ومنعها. ومنهم من يقول: الأغنياء شحوا بأموالهم وأنفقوها على شهواتهم وهذا الأمر لا يقوم إلا بالمال، ومنهم من يقول غير ذلك على هذا النحو. والحقيقة كما أخبرتك آنفًا.

ولا عذر لأحد بالسكوت اتكالًا على فرد واحد ينكر في أمة كلها أو جلها مخالف أمر الله مستحق لعقوبته.

وإنما فرض الكفاية الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين يقال عند اتساق الأمر وحصول الكفاية بذلك الفرد أو الأفراد فأما إذا لم يكف مائة ولا ألف فالواجب أن يقوم من تحصل به الكفاية وينقمع به المنكر وأهله.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

الدعوة إلى الله تعالى[١]

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

أيها الإنسان العاقل، بربك أخبرني بعد أن تفكر وتنظر، ولو قليلًا، في ملكوت السموات والأرض، أناشدك الله الذي خلق السموات والأرض والذي تؤمن بوجوده، لا أخاطب غيرك ممن يجحده جل وعلا، أليس قد خلق الشمس والقمر وسخر ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه لخدمتك ومنفعتك؟ فالشمس تضيء لك بالنهار فتبصر السبل وتميز بين الأشياء، وهي في الوقت نفسه تنضج لك الفواكه وتصلح لك سائر النبات، وتدفع عنا جيوش البرد والرطوبة التي لو تركت لهجمت علينا وتركتنا حصيدًا خامدين. وانظر إلى القمر ومنافعه وتأثيره أيضًا والكواكب وإلى ذلك النظام البديع، ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨] الآية.

فإذا كان كل شيء في السموات والأرض مسخر لك أيها الإنسان ومخلوق لخدمتك ومنافعك فلماذا إذن أنت مخلوق؟ وما منفعتك؟ أترى مخلوقًا أفضل منك، وقد أخبر الله أنك مسخر له ومخلوق لطاعته؟

كلا بل أنت أيها الإنسان سيد المخلوقات، أنت الذي شرفك الله بعبادته والقرب منه، فجعل كل شيء يخدمك، وجعل كل شيء مطيعًا لك، وطلب منك أن تطيعه، وأعطاك اختيارًا وقدرة وإرادة وعقلًا تميز به، كي تكون حرًّا فيما تأتي وما تذر، وخصك بخطابه ومناجاته. أفليس من الخسة والدناءة أن تذهب بعد ذلك التكريم والتشريف تعبد غيره، وتطيع سواه، وتخضع لقانون

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد الحادي عشر – ١/ ٨/ ١٣٤٧هـ.

بشر مثلك، تقدسه وتحكم به على غيرك؟ بأي حق استحق هذا المخلوق خضوعك له والنزول على حكمه من دون الذي خلقك وسواك وجعل لك من لدنه قانونًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ إن هذا المخلوق جاهل بمصالح نفسه فضلًا عن مصالح غيره من بني جنسه، فضلًا عن مصالح العالم كله على اختلاف طباعه وأجناسه ولهجاته وعاداته، أهذا أحق بك أم الله العليم الحكيم الذي خلق كل شيء، وعلم كل شيء، الذي قدر فهدى، الذي لا تخفي عليه خافية، والذي سواك وخلقك في أحسن تقويم، ومكنك من كل شيء وجعلك خليفة في أرضه؟.

حقًا إنك أيها الإنسان ظالم لنفسك جاهل بمصالحها أيها الإنسان فكر في نفسك فأنت أحق من فكر أأنت مؤمن بالله واليوم الآخر أم أنت في ريب؟ وأخبرني من ذلك، فإن كنت مؤمنًا فما لك لا تعمل للآخرة ومالك لا تطيع من آمنت به؟

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وإن كنت غير مؤمن بالله تعالى ولا مصدق بوجوده عرفناك به وأقمنا لك الأدلة من نفسك على وجوده.

انظر بعين عقلك، هل ترى في هذه الدنيا فعلًا بغير فاعل؟ وانظر وتفكر ثم أخبر واسأل المنكرين، أخلقوا من غير شيء، أم هم الخالقون؟ أم خلقوا السموات والأرض؟ فإن لم يجيبوا وأصروا على الإنكار، أجابت عنهم المخلوقات: ما خلقنا إلا الله.

وإن من أدل الأدلة أن ترى ذا ذكاء وعلوم دنيوية ومعارف كونية ومنطق فصيح وشكل مليح ينكر وجود ربه ويخاصم فيه وجدانه المعترف به ويخاصم المؤمنين.

فهذا دليل على أن الله موجود وأنه حليم وعدل وحكيم.

أما دليل وجوده فقد حدثناك به، وهو أن هذا المنكر بين أحد أمرين، لا ثالث لهما: فإما أن يكون مخلوقًا من غير خالق وحادثًا من غير محدث، وهذا محال.

وإما أن يكون هو الذي خلق نفسه، وهذا أبعد في الإحالة. ولا سبيل له إلا أن يقول: إنني مخلوق، والمخلوق مفعول، فلابد له من خالق؛ إذ لا يوجد مفعول بلا فاعل.

وإذا أثبت أن للمخلوق خالقًا انتقلنا إلى تعرف صفاته، فترى القدرة والعلم، والحكمة والحلم، والرحمة والعدل في لوح هذه المخلوقات، كلما أمعنت النظر فيها وتركت المجاحدة.

فمن العدل أن الله تعالى يعذب الأمم العاصية، ويمتع المطيعة على قدر طاعتها وسيرها في سبيل النظام الكوني المسمى: سنة الله في القرآن.

وهذا السخف والمسخ والحروب التي تراها أو تسمع بها لم تكن إلا لخروج الناس عن الصراط السوي والأوامر الإلهية الكونية والشرعية.

وإذا رأيت أمة عاصية في نعمة فاعلم أنها تعيش في سعة الحلم إلى أجل مسمى. فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣]، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

وانظر قدرة الله في تلك البحار الزاخرة والجبال الشاهقة والشمس الباهرة والقمر الزاهر والنجوم الطوالع، التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

ثم انظر تلك القدرة القاهرة عند احتضار ملك من ملوك الدنيا، حيث يسلم نفسه من بين جنبيه وحوله نُطُس الأطباء والأهل والأصدقاء بين العدد والعدد والقوى المختلفة من أساطيل في البحر ماخرة وطيارات في الهواء سابحة ومدافع وقنابل ودبابات وغواصات وقواد وضباط وخيل وركاب. وكل ذلك لم يغن عنه شيئًا ولم يدفع عنه تلفًا.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

[الواقعة: ٨٣-٨٧]

وأما الرحمة فانظرها في الأمهات حيث ترى للواحدة منهن ترضع أبناءها وتحنو عليهم وتدافع دونهم، وليس هذا في بني آدم فحسب، بل في كل نوع من أنواع الحيوانات. وتجد مثله إذا دققت النظر في النباتات.

وهكذا إذا أمعنت النظر في كتاب الكون وقلبت أية صحيفة منه ظهرت لك صفات الباري جل وعلا بآثارها واضحة ناطقة بأن الله واحد.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وأن له الحمد في السماوات والأرض، وأن لا شريك له في ملكه وهو المستحق للعبادة والحب كله، وأن العبودية لا تليق إلا له جل شأنه.

* * *

الدعوة إلى الله تعالى[1]

أيها الداعي غير الله، ألم تسمع قول ربك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]؟ تأمل هذه الآية جيدًا، أجل فكر فيها وتدبرها، وحاسب نفسك إذ تقول: (يا الله يا بدوي) أو تقول: (يا رسول الله أغثني).

فإنك دعوت في الأولى مع الله أحمد البدوي، كأن الله لم يكفك فدعوت معه غيره، وكأنك لم تسمع قول الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦] وقوله تعالى على سبيل التبكيت وإظهار أن المدعو من غير الله عاجز عن نفع الداعي أو ضره: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ودعوت في الثانية رسول الله ﷺ وهو الذي أمره ربه أن يقول: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف: ١٨٨].... الآية، والذي قال: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

جاء إلى هذه الأقطار المقدسة عظيم من علماء قطر من الأقطار المجاورة المعروفة بمعاهدها العلمية، وصلتها الكبيرة بالإسلام، وحضر خطبة في الحرم النبوي، وكان الخطيب يقول للناس: ادعوا ربكم وحده، ولا تدعو سواه أحدًا، أو نحو ذلك ، فإن ربكم يغضب إذا دعوتم غيره، ولو كان ذلك الغير هو رسول الله ﷺ. فغضب ذلك الشيخ من هذا القول الحق الذي لا يبقى على ما عنده من عوائد شب عليها وشاب فيها واستطاع من ورائها

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد الثاني عشر – ١٥/ ٨/ ١٣٤٧هـ.

أن يكون شيخ سدنة[١] أكبر وثن في ذلك القطر، يجبي إليه من المال الباطل والسحت ما أصبح به من الأغنياء من تراث الدنيا وحطامها القليل.

أخذت الشيخ الحمية الجاهلية وتقطع قلبه وارتعدت فرائصه إذ صك سمعه قول الداعي الحق: أخلصوا لله العبادة ولا تشركوا معه أحدًا فلا تدعوا البدوي ولا غيره!!

وإذا انصرف الناس عن دعاء البدوي وغيره، وانقطع بذلك مورد الصناديق من النذور الشركية، فمن أين يثري أولئك الضخام الأجسام؟! كبر على الشيخ ذلك جدًّا، وأخذه الحال وانجذب وضرب بلسان العفاريت، وقام من وسط الجمهور ميممًا الحجرة الشريفة وهو يقول في حركة تشنجية وأنكر الأصوات: يا رسول الله أنا بك مستجير.

فهل فهم أمثال هذا الذي يسمونه عالمًا شيئًا من بينات آيات القرآن الكريم؟ وهل علم معنى لا إله إلا الله؟ لا والله!! وإذا كان أمثاله من أصحاب تلك الأبراج على الرؤوس المنتسبين للعلم، بل الذين يعدون من أكبر العلماء يعملون تلك الأعمال الشنيعة ويناقضون القرآن، ويحاربون الله هذه المحاربة، ويدعون غير الله، ويزعمون أنه ليس بشرك، بل يقولون كما قال سلفهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فكيف بالعوام الذين لم يقرأوا قرآنًا ولا سنة، ولا تعلموا نحوًا ولا صرفًا ولا بلاغة ولا أصولًا ولا تفسيرًا؟!!

إن هؤلاء الجهلة بدين الإسلام قد غشوا العوام بزيهم بعد أن اغتروا بأنفسهم وبعد أن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم. وصدق الذي يقول:

---

(١) سَدَنَ سدْنًا وسَدَانَةً: خدم الكعبة أو بيت الصنم وعمل الحجابة فهو سادن. القاموس المحيط، تاج العروس (سدن).

وهـل أفـسد الـدين إلا الملـوك وأحبـار سـوء ورهبانهـا[1]

فإن لم يتوبوا عن شركهم ويراجعوا أنفسهم ويتعلموا من جديد حتى يعرفوا معنى لا إله إلا الله وإلا فبشرهم بعذاب أليم خالدين فيه أبدًا، وكان ذلك على الله يسيرًا.

يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، تعالوا نسمعكم قول الله تعالى، تعالوا نتل عليكم كلام ربكم، فإن كنتم تريدون الإيمان فآمنوا ولا تتكبروا عن قبول الحق، وإلا فلا تغشوا المسلمين.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

ويقول: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

فليتأمل العاقل النبيه الحريص على الحق الناصح لنفسه مثل هذه الآيات في القرآن مع آيات الأمر بدعاء الله وحده كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥]، وليبحثوا عن معنى كلمة «إله» على حدة، ومعنى «لا» على حدة، ومعنى «دون» و «غير» في الآيات الواردة فيها، ويتركوا التقليد والمنامات.

وليدعوا الله تعالى وحده كما دعا النبي ﷺ: «**اللهم رب جبريل وميكائيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما**

---

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢١٣، وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ١/ ١٢٢ عن ابن المبارك رحمه الله.

كانوا فيه يختلفون اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١) لعله يوفقهم ويهديهم، فإن الهدى هدى الله، ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن كلمة (إله) عند العرب تدل على كل ما يعبد بحق أو بباطل و (لا) نافية للجنس. ولما كان العرب المشركون يعبدون آلهة كثيرة يدعونها وينذرون لها وينحرون باسمها بعث الله رسوله محمدًا ﷺ بهذه الكلمة (لا إله إلا الله) يقول لهم: انفوا جميع الآلهة إلا الله وحده فأثبتوا له الإلهية؛ لأنه هو المستحق لعبادتكم إذ هو الذي خلقكم ورباكم ورب جميع العالمين بنعمته.

وهكذا كان العرب يعرفون معناها؛ ولذا قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص: ٥].

فكلمة (لا) نافية لجنس الآلهة وكلمة (إلا) مثبتة للإله الحق. فإذا قلت (لا إله إلا الله)، فقد أقررت واعترفت بلسانك وعاهدت نفسك أن لا تتأله ولا تعبد بأنواع العبادة كلها أحدًا إلا الله، فإذا دعوت البدوي، أو الدسوقي، أو العباس، أو الجيلاني، أو الرفاعي، أو غيرهم مما ملأ كل الأقطار الإسلامية من أوثان، ما أنزل الله بها من سلطان مثلًا لكشف ضر، أو ذبحت له، أو نذرت كنت ناقضًا لكلمة التوحيد وناكثًا للعهد، وكنت كالذي توضأ ثم نقض وضوءه. أو بعبارة أظهر وأوضح كالذي اغتسل من الأدران، ثم جاء إلى مجرى بول وغائط وألقى بنفسه فيه. أو بعبارة أخرى، إذا قال (لا إله إلا الله) كان كالذي ارتفع إلى السماء وعلا فوق الجوزاء فإذا التفت عن الله ودعا لغيره ولو على زعمه أنه يقربه إلى الله زلفى وواسطة ووسيلة فكأنما خر

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق.

فمن لم يعرف معنى (لا إله إلا الله) ويحققها علمًا وقولًا وعملًا لم تنفعه، ولو قالها طول الليل وطول النهار، وتحقيقها علمًا وقولًا وعملًا ليس بالأمر الهين.

ولذا كانت مفتاح الجنة، وكانت الأعمال المشروعة والأقوال أسنانها كما ورد في صحيح البخاري[1] إذ سئل أحدهم: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ فقال: «وما من مفتاح إلا له أسنان ... » الأثر.

ولكن كيف يتعلم العلم متكبر يعتقد أنه عالم ويعتقد جمهور الجهلة أنه عالم؟ وقد ورد في البخاري في باب (الحياء في العلم) وقال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر[2].

فاتقو الله يا من عليهم أعظم المسئوليات بتشبههم بالعلماء وجعلهم في مقام القيادة للناس وحققوا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واعلموا أن دعاء غير الله، كائنًا من كان؛ ملكًا مقربًا أو نبيًّا مرسلًا أو وليًّا صالحًا شرك أكبر لا يغفر إلا لمن تاب إلى الله وعمل صالحًا، ولا تظنوا أن قول لا إله إلا الله من غير معرفة معناها والعمل بها ينفعكم في دنيا أو أخرى.

ليست لا إله إلا الله لعقة على اللسان، وأن قائلها بدون قيام بحقها يستحق الجنان! لا والله. ولو صح ذلك لما جاهد أبو بكر ﵁ مانعي الزكاة واستباح دماءهم وهم يقولونها. ولما قال الرسول ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري قبل (١٢٣٧) تعليقًا من قول وهب بن منبه ﵀ ووصله في تاريخه الكبير ١/ ٩٥، وابن حجر في التغليق ٢/ ٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري قبل حديث (١٣٠) تعليقًا.

الزكاة...» الحديث[1] ولا قتصر على النطق بها وارتضى ذلك منهم دون الصلاة والزكاة.

لا تظنوا يا ذوي العمائم الكبيرة والجبب العريضة الطويلة أن شهادة مخلوق لكم مهما كان عظيمًا تنفعكم عند الله، أو تسعدكم في الدنيا وأنتم محرومون من علم الدنيا وعلم الآخرة، لا تظنوا أن دعواكم أو انتسابكم للعلم أو للإسلام يمحو الحقائق ويغير سنن الله في الكون! لا والله، وكيف تكونون علماء وهذه الأوثان تدعى بين أظهركم ويستغاث بها، ويجعلها الناس كافة آلهة مع الله وأنتم ما بين أسوة سيئة للعوام في ذلك، ومجاهدة من يرشدهم ويدعوهم إلى الله، أو يعرف الحق ويسكت كاليهود؟.

وكيف تكونون علماء المسلمين، والزنا والخمر والربا والحكم بغير ما أنزل الله على مرأى ومسمع منكم ولا تنكرون ولا تغضبون، بل منكم من يشارك في هذه المنكرات، ويشهد الموالد وغيرها من أنواع الزور والباطل، وإذا نهاكم مشفق عليكم من لبس الحرير وأنتم في حرم الله وفي أداء عبادة الله تتبرمون وتغضبون، أي أحد من علماء السلف تقتدون به في الاستكبار عن استماع الحق واتباع الهدى؟! اتقوا الله ولا تكونوا كالذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤].

أخبرونا أيها الناس على أي حجة تعتمدون في أي آية من الكتاب أو حديث عن رسول الله تجدون هذا، أو تظنون أن الله يرض عنكم بعد ذلك أو رسوله أو أحد من المؤمنين؟ ألم تعتبروا بما أوقع الله على الظالمين من ذل وخزى وخذلان وتسلط أعداء وسلب حقوق؟ فتعلموا يا قوم لا إله إلا الله، وحققوها بالقول والعمل، ولا تنقضوها بجهلكم وموالاة أعداء الدين،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

ارجعوا إلى الله ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

استغفروه ولا تدعوا من دونه وليًّا ولا نبيًّا ولا ملكًا ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[الزمر: ٣٨]

* * *

الدعوة إلى الله[1]

هكذا يكون العمى

يدعو الكثير من المسلمين غير الله من الأموات حتى في أشد الكروب التي كان المشركون يخلصون فيها دعاءهم لله يرجعون إليه ويستغيثون به، كما حكى الله ذلك عنهم قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ومسلموا هذا الزمان يدعون غير الله إذا ركبوا في الفلك، حتى وهم متوجهون إلى الحج، فإذا عبثت الريح بالفلك وماجت بها أمواج البحر سمعت من يقول منهم: يا سيدة زينب، ومن يقول: يا سيد يا بدوي، ومن يقول: يا جيلاني، ومن يقول يا رفاعي: ومن يقول: يا سمان، ويرفعون أصواتهم بدعاء غير الله، ويذكر كل أهل قطر أسماء من يتألهون من الموتى ولا يقولون: يا رب، إلا وهم مشركون به غيره، وسبحان الله وتعالى عما يشركون فإذا قيض الله مؤمنًا غيورًا على توحيد ربه، وقال لهم: ادعوا ربكم وحده، ولا تدعوا معه سواه غضبوا غضبًا شديدًا وسبوه وشتموه، وربما ضربوه، وعدوه كافرًا وقالوا له: إنك تنكر كرامات الأولياء، فإذا أراد أن يفهمهم أن كرامات الأولياء لا تقتضي دعاءهم من دون الله، وأن الكرامات شيء والشرك شيء آخر ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]، وقام يجادل عنهم ذوو العمائم الكبيرة والأكمام الواسعة والأجسام الخشبية والعقول الحجرية: بأنهم ما دعوا في الحقيقة إلا الله، وأنهم يعلمون أن هؤلاء الأولياء لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا ولكنهم دعوهم يتقربون بهم إلى الله، ويتوسلون

(١) مجلة الإصلاح – العدد الرابع عشر – ١٥/ ٩/ ١٣٤٧هـ.

بهم؛ لأنهم مقربون عند الرب جل وعلا، وهكذا يكون العمى!! وربما شبهوا الله بالملوك الظلمة، والأولياء بالحجاب، بل كثيرًا ما يفعلون ذلك، وتعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا.

أما دعاؤهم غير الله وقولهم: إنما ندعوهم ليقربونا إلى الله وليشفعوا لنا عنده فقد قال الله تعالى في أمثالهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

فهذا الدعاء عبادة، بل هو مخ العبادة كما ورد عن النبي ﷺ(١) وكما فسر بالقرآن حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾ [غافر: ٦٠]، وكما قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨]، ثم قال: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤٩] ففسر الدعاء بالعبادة في الآيتين.

وقولهم: إنما ندعو الله وهو قصدنا في قولنا: يا بدوي، أو يا دسوقي مثلًا، إنما هو في الحقيقة كقول النصارى: الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، وعيسى هو الله والله هو عيسى، وكقول الوجودية الملاحدة: العبد رب والرب عبد، من كل قول يناقض نفسه ويرد أوله على آخره، وينقض لاحقه تاليه، وإلا فما معنى قول أحدهم في الشدائد والكروب: يا بدوي، ويكون نفس هذا الاسم العلم على عبد معروف يكون معنيًّا به الرب جل جلاله هذا لا يقوله عاقل.

وأما قولهم إنما نتوسل بهم، فيقال له: يا عجبًا كل العجب!! أبعد أن أنزل الله الكتب وأرسل الرسل وبين لنا سبحانه ما يحب وما يكره وشرع لنا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس رضي الله عنه وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الترمذي.

ما نقترب به إليه وما يحبه منا من أنواع العبادات نتجاهل ذلك، ونبتدع من عندنا توسلات أخرى لم يأذن الله بها. بل نهى عنها أشد النهي وكفر متخذيها أشنع تكفير؟؟.

يا قوم بصركم الله هل أنزل الله الكتب وأرسل الرسل إلا ليعلموا الناس الوسائل التي تقربهم إلى الله والتي يحبها؟ فما لكم تتركونها وتتخذون غيرها؟ هل أمركم الله باتخاذ الأولياء والتقرب بهم؟ أم قال لكم ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]؟ وهل قال لكم ربكم ورسوله: تقربوا إلي بأوليائي، أم قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؟ ونحو ذلك من الأوامر.

الحق أن أوامره ثقلت عليكم فنكصتم على أعقابكم تتقربون بمن عملوا وبمن تزعمون أنهم أولياؤه وربما كانوا في الواقع وحقيقة الأمر غير أولياء يقول الله تعالى: في بيان ما يقرب إليه من كتابه: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾ [سبأ: ٣٧]، وهنا كأن سائلًا سأل: فما يقربنا إليك يا رب إذن دُلّنا عليه وأرشدنا إليه فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، فبين سبحانه ما يقرب إليه وبين جزاءه وذلك هو الإيمان والعمل الصالح، فلا وسيلة إلى القرب من الله ورضاه ودخول جنته سوى الإيمان والعمل الصالح، وعلى هذا تدل آيات القرآن قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [سورة العصر]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]، ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ

عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ [التغابن: ٩] الآيات. ويقول: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢].

فما لكم ثقل عليكم الإيمان والعمل فلم تتوسلوا إلى الله بهما؟ وجئتم تتوسلون بما نهاكم عنه من وسائل الكفار المؤدية إلى النار وبئس القرار.

وفي الحديث القدسي الذي ذكره البخاري في صحيحه[1] عن النبي ﷺ عن الله ﷻ أنه قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب – أو بارزني بالمحاربة**»، ثم بين ما تنال به الولاية فقال: «**وما تقرب إلي عبدي بأفضل مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه.....** » الحديث.

فبين لنا أن أفضل ما يتوسل به المتوسلون إليه، ويتقرب به المتقربون إنما هو الفرائض والنوافل. وليس منها دعاء الأولياء كما لا يخفي ولا الأنبياء ولا الملائكة حتى قال في كتابه المبين لمن يدعو غيره من المقربين: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]، ثم بين لهم حال أولئك المقربين أنفسهم فقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧] أي أن الذين تدعونهم من دوني وتزعمون أنكم تتقربون بهم إلي هم أنفسهم يدعونني ويتقربون إلي بما شرعت لهم ويرجون رحمتي ويخافون عذابي، فكيف تتقربون بهم إلي وحالهم كما وصفت لكم بين رجاء وخوف؟.

فلو أن الله تعالى أحب أن نتوسل إليه بذوات أوليائه وأنبيائه وجاههم دون الإيمان والعمل لأمر بذلك ولسماهم لنا، ولبين الرسول ﷺ ذلك قولًا

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعملًا، كما بين كل شيء، بل كان هذا أحق بالبيان؛ لأن التوسل إلى الله هو أصل الدين وأساسه، والمقصود من خلق الجن والإنس فقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فعبادة الله تعالى والتوجه إليه وحده هي الوسيلة لا غيرها، ولكن إبليس اللعين العدو المبين للإنسان أراد صرف الناس عن عبادة ربهم، وإبطال التكاليف والعمل بالشرائع فأمرهم بتوسل من عنده لم يشرعه الله ولا رسوله؛ ذلك هو التوسل بالأشخاص دون الأعمال، وقد وجده الناس خفيفًا على نفوسهم إذ لا يكلفهم شيئًا مما في العبادات من جوع وظمأ في الصوم، وقيام وركوع وسجود في الصلاة، وبذل نفس ومال في الجهاد في سبيل الله، قال إبليس اللعين لهم: يكفيهم أن تتوسلوا إلى ربكم بالأولياء المقربين فتدعوهم وهم يتوسطون لكم عند ربكم، فأطاعوه فكانوا من الأخسرين أعمالًا ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٤-١٠٦]، ثم ذكر ضدهم وهم الذين آمنوا وعملوا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] الآية.

فالوسيلة الشرعية المرضية عند الله ورسوله هي ما شرعه الله وأمر به، وذلك الإيمان والعمل الصالح، فإن آمنت وعملت صالحًا نجوت وإلا فما إخالك ناجيًا.

ومن الآيات التي يلبس بها الشيطان وأولياؤه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] الآية فيقول شيطان الإنس: أمر الله بالوسيلة فلماذا تمنعونها؟.

والجواب: إننا لم نمنع الوسيلة الشرعية التي أمر الله بها فيه الآية وغيرها

وقد أجمع المفسرون على أن معناها الإيمان والعمل الصالح.

أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه وعطف عليها بابتغاء الوسيلة إليه من عطف الخاص على العام مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢٨]، والإيمان بالرسول ﷺ داخل في الأمر بتقوى الله فكذا ابتغاء الوسيلة، وهذا واضح لمن أراد اتباع الحق وأنصف نفسه.

فإن قيل: أما للأولياء كرامات؟ قلنا: نعم، وإن لم يكرم الله أولياءه فمن يكرم؟ ولكن الكرامات لا تستلزم دعاءهم من دون الله.

والناس قسمان: أولياء الله، وأعداء الله.

فأما الأولياء فقد وصفهم الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، وهذا من باب: الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلا تنفل.

وأما أعداؤه فهم الذين لا يؤمنون ولا يعملون.

وقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ المتحنة: ١] الآية.

فإذا آمن العبد وعمل صالحًا كان وليًا لله بقدر إيمانه وعمله وإخلاصه واتباع رسول الله ﷺ ويكرمه الله بما لا يحصى من الكرامات، لكن لا تظن أن الله يكرم وليه بقبول وساطته وشفاعته في مجرم يدعو غير الله، هذا محال.

على أن أولياء الله لا يشفعون لمشرك ولا يتوسطون له عند الله بشفاعة، ولا يرضون ذلك، ولو رضوا لكانوا أعداء الله لا أولياءه. وكيف يشفعون في مشرك، أو يكرمهم الله بقبول شفاعتهم في مشرك يدعو غير الله من الأموات، صالحين أو طالحين؟.

وقد ورد عن النبي ﷺ وعيد شديد فيمن شفع في أقل من ذلك. قال

رسول الله ﷺ: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد حاد الله** ﷻ....» الحديث. رواه أبو داود وغيره[١]. وفي الباب أحاديث بهذا المعنى، فكيف يرضى ولي الله حقًّا أن يدعوه أحد من دون الله ثم بعد ذلك يشفع له، ويرجو أن يكرمه الله بقضاء حاجة الداعي غيره؟ هذا محال عند ذوي العقول، ومعنى ذلك أن العبد يذل ويخضع بسؤال المخلوق الميت ودعائه وطلب ما ليس في قدرته ولا في قدرة أي مخلوق، وهذا السؤال والدعاء عبادة، بل أظهر أنواع العبادة، ثم يأمل أن يقضي الله حاجته!! أي أن العبادة للمخلوق وقضاء المصالح على الخالق.

وهذا هو الظلم العظيم الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فأي عاقل يرضى أن يطعم خادمًا ويسقيه ويكسوه ويقضي له مطالبه وهو يخدم غيره؟.

* * *

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٧٠)، وأبو داود (٣٥٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني رحمه الله في الإرواء (٢٣١٨).

الدعوة إلى الله

(١)

الوسيلة الشرعية[١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا ولي له من الذل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: فهذه رسالة في بيان الوسيلة الشرعية دعاني لكتابتها ما رأيت من خلط العوام وغالب المنتسبين للعلم الوسيلة الشرعية بالوسيلة الشركية، وعدم معرفتهم بالوسائل المشروعة والوسائل الممنوعة، وتحريفهم آيات الله عن مواضعها بالتأويل الذي لم يقل به أحد ممن يعتد بقوله، ولا ينطبق على اللغة التي نزل بها الكتاب المبين؛ اتباعًا لأهوائهم وموافقة لآبائهم، فأقول وبالله التوفيق:

معنى الوسيلة في اللغة:

اعلم رحمك الله أن معنى الوسيلة في اللغة ما يتقرب به إلى الغير، يقال: وسل يسل وسيلة؛ رغب وتقرب فهو واسل، قال لبيد[٢]: «بل كل ذي دين إلى الله واسل». ووسل بالتشديد إلى الله بوسيلة وتوسل؛ عمل عملًا تقرب

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد الخامس عشر – ١/ ١٠/ ١٣٤٧هـ.

(٢) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري ١/ ٦٦٢. وانظر ديوان لبيد ص ٢٨.

به إلى الله. وقال الراغب[١]: وسل الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوسيلة؛ لتضمنها لمعنى الرغبة قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحرى مكارم الشريعة، وهي كالقرب، والواسل؛ الراغب. وقال الزمخشري[٢]: الوسيلة؛ كل ما يتوسل به، أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي. اهـ. من تفسيره.

فإذا عرفت أن الوسيلة هي كل ما يتقرب به إلى الغير، وأن هذا التعريف عام يدخل فيه كل ما يتوسل به الناس إلى ملوكهم، وقضاء أوطارهم من الدنيا كالدراهم والدنانير، فإنها وسيلة إلى قضاء الحاجات، قلت لك: إن الشارع قد خصص هذا العام بما شرعه على لسان الرسول ﷺ من أنواع القرب التي فصلها بالقول والعمل، كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ونحو ذلك من الفروض والسنن التي تقرب المرء من الله تعالى بأدائها على الوجه الأكمل.

«فالوسيلة» إذن؛ وسيلة شرعية تقرب إلى الله، وهي لا تكون بالهوى وقياسات العقول ولا بالرأي، بل لابد أن تكون بنصوص من الكتاب والسنة وإجماع من يعتد بإجماعهم كالصحابة والتابعين وأئمة العلماء المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين.

ووسيلة دنيوية؛ كالتجارة والزراعة والصناعة وما شاكل ذلك، وهذه كل إنسان حر فيما يختاره منها لمعاشه ما لم يضر بدينه، ولكل أمر من أمور

---

(١) مفردات الراغب ص ٥٢٣.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل ١/ ٦٦٢.

الدنيا وسيلة إذا اتخذت إليه وسيلته حصل وإلا لم يحصل.

مثال ذلك: الكسوة والسكني، فإن الوسيلة إليهما النقود، وهذه النقود إن لم تكن مختومة بخاتم الحكومة ومطبوعة بطابعها لم تعتبر ولم تكن وسيلة يقضى بها شيء ما. فليت شعري كيف يعتبر وسيلة شرعية ما ليس له نص من الكتاب أو السنة.

«فالوسائل الشرعية» التي تقرب إلى الله لابد أن تكون بتوقيف وتعليم من المعصوم ﷺ؛ وإلا كانت وسائل إلى النار. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ القصص: ٥٠] فقسم الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما: إما إن يكون مما أتى به النبي ﷺ فيجب التسليم له، وإما لا فهو ضلال، ومتبعه ضال ومتبع هواه، وليس أضل منه.

هذه الجملة ينبغي أن تفهمها لتنفعك في مواضع كثيرة وتحل بها كل مشكل وكل خلاف.

فعلى العبد الذي يحب النجاة من النار والفوز بالجنة أن يتبع المشروع من الوسائل ويعمل بها ولا يتعداها وإلا فقد ضل ضلالًا بعيدًا.

* * *

الدعوة إلى الله[١]

(٢)

بيان الوسيلة الشرعية والشركية في القرآن

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥] هذه آية قرآنية من سورة المائدة أمر الله فيها باتخاذ الوسيلة إليه، فهل يظن عاقل أن يترك النبي ﷺ بيان هذه الوسيلة؛ كيفية وكمية؛ قولًا وعملًا وهو المنزل عليه ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل: ٤٤]؟ اللهم لا.

ولا جواب على هذا إلا أن نقول: قد بين النبي ﷺ أنواع الوسائل المشروعة كلها بدليل قوله ﷺ: «**ما تركت شيئًا يقربكم من الله إلا أمرتكم به، ولا شيئًا يبعدكم عن الله إلا ونهيتكم عنه**»[٢]. أو كما قال.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣] إذن فما هي الوسيلة المشروعة التي بينها الرسول ﷺ ولا يقبل الله سواها؟

الوسيلة المشروعة التي أمر الله بها في الآية الكريمة وبين النبي ﷺ إجمالها هي الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فإن قلت: هذا مجمل أيضًا. قلت لك: نعم، وتفصيله أن العمل الصالح لا يكون صالحًا إلا إذا كان موزونًا بميزان الكتاب والسنة.

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد السادس عشر – ١/ ١/ ١٣٤٨هـ.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ١/ ٢٣٣ من حديث المطلب بن حنطب ﷺ، وأخرجه البغوي في شرح السنة (٤١١١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وأول الأعمال الصالحة بعد الإيمان أداء الفرائض، كالصلاة والزكاة والصيام والحج ... إلخ.

والإيمان مبين في حديث جبريل المشهور في الصحيحين[(١)] إذ سأل رسول الله ﷺ قائلًا: ما الإيمان:قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**». وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ من حديث أبي هريرة عند البخاري[(٢)]: «**من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة** - أو فقد آذنته بالحرب - **وما تقرب إلي عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى النوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به.....** » إلخ.

ففهمنا من هذا الحديث أن أنواع القرب فرض ونفل. وأن العبد لا يتقرب إلى الله بشيء أفضل مما افترضه الله سبحانه على عباده، وبينته سنة رسوله المعصوم ﷺ.

وبين لك أن الوسيلة المشروعة هي الإيمان والتقوى والعمل الصالح قول الله تعالى في آية أخرى في سورة «سبأ»: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧]، فتأمل قوله جل ذكره: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد قوله: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾، فلو كان شيء يقرب إليه تعالى غير الإيمان والعمل الصالح لبينه، حيث الحاجة إليه ماسة والضرورة به قاضية.

وقد بين النبي ﷺ بهديه أنواع الأعمال الصالحة ولم يترك شيئًا منها،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء من حديث ابن عمر، عن عمر عند مسلم (٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولذلك قال: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1] رواه مسلم والبخاري، أي فهو مردود عليه، وقال في حديث آخر: «**كل بدعة ضلالة**»[2].

ويبين لك أن الوسيلة المشروعة هي الإيمان والعمل الصالح آيات القرآن الكثيرة المتضافرة، والسنة، كقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾، وقوله جل ذكره: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

ويبين لك هذا المعنى أن الله تعالى شهد للذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم خير البرية. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨]، وترى أن الله تعالى جعل الإيمان والعمل الصالح سببًا ووسيلة في دخول الجنة، وناط بهما الفوز والنجاة، فقال جل شأنه: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، ومثل هذا في القرآن كثير لمن يتدبر وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، وترى أن الله تعالى نفى أن ينفع عنده شيء غير الإيمان والعمل الصالح في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وكقوله جل ثناؤه لرسوله ﷺ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]،

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وقوله جل ثناؤه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

وقد أمره الله تعالى أن يتبرأ ممن عصاه ولو كان من ذوي قرباه قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٦].

فتدبر هذا وكرره مرارًا حتى يسطع نور اليقين في قلبك وحتى تتذوق حلاوة ذكره على لسانك ويهتز منها سائر جسمك ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] فقد أعلن إبراهيم خليل الله عداوته لقومه وبراءته منهم ومما يعبدون من دون الله حتى يؤمنوا بالله وحده، فجعل الإيمان هو الغاية التي عندها تنتهي العداوة والبراءة، وقد أمرنا الله بالتأسي به عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

فلو كان ينفع غير الإيمان والعمل الصالح الذي هو نتيجة لازمة له لنفع نوح ابنه، وإبراهيم قومه وأباه، ولنفع كل نبي أقاربه، وحينئذ يبطل التكليف، ويعود إرسال الرسل وإنزال الشرائع عبثًا. تعالى الله عما يشركون وعما يقولون ويعتقدون علوًّا كبيرًا ونسأله السلامة والعفو والعافية.

ولو قرأ التاركون للإيمان والأعمال الصالحة – اتكالًا على شفاعة الأولياء والأنبياء – قول الله تعالى حكاية عن نوح: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، ورد الله تعالى عليه بقوله: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ

تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦] لو قرأوا ذلك وفهموه حق الفهم لآمنوا بالله وسارعوا إلى العمل الصالح، وليئسوا من اتكالهم على الأولياء والشفعاء، وأخذوا بأقوى الأسباب التي تنجيهم؛ إذ ليس أقرب من نوح لابنه وقد قال الله فيه ما قال، ويبين سبب هلاكه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، ونفي كونه من أهله لهذا السبب عينه.

فتأمل هذا جيدًا لتعلم أن ربك عدل ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وتعلم السر في قضائه وقدره إذ أغرق ابن نوح ولم ينجه مع كفره لأجل أبيه، ولم يقبل استغفار إبراهيم لأبيه، ولم ينج أهل لوط لأجله، ولا فرعون لأجل امرأته، ولا أبا طالب لأجل حبيبه ﷺ.

فلا وسيلة إلى رضى الله تعالى والفوز بجنته والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح، وقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لقومه: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان: ٢١] كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، وكما قال عن إبراهيم وأبيه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

فلم يعلق الله حبه ورضاه والفوز بجنته إلا بالإيمان والعمل الصالح، ولم يكن رضاه إلا على المؤمنين المحسنين، ولم يكرم إلا المؤمنين المتقين، وقد قص الله تعالى علينا ما سيكون من المفرطين في الإيمان والأعمال الصالحة من الحسرة والندامة يوم القيامة وتمنيهم الرجوع إلى الدنيا ثانية ليعلموا ويتبعوا المرسلين قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨].

الدعوة إلى الله[1]

(٣)

فصل

وقد نفى نفع الأولياء في القرآن في مواضع لا تحصى؛ قطعًا لأطماع الذين يتكلون عليهم ويتخذونهم من دون الله شفعاء وزلفى إليه تعالى.

من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣]. وقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، وقال: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال لرسوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، وهذا أبلغ مثل ضربه الله للذين يتخذون أولياء من دون لله. وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩]، وقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾، وقال:

---

(١) مجلة الإصلاح – العددان السابع عشر والثامن عشر – ١٥/ ١/ ١٣٤٨هـ.

﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الجاثية: ٧-١٠].

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٦]، وقال: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الشورى: ٦].

فصل

ولما كان اتخاذ الأولياء من دون الله كفرًا وضلالًا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٢] وقال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾[الأحقاف: ٥-٦].

فمن دعا أحدًا من الصالحين، سواء كان المدعو صالحًا في الواقع أو في اعتقاد الداعي فحسب، أو تقرب إليه بذبيحة أو نذر أو خافه أو رجاه فقد اتخذه إلهًا ووليًّا من دون الله، وكان دعاؤه إياه وذبحه ونذره وسائر ما يفعله عند القبر من الذل والخشوع عبادة، ولا يغني عنه تسمية ذلك توسلًا أو استشفاعًا أو تقربًا، فإن الحقائق لا تتغير بتغير الأسماء، فإذا سميت الخمر زبيبًا أو مستكة كما يسميها فسقة اليوم، لم يكن ذلك برافع عنها حقيقة الخمر وحكمها من التحريم والحد.

كذلك الشرك لا يزيل حقيقته وضع أسماء جميلة الظاهر له. ولذا لما

سمى أكثر المسلمين الشرك بغير اسمه وغالطوا أنفسهم واتبعوا أهواءهم، سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب من الأمم القوية الإباحية التي تسمي الاستعباد استقلالًا، والإباحية تمدينًا، والخلاعة وتهتك النساء رقيًّا وتقدمًا، وكذلك يجزى الله المفترين ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ ﴾ [الأحقاف: ٢٨]؟ كأبي العباس والبدوي والدسوقي والرفاعي، وغيرهم من المعبودين في الهند والشام وجاوه ومصر القاهرة وسائر البلاد والقرى والكفور: ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، وقال تعالى في إخوانهم من المشركين السالفين، الذين كانوا يختانون أنفسهم بتسمية الشرك بغير اسمه الحقيقي ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

فصل

وقد سمى الله المتخذين من دونه أولياء آلهة في غير موضع من القرآن فقال: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٧٤-٧٥]، وقال عن المشركين ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، وقال: ﴿ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: ٥٨]؟ يعنون عيسى ابن مريم. وقال: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١].

ولنذكر ما ظهر لنا هنا من نكت البلاغة في وصف إلهين باثنين، وبيان ذكر اثنين من وجوه:

أولها: التنصيص على المنهي عنه من تعدد الآلهة.

الثاني: التشنيع على المشركين في اتخاذ إلهين اثنين، فكيف بثلاثة وأربعة

وأكثر من ذلك؟.

الثالث: إظهار غباوتهم وجهلهم بذكر اثنين بعد ما يفيد التثنية في إلهين، كما تخاطب خادمًا غبيًا عندك لا يفهم إلا بالتكرير والتأكيد، لا سيما إذا كان ما تنهاه عنه مما ألفه.

الرابع: أنه من باب التفنن في نفي الآلهة، فإن قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النحل: ٥١] كقوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

الخامس: أنه مشعر بوجود إله واحد، وإن ضم إله آخر معه حتى يكونا اثنين لجرم كبير وظلم عظيم. فكون الشيء واحدًا غير متعدد والناس يتخذون معه ثانيًا جهل شنيع.

والإله معناه المعبود. فمعنى (لا إله) نفي المعبودات كلها. ومعنى (إلا الله) إثبات المعبود الحق وحده وهو الله تعالى، وعلى العبد أن يعرف أصناف العبادة وأنواعها، وحقيقتها، حتى لا يجعلها لغير الله تعالى، ولا تقع منه لسواه.

أما معناها: فهي غاية الذل والخضوع مع غاية المحبة للمعبود.

وأما أنوعها فالدعاء، بل هو رأسها، بل هو مخها، بل هو هي. كما قال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» رواه الترمذي وغيره[1]، والصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر المفروضات والنوافل.

وهي مقسمة على الجوارح كلها.

فعبادة القلب؛ الإيمان والإخلاص، والمحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرهبة.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٦٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨) من حديث النعمان ابن بشير ﷺ. وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

وعبادة اللسان؛ الصدق في القول والذكر والشكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ.

وعبادة البصر؛ النظر في خلق السموات والأرض وآيات القرآن ونحو ذلك.

والسمع؛ أن تسمع العلم والذكر والحق من القول، وتعرض عن اللغو وعما لا يعني.... إلخ.

وعبادة اليد؛ التصدق وإعانة الغير، ودفع الشر والأذى والجهاد في سبيل الله، وتناول ما فيه ثواب ودفع ما فيه عقاب.

وعبادة الرجل؛ السعي في طلب العلم وإلى المساجد، وصلة الأرحام، والسعي في طلب الرزق الحلال... إلخ.

وكل ما عملته الجوارح الظاهرة باشتراك أو انفراد، فإن كان مشروعًا فهو عبادة، وإن لم يكن مشروعًا فهو إما مباح أو مكروه كراهة تحريم أو تنزيه.

فإذا جعلت المشروع كالنذر والذبح لأحد من الخلق حيًّا أو ميتًا أو عمدت أقدامك إلى زيارة ضريح من الأضرحة المعظمة بقصد التبرك والتضرع بصاحبه فقد جعلت حق الله لغيره من الخلق وهذا معنى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وأي ظلم أعظم من أن تعطي حق الله لغيره؟ وأن تجعل نفسك عبدًا لمخلوق مثلك؟ وأنه خلقك لتكون عبده وحده.

فمن ترك الإيمان والعمل الصالح، وتوسل بالأولياء ليقربوه إل الله فقد ضل ضلالًا بعيدًا، وتبرأ منه الأولياء، وكان متوسلًا بما لم يجعله الله وسيلة لا شرعًا ولا عقلًا.

أما شرعًا فإنه لم يأت في القرآن ولا في السنة: «**توسلوا بأولياء الله إلى الله**».

وما ينسبونه كذبًا على الرسول ﷺ من قوله: «**توسلوا بجاهي....** » إلخ[1] باطل باتفاق أهل العلم بالحديث.

وأما عقلًا، فلأن الميت لا ينفع ولا يضر، ولأننا نرى من توسل بذي جاه في الدنيا لنيل منصب من مناصب أهلها مثلا وهو لا يحسن العمل الذي يستلزمه ذلك المنصب كان مجرمًا في الحقيقة وشاعرًا بنقصه ودناءته، وكان من قبل الشفاعة فيه ضعيف الإرادة ظالمًا لأنه قبل في المنصب غير كفئه، وهذا مما يترتب عليه فساد النظام وهلاك الحرث والنسل. ولذا ترى المتوسلين بالرشاوي والقرابات وذوي الجاه إلى مقاصدهم يستخفون ويسرون ذلك ولا يعلنونه؛ لأنه معلوم قبحه وعاره عند الناس خاصهم وعامهم، فكيف يقبل مثل ذلك عند الله تعالى الحكم العدل؟.

* * *

(١) انظر السلسلة الضعيفة (٢٢)، والتوسل أنواعه وأحكامه ص ١١٧ للألباني.

ظاهرة محزنة من حال المسلمين[1]

ورد السؤال الآتي من أحد أفاضل الهنود الذين وفدوا على أم القرى لحج هذا العام قدمه للأستاذ الشيخ عبد الظاهر أبي السمح خطيب الحرم، وكنت حين تقديم ذلك السؤال حاضرًا مع الشيخ أبي السمح فطلب مني[2] الأخ الهندي مشاركة الشيخ في الجواب.

ونص السؤال:

(١) هل يجوز لأحد أن يخص مسجد الحنفية أو الشافعية أو الحنابلة أو المالكية بأن لا يصلي فيه غيرهم؟.

(٢) ما حكم من يمنع واحدًا من المسلمين أن يصلي في المسجد إذا هو أجهر بالتأمين أو رفع يده قبل الركوع وبعده؟ بينوا الحكم في ذلك مأجورين.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ: فالجواب على ما ذكر من السؤال وبالله التوفيق.

١- أما تخصيص مسجد بجماعة من المسلمين يكون مباحًا لهم ومحظورًا على غيرهم، سواء كانت هذه الجماعة منتسبة إلى أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد أو إلى غيرهم رضي الله عنهم جميعًا، فهذا غير جائز شرعًا ولم يسمع بمثل هذا في عصر من العصور الفاضلة التي كان الإسلام مرفوع المنار والحق قوي الصوت والباطل زاهقًا، وما سمعنا ولا

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد الثالث - ٣٠/ ٣/ ١٣٤٧هـ.

(٢) من الشيخ محمد الفقي رحمه الله.

سمع أحد من المسلمين أن أبا حنيفة جعل لأصحابه مسجدًا يخصهم ولا يحل لغيرهم من أصحاب العلماء الذين كانوا معه بالكوفة أن يصلي معهم، ولا سمع مثل هذا عن الشافعي، ولا عن مالك، ولا عن أحمد، ولا عن أحد من بقية الأئمة المهتدين، بل المعروف المتواتر الذي لا يشك فيه أحد أن المسجد كان يصلي فيه أصحاب أبي حنيفة وراء أصحاب مالك وغيرهم، وكذلك أصحاب كل واحد من العلماء كان يفعل مثل فعل أصحاب أبي حنيفة، بل وما كان يخطر في بال أحد من أولئك السالفين رحمة الله عليهم أن يجيء زمن يتقدم فيه مثل هذا السؤال الذي هو من أعجب ما ولدت لنا فتن عدولنا عن الاستقامة على سبيل سلفنا الصالح الذين اعتصموا بحبل الله جميعًا، وكانوا برحمة الله إخوانًا، مهما كان بينهم رحمهم الله من اختلافات فرعية ما كان يحلم الشيطان أبدًا أن ينال منهم بها مثل ما نال من أولئك المخالفين الذين جعلوا الأمر عصبية وتحاكما إلى الأهواء والآراء، فأطاعوا بذلك شيطان الفرقة وعصوا الله ورسوله، وكان عاقبة ذلك أن صار بأسهم بينهم شديدًا، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

٢- المساجد كلها لله يجب أن تكون خالصة له دون أحد من الخلق، ولا يحل لأحد من الناس أن يتحكم فيها بهواه وعصبيته، يمنع منها أحدًا ممن يقيم فيها الصلاة ويؤدي فيها الشعائر الإسلامية، ومن فعل ذلك فهو أشبه فيمن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

والمراد من المساجد التي لا يحل لأحد أن يمنع منها أحدًا من الذين

يعمرونها بالذكر والصلاة هي المساجد التي بنيت وحبست ووقفت على ذكر الله والصلاة، فهذه هي العامة لا يحل لأحد المنع منها، وهي التي يصدق عليها اسم المسجد عرفًا، أما أن يكون أحد اتخذ لنفسه في بيته مسجدًا يصلي فيه، وكان ذلك عبارة عن حجرة من حجر البيت، ومنع غيره من الوصول إلى ذلك المحل فلا بأس عليه إذا هو منع منه، وهو في الحقيقة لم يمنع المسلمين من مسجد، بل منعهم دخول بيته الذي جعلت الشريعة له الحق والحرية في أن يمنع منه من يشاء.

وإن تعجب من شيء فاعجب مِن قوم يزعمون أنهم متبعون لأئمة الهدى ومقتدون بخيار سلف هذه الأمة من مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنت بعد ذلك تجدهم يحادون الله ورسوله وأولئك الأئمة ويشاقونهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين، فلو لم يكن للمؤمنين ولا يكون لهم من سبيل إلا قول مرشدهم ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**»(١) فأين فعل هؤلاء المفرقين المشتتين لكلمة المسلمين المجيبين لداعي الشيطان من ذلك الحديث الذي هو صوت داعي الهدى والرشاد والفلاح؟.

وهل يظن ظان أو يخطر على بال مسلم أن أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الهدى وعلماء الأمة يرضيه مثل هذه العصبية الجاهلية ويقبل أن ينتسب إليه واحد من أولئك المفرقين؟ كلا والله ألف مرة وحاشى أولئك المهتدين أن يقبلوا مثل ذلك الذي ينقض عرى الإسلام ويهد بناءه ويقوض دعائمه ويجعل المسلمين بعد ذلك أعداء متناحرين متباغضين

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

يأكل بعضهم بعضًا والبقية تكون غنيمة باردة لأعداء المسلمين من أمم الغرب التي تسوم المسلمين في الهند ومصر وجاوه وسوريا وغيرها صنوف العذاب وأنواع الذل والهوان.

نعم - والله - ما وضع الإنكليزي يده على عنق المسلم الهندي إلا بمعاونة أخيه المسلم بمثل هذه الأمور الفرعية البسيطة التي فعلها وتركها على حد سواء؛ وباتخاذها مثارًا لمنازعات ومشاحنات يضرم العدو بها نار الفتنة ويوقد لهب الحرب بينهما، حتى يبيتا وفي قلوبهما من البغضاء والحنق على بعضهما ما يبني منه ذلك العدو الألد عرشًا يقضي من فوقه على أرواحهم وأموالهم وأولادهم وأوطانهم، وهم بتلك البسائط والجزئيات عن تخليص أنفسهم لاهون.

ما هي تلك الأمور التي من أجلها تفرقون كلمتكم وتشتتون جمعكم، وتتراشقون برسائل الطعن ومقالات التهجين والتفسيق؟

إن الجهر بالتأمين لم يقل أحد من سلف الأمة ولا خلفها أنه من أركان الصلاة التي تتوقف صحتها على الإتيان به أو بطلانها على تركه، ومثل ذلك رفع اليدين قبل الركوع وبعده، لم يجعله أحد من علماء السلف سببًا لمقاطعة ولا سبيلًا لرمي بمثل تلك الأحجار القاسية التي تشجون بها رأس الإسلام، وتسيلون بها من عيون المؤمنين العبرات الغزيرة على ما آلت إليه حالة المسلمين من عداء وخصام.

أيها المسلمون، بالله أفيقوا من غفلتكم وقدروا أقوالكم وأعمالكم، وزنوا أنفسكم بميزان القرآن الحكيم والرسول الكريم وسلف الأمة الصالحين المهتدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه في الفتاوى[1]: فإن الرفع المتنازع فيه ليس من نواقض الصلاة، بل يجوز أن يصلي بلا رفع، وإذا رفع كان أفضل وأحسن، وإذا كان الرجل متبعًا لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك، ولم يقدح ذلك في دينه وعدالته بلا نزاع، بل هذا أولى بالحق وأحب إلى الله ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ كمن يتعصب لمالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه، فمن فعل هذا كان جاهلًا ضالًّا، بل غاية ما يقال إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحدًا لا بعينه من غير تعيين.

ومن كان مواليًا للأئمة محبًّا لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن في ذلك إلى أن قال: وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع والائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٦].

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة[2].

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٢٤٨ - ٢٥٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٢٩ (٣٩٥٠). وانظر تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع (١٢) للشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، رحمه الله.

فأئمة الدين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين، وإن تنازعوا في بعض فروع الشريعة في الطهارة أو الصلاة أو الحج أو الطلاق أو الفرائض أو غير ذلك، فإجماعهم حجة قاطعة، وتنازعهم رحمة واسعة، ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين، كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة، وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي رضي الله عنهما فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

فمن تعصب لواحد من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء، سواء تعصب لمالك أو الشافعي، أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم، ثم غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلًا بقدره في العلم والدين وبقدر الآخرين، فيكون جاهلًا ظالمًا، والله يأمر بالعدل، والعلم وينهي عن الجهل والظلم.

وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لأبي حنيفة وأعلمهم بقوله وهما قد خالفاه في مسائل لا تكاد تحصى؛ لما يبين لهما من السنة والحجة ما وجب عليهما اتباعه، وهما مع ذلك معظمان لإمامهما، لا يقال فيهما مذبذبان، بل أبو حنيفة وغيره من الأئمة يقول القول ثم تتبين له الحجة في خلافه فيقول بها ولا يقال له مذبذب.

فالواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وعلماء المؤمنين، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده، ويعلم أن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد لاجتهاده وخطأه مغفور له.

وعلى المؤمنين أن يتبعوا إمامهم إذا فعل ما يسوغ فإن النبي ﷺ قال:

«**إنما جعل الإمام ليؤتم به**»[١]. وسواء رفع يديه أو لم يرفع لا يقدح ذلك في صلاتهم ولا يبطلها لا عند أبي حنيفة ولا الشافعي ولا مالك ولا أحمد. ولو رفع الإمام دون المأموم أو المأموم دون الإمام لم يقدح ذلك في صلاة واحد منهما، ولو رفع الرجل في بعض الأوقات دون بعض لم يقدح في صلاته.

وليس لأحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعارًا يوجب اتباعه وينهي عن غيره مما جاءت به السنة، بل كل ما جاءت به السنة فهو واسع.

ومن أسباب تسليط الله التتار على بلاد الشرق كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، حتى تجد المنتسب للشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين والمنتسب إلى أحمد كذلك، وفي المغرب نجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا.

وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوى الأنفس بغير هدى من الله مستحقون للذم والعقاب.

وهذا باب واسع لا تحتمله هذه الفتيا، فإن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه (الذي هو رفع اليدين) من الفروع الخفيفة فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع؟ اهـ بتصرف.

وقال في موضع آخر[٢] ص (٢٨٠): تجوز صلاة أهل المذاهب الأربعة وغيرهم بعضهم خلف بعض، كما كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٨)، ومسلم ٤١١، ٤١٢) من حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٧٤.

والأئمة الأربعة يصلي بعضهم خلف بعض مع تنازعهم في مسائل من الفروع وغيرها، ولم يقل أحد من السلف إنه لا يصلي بعضهم خلف بعض ومن أنكر ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها. اهـ بتصرف.

* * *

القمار[1]

ضرره في المال والنفس

القمار أو الميسر هو سلب أموال الناس بحيل باطلة مكشوفة أو خفية تواضع عليها ذوو الشره والطمع، وقد كان في الجاهلية فجاء الإسلام بتحريمه كما جاء بتحريم مثله من المظالم الضارة في الهيئة الاجتماعية.

لا يخفي أن المال شقيق الروح، ولازم من لوازم حياتها وسعادتها، أو شقائها ولذا قرن الله بينه وبينها في كتابه وقدمه في الذكر على النفس في مواطن الجهاد في سبيله فقال عز من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠]، وهكذا في غير ما آية. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]، وقال عز من قائل: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١]، وما ذلك إلا حفظًا للأموال وقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فقرن المال بالبنين وجعله زينة الدنيا معهم ومن عنده الزينة لا شك كان أزين من العاطل منها وأقدر على عمل الصالحات كما ورد في الصحيح[2] أن بعض الصحابة الفقراء قالوا: يا رسول الله، إن الأغنياء يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموال يتصدقون بها؟ فقال: «**ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه..**»، الحديث. وسمى الله تعالى المبذرين إخوان الشياطين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

فالنتيجة أن العبد المبذر في المال كفور ويستنبط منه بطريق اللزوم أن

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد التاسع والعاشر – ١٥/ ٧/ ١٣٤٧هـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٠٧، ٥٩٧٠)، ومسلم (٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المال نعمة وأن المبذر فيه كافر شديد الكفر بالنعمة.

وليس أفظع من هذا الوصف يوصف به إنسان في جنب تبذيره في المال وما ذاك كله إلا لشرف المال وكفى به شرفًا أنه مادة الحياة فلا تبنى الدور ولا تعمر المساجد والقصور ولا ينشر علم الجهاد ولا تستذل الآساد إلا بالمال وهو دية النفس ومهر النساء وسلاح الجبناء والشجعان ولسان العجم والعربان، ولكن المقامرين لا يعرفون قدره ولا يؤدون حق الله فيه بشكره والإرعواء عليه وصرفه في حقوقه، بل يدفعونه بالعشرات والمئات والألوف صفقة واحدة أو جزافًا بلا عد، طامعين أن يعود إليهما بأضعافه وما هي إلا لعبة واحدة حتى تذهب به كله فيقعد صاحبه مذمومًا ومخذولًا محسورًا محزونًا فلا ماله حفظ ولا عمره صان ولا شرفه أبقى ولا ربه خاف واتقى، فمثل هذا النار أولى به ولا عجب أن يعجل بنفسه انتحارًا إلى النار وبئس القرار وهذه عاقبة القمار.

لو كان الذين شغفوا بالقمار ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر لقلنا لهم اتقوا الله وارجوا اليوم الآخر أو لو كانوا يؤمنون بالقرآن لقرأنا عليهم آياته وقلنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

أجل لو كانوا يؤمنون بالقرآن لكفتهم هذه الآية ومثلها من الأحاديث في بيان ضرر القمار وبيان أنه رجس من عمل الشيطان، وأنه يصد عن ذكر الله، إلى آخر ما وصف الله، ناهيك أنه قرنه بالخمر والأنصاب والأزلام ولو كانوا يسمعون أو يعقلون لاعتبروا بما يقع بين أيديهم وبما يصيب إخوانهم من تخريب بيوتهم بأيديهم وتطليق نسائهم وتيتيم أولادهم بعد أن حرموهم من

أنسهم ليلًا ونهارًا وأفقروهم صغارًا وكبارًا.

فسبحان من أعماهم عن منافعهم وهم يزعمون أنهم متعلمون. وسبحان من أضلهم عن مصالحهم جزاء ما كسبت أيديهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ومن المصائب أن الإفرنج قد أفشوا هذا الميسر بطرق شيطانية غريبة واتخذوا له نوادي في المدن من أضخم العمارات وأثثوها بأحسن الأثاث وأفخر الرياش وجاءهم السادة الأغنياء فعكفوا على منضدة القمار كما يعكف عباد العجل على عبادته واحتضنوها كما يحتضن المحب حبيبه والوالدة ولدها طول الليل فيا ليتني كنت في عبادة الله كهؤلاء المساكين في عبادة (طاولة القمار) ويا ليتهم كانوا أسخياء في سبيل الله أو في مصالح بلادهم وفقرائهم وأقاربهم كسخائهم في الميسر الذي يغضب الله ويورثهم الفقر والفاقة والذلة والمسكنة حتى أن أحدهم يقوم آخر الليل عن (الطاولة) لا يجد أجرة سيارة ولا حمار وهو الذي يقال له: سعادة الباشا وصاحب العزة البك – فيا فرحة الشيطان به ليلة خسارته إذ يقول له وقد خسر عمره وماله وشرفه: أهلا بمن لا يفلح أهلا بذي الطلعة المشيءومة على نفسه وأهله وأمته بمثلك أنجح في مهمتي ويكثر أوليائي وأصل إلى بغيتي ألا تقامر فداك أبي وأمي بكل ما تملك بثيابك التي تستر بها نفسك، وهكذا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا.

ومن المصائب أن الإفرنج وأشياعهم لم يقتصروا على إغواء الكبار بل أرادوا طبع الصغار على هذا العار فاخترعوا لهم ألاعيب شتى وأدخلوها في التجارة وسموها (اليانصيب) في حلويات وغيرها، ويسميها الباعة (شختك بختك)، فيشتري الأطفال ظرفًا مقفلًا بقرش طمعًا أن يجد به ما يساوي

قرشين أو عشرة، فمرة يجد شيئًا يفرح به ومائة مرة لا يجد وبهذه الطريقة تنمو في الأطفال جذور الأطماع حتى تكبر معهم ويعسر تهذيبها وإصلاحها فإن لم تتدارك الحكومات الحازمة هذا الخطر الوبيل وتعالجه بالأدوية الفعالة حتى تستأصل جذوره قبل نموها، وإلا فبشرها بعذاب أليم في الدنيا والآخرة وذلك جزاء العالمين، وإنا لنأسف جد الأسف كلما سمعنا أن الداء سرى إلى النساء واتخذهن لهن نوادي للقمار وأنه أصبح من المدنية التي يزعم الملحدون أنها مدنية راقية يصلح بها المجتمع ولم نسمع أن حكومة من الحكومات قامرت ببلد ولا بمملكة ولا بمستعمرة من مستعمراتها ولا جعلت وزارة لها أسمتها وزارة القمار ولا مصلحة من المصالح وديوانًا من الدواوين فيا عجبًا من هذه المدنية التي لم يعرفها غير هؤلاء المساكين. اللهم اهدهم فإنهم لا يعلمون.

* * *



عقيدة أهل السنة

في كلمتي الشهادة التي هي إحدى مباني الإسلام(١)

نُشر في جريدة (التقوى) العدد (٨٧) ص ٥ الصادر في المحرم سنة ٥٠ كلام طويل في صفات الله تعالى، فيه الحق الموافق لعقيدة السلف الصالح، والباطل الذي لم يقولوه، ولم يروه عنهم راوٍ يوثق بعلمه وروايته.

ونحن مع حبنا للتقوى، واشتراكنا فيها، والعمل على إذاعتها، ونشرها، وترويجها بين الناس لم نرض هذا المقال لما جاء فيه من الكلام المبتدع؛ الذي هو بأهل الكلام والبدع أشبه منه بأهل السنة والجماعة، ونحن نبين ذلك فيما يلي إجمالًا:

قال: «**عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي إحدى مباني الإسلام**» فأشعر هذا العنوان صراحة أنه سيذكر عقيدة السلف الصالح – أي الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الذين جاءوا من بعدهم من حملة السنة ورواة الأحاديث النبوية – وأنه سيبين معنى كلمتي الشهادة، ولكنه مع الأسف لم يفعل ذلك، بل نقل لنا عقيدة خلفية كلامية، فيها ما يوافق عقيدة أهل السنة وفيها ما لا يوافقه.

إذ يقول: «عقيدتهم في ذاته – تعال وتقدس – أنه واحد لا شريك له، ولا ند له، ولا ضد له، ولا مثيل ولا نظير.. إلى قوله: وهو بكل شيء عليم». وهذا حق كله.

وأما قوله: «ليس بجسم مصور، ولا جوهر مقدر، وإنه لا يماثل الأجسام، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وإنه ليس بجوهر ولا بعرض

---

(١) صحيفة «صوت الحجاز»، العدد (١٤)، في ٧/ ٣/ ١٣٥١هـ.

ولا تحله الأعراض، ولا... ولا... ولا... ولا...».

فهذا لم يرد عن السلف، ولم تكن طريقتهم في وصف الباري جل وعلا السلب والنفي الكثير[١]، كما فعل هذا الناقل، وليته عزا ما نقله إلى من قاله من العلماء، أو عزاه إلى نفسه - إن كان هو قائله - بل نسبه إلى أهل السنة، وأهل السنة يبرءون من شيء اسمه جوهر وعرض وكلام مثل هذا.

إنما جاء لفظ جوهر وعرض في كلام المتكلمين وهذا من التكلف الذي لم يُؤمروا به، والإمام الشافعي رضي الله عنه كان يقول فيهم ما معناه: «إنما جزاء هؤلاء أن يُضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم راكبين إلى الخلف .. إلخ»[٢].

وطريقة القرآن في الصفات الإثبات. والنفي فيه قليل كما قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله في بعض كتبه.

فهذا الإمام الجليل والحافظ الكبير ألف في العقائد رسائل صغيرة وكبيرة، بين فيها عقائد السلف، ولم يزد شيئًا عما جاء في القرآن والسنة، فليت الكاتب نقل لنا شيئًا من تلك الرسائل، كالواسطية، أو شيئًا مما كتبه الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه «المقالات» أو الصابوني، أو الطحاوي، أو الإمام مالك رضي الله عنه، أو أحمد، أو أمثالهم من الأئمة.

ولعلنا ننقل هنا عقيدة الأشعري التي ذكرنا آنفًا ليعلم أكثر المنتسبين للأشعري أنهم ليسوا على شيء.

---

(١) قال ابن أبي العز رحمه الله في «شرح الطحاوية»: (يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلًا، والنفي مجملًا، عكس طريقة أهل الكلام المذموم: فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل) (١/ ١٦٥) ت/ د. عبد الله التركي والأرناؤوط.

(٢) قال ابن أبي العز رحمه الله في «شرح الطحاوية» (١/ ١١٩): (وقال الشافعي رحمه الله: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام) (١/ ١١٩) ت/ د.عبد الله التركي والأرناؤوط.

ولقد كان يكفي الكاتب: (ليس كمثله شيء) في النفي، ولكنه مسكين قلد في النقل ولم يكن له اختيار ولا اطلاع على مذهب السلف في العقائد، بل اتبع من يدعون أنهم أهل السنة، والمدعون كثير، ولم يميز بالبرهان والدليل من هم أحق بهذا اللقب العظيم (أهل السنة).

[١] وليعلم القارئ الكريم أن هذه الطريقة التي نقلها الكاتب لنا في جريدة (التقوى)، وزعم أنها عقيدة أهل السنة بهذا الأسلوب السلبي، إنما هي طريقة الجهمية النفاة الذين لا يصفون الله تعالى إلا بالعدم، حتى من إغراقهم في النفي يقولون: «لا هو فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا خلف ولا قدام، ولا وراء، ولا... و لا... و لا....».

ولو كلف أعقل العقلاء أن يصف العدم لما وصفه بأكثر من ذلك.

نعم! أثبت لله تعالى الاستواء على الوجه الذي قاله، ولو اقتصر على ذلك لكفى، ولكنه زاد فقال: «استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطفه، ومقهورون في قبضته... إلخ.

وفي هذا فضول لم يقله السلف، ولم ينطقوا بحرف منه، فيا ويل من يقول على الله ما لا يعلم، ويصفه بما لا يعرف من أدري هذا الكاتب بأنه لا يحمله العرش، وأنه استواء منزه عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول. ألا يجوز أن يكون ذلك كله أو بعضه مما يفعله الله تعالى، وهو على كل شيء قدير، وأن يكون للمماسة والاستقرار معنى آخر غير الذي يعرف كما للضحك والعجب[٢]، ومثل ذلك مما وردت به الأحاديث الصحيحة، وهل

(١) تتمة المقال في صحيفة صوت الحجاز العدد (١٥)، في ١٤/ ٣/ ١٣٥١هـ.

(٢) قال ابن العز رَحِمَهُ اللهُ في شرح الطحاوية: (وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به =

كُلفنا أن نشرح الاستواء كما شرحه هذا الكاتب؟ وهل كان السلف يقولون هذا؟! فليأتنا بالآثار وأسانيدها حتى نعلم مثل ما علم، وإلا فلا يقل: إن هذا عقيدة أهل السنة.

إن الإمام مالكًا رضي الله عنه - وهو إمام أهل السنة في عصره، وناشر علمها في وقته - سُئل عن الاستواء فلم يزد على قوله: الاستواء معلوم، والكيف

= نفسه ولا وصفه به رسوله نفيا ولا إثباتًا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون. فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعانى، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحًا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك). (١/ ٣٣٠) ت/ د. عبد الله التركي والأرنؤوط.

وقال - أيضًا - شارحًا قول الطحاوي - رحمه الله -: قوله: (وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه).

ش: أما قوله: «وهو مستغن عن العرش وما دونه». فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: الآية ١٥].

وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه للعرش واستواءه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالي، محيطًا به، حاملا له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرا إليه. فانظر إلى السماء، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته ﷻ به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش؛ وعدم حصر العرش له. وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق (٢/ ٤٢٩).

مجهول، والسؤال عنه بدعة[١]. فهل عجز مالك عن وصف الاستواء – ومقامه من اللغة والعلم والدين مقامه – ويقوى عليه حضرة الكاتب أو من نقل عنه؟ سبحان الله!.

هل قال رسول الله ﷺ، وهو المأمور بالتبليغ والدعوة إلى ربه – والدعوة إلى الله فرعٌ عن معرفته سبحانه – هذا الكلام؟ وهل قال: فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدًا عن الأرض والثرى؟ وقال: وإنه لا يحل في شيء، وإنه بائن من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته؟! ما هذا الكلام الفارغ الذي ينقل مثله عن الجهم بن صفوان والمريسي وأضرابهما من الدخلاء في الإسلام.

ثم أخذ يتكلم على الحياة والقدرة والعلم والإرادة وسائر الصفات التي اختارها الخلف كالسنوسي، وقسموها إلى أربعة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعان، ومعنوية، وجعلوها عشرين. وهذا الحصر والتقسيم لم يرو عن السلف الصالح الذين هم أهل السنة بالحق، وهو قول على الله بغير علم.

وقد حرم الله تعالى في كتابه في جملة ما حرم القول عليه جل وعلا بغير علم.

فقال عز من قائل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فتأمل رحمك الله كيف قرن القول عليه بغير علم بالشرك وعطف عليه؟ وكيف عده من جملة الفواحش التي حرمها؟ فيجب أن يقف المسلم في

---

(١) ذكره في شرح الطحاوية في عدد من المواضع، انظر (١/ ١٨٨)، (٢/ ٤٣٠)، (٢/ ٧٠١). وجاء في الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/ ١٥٢) عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ابن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله تعالى الرسالة، وعلى النبي البلاغ، وعلينا التصديق.

العقائد – ولا سيما صفات الله تعالى وأسمائه – على ما ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا بغير زيادة ولا نقص.

[(١)] وللعالم الداعي إلى الله أن يناظر أصحاب النحل بالطرق التي يمكنه إقناعهم بها، ويخاطبهم بما يعرفون من قواعدهم وأساليبهم حتى يرجعوا إلى الحق، كما كان يفعل الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من علماء المسلمين في الرد على أهل البدع، ولكن لا يكون كلامهم في هذه المناظرات والمجادلات من العقائد التي تنشر في جريدة كالتقوى لعوام المسلمين؛ فإن جمهور الناس لا يعرفون جوهرًا وعرضًا ولا كلامًا مثل هذا.

وليت شعري من الذي قال لهذا الكاتب: صف لنا ربك بغير ما وصف نفسه، وغير ما وصف رسوله ﷺ حتى تكلف أن يقول لنا: «يرى من غير حدقة ولا أجفان، ويسمع من غير صمخة وآذان، كما يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آله» معللًا هذا كله بقوله: «إذ لا تصبح صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق».

ويمكن أن يُرد هذا التعليل بأن لا داعي له، وأن الله لم يكلفنا ذلك، وبأنه يجوز أن يكون سمعه بآذان لا تشبه آذان المخلوقين، وأن له قلبًا لا كقلوب المخلوقين مثلًا. ويمكن أن يقال مثل ذلك في الرؤية والخلق، ولا سيما أنه ورد في القرآن: أنه خلق آدم بيده، وإذا كان باب الإمكان واسعًا، فلماذا لا نقف عند وصف الله نفسه، ووصف رسوله ﷺ إثباتًا ونفيًا؟ ونتبع طريق السلف في ذلك، وقد نقلنا آنفًا ما روي عن مالك.

فإن قال قائل: هذا مقتضى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] و ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

---

(١) تتمة المقال في صحيفة صوت الحجاز العدد (١٦)، في ٢١/ ٣/ ١٣٥١هـ.

قلنا: وهل عجز السلف عن شرحها؟ أم ترك الرسول لكم بيانها؟ أم لم يسعكم ما وسع الصحابة والتابعين فيها؟.

وبعد هذا كله فما معنى كلمتي الشهادة التي وعد الكاتب ببيانها بمقتضى عنوانه؟ إن كان هذا فلا نسلم، وكل ذي مسكة من عقل ونهلة من علم ينكر أن يكون هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسوله الله.

وإنما معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتراف والإذعان بأنه لا معبود حق إلا الله، وأن محمدًا ﷺ رسوله، فهذا ما تدل عليه كلمة الشهادة بالمطابقة، وتدل باللزوم على وجوب الطاعة لله ولرسوله على المعترف المذعن، ومن الطاعة الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه من القول بلا علم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وفي هذا القدر كفاية لمن أراد الحق، ومن شاء مزيدًا فعليه بالواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح الطحاوية المطبوع على نفقة الإمام عبد العزيز آل السعود – وفقه الله وأيده بنصره – وغير ذلك من كتب السنة وتفسير السلف.

والله الموفق، لا رب غيره ولا إله سواه.

* * *

بيان حقيقة ورد شبهة(١)

كتبت مقالًا تحت عنوان (الإسلام والمسلمون) متحريًا فيه دعوة المسلمين بالتي هي أحسن إلى الوفاق والوئام وترك الشقاق والخصام، وبينت بالإجمال ما كان عليه السلف الصالح، وما عليه المسلمون اليوم في جريدة «الإسلام» فكتب حضرة محرر «الإسلام» يرد على هذا تحت عنوان (رد عليه)، وتشبث حضرته بمثل ضربته، وهو اختلاف المسلمين في الوسيلة إلى الله اختلافًا جرَّ عليهم فتنًا عظيمة، وبلايا جسيمة صدعت وحدتهم وفرقت كلمتهم، ولم أتعرض لتصويب فريق وتخطئة فريق، بل قمت بينهم داعيًا إلى التوفيق لا أكثر ولا أقل، فرماني حضرة الأستاذ بما رماني في مقاله، وزعم أنني متعصب لجماعة يرون قصر الناس على مذهبهم ورأيهم، وأن الدين أنزل واسعًا فضيقناه، وقد بنى هذا الرد وتلكم التهم على فهمه في الوسيلة ورأي لم تسمعه الأمة. وهو أن الوسيلة إلى الله من المسائل الفرعية التي يعذر الناس فيها حسب اختلافهم في الأذواق والفهم والاجتهاد.

وهذا يبطله القرآن والسنة والعقول السليمة. برهان ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

ولا ريب أن النبي ﷺ بين للناس معنى هذه الوسيلة، وكل ما يقربهم إليه تعالى قولًا وعملًا وتقريرًا؛ فبين الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وأنواع البر كلها كما أمره الله تعالى في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾. [النحل: ٤٤]

(١) صحيفة «صوت الحجاز»، العدد (٨)، في ٢٤/ ١/ ١٣٥١هـ.

وقال تعالى في بيان الوسيلة إليه أيضًا: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

فبين أن الزلفى إليه بالإيمان والعمل الصالح، وقد ذكر الله تعالى الإيمان والعمل الصالح في كتابه أكثر من مائتي مرة، حتى في أقصر سورة وهي:

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. وأخبر بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية، وأن الذين كفروا أولئك هم شر البرية.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل: «**من عادي لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بأفضل مما افترضت عليه**» الحديث(١).

قد بين تعالى في كتابه، كما بين رسوله ﷺ في سنته أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يفوز برضى الله وجزائه إلا بالإيمان والعمل الصالح قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ووعد من آمن وعمل صالحًا بالحياة الطيبة والجزاء الحسن في الآخرة في غير ما آية.

فليقرأ الأستاذ المحرر القرآن والسنة، وليتدبرهما يجد الوسيلة ليست بالرأي والذوق والمواجيد، ولو كانت الوسيلة إلى الله بالرأي والذوق لما بعثت الرسل ولما كان ثَم حاجة إلى بعثهم وهديهم وإرشادهم، فإنهم ما أرسلوا ولا بعثوا إلا ليعلموا الناس كيف يتوسلون إلى ربهم ويتقربون إليه، فالوسيلة إلى الله والتقرب إليه هو أصل الدين، لا من المسائل الفرعية.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦١٣٧).

[1]وقد بين الله تعالى وسيلة المشركين في كتابه كي نتقي ونحذر، ولكن غلب على بعض النفوس الجهل والشقاوة فلم تفهم هذا البيان.

قال تعالى في الوسيلة الشركية: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ الآية [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

قال ابن عباس وغيره[2]: كانوا يدعون الملائكة والعزير وعيسى ابن مريم وأمه؛ يتوسلون بهم إلى الله، فأخبر الله تعالى أن المدعوين أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة بالعمل الصالح.

فالوسيلة للخلق كلهم إلى الله واحدة. غاية الأمر: كل يأخذ منها حسب استطاعته واستعداده ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٢]. صدق الله العظيم.

وقال تعالى أيضًا في وسيلة المشركين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

وحكى عنهم أنهم كانوا يدعون الله مخلصين له الدين في أوقات الشدة والضر في غير ما آية قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ الآيات [العنكبوت: ٦٥].

وقال تعالى في التوسل إليه في الدعاء: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأحاديث أدعية الرسول ﷺ وأصحابه أكثر من أن تذكر هنا فليراجعها

---

(١) من هنا تتمة المقال في صحيفة «صوت الحجاز»، العدد (٩)، في ١/ ٢/ ١٣٥١هـ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، عند تفسير هذه الآية.

من شاء في البخاري ومسلم، وغيرهما من كتب السنة فلا يجد فيها: بجاه فلان، ولا حق فلان.

فتبين بهذا كله أن الوسيلة إلى الله أمر شرعي، لا مدخل للرأي فيه ولا الاجتهاد وكل أمر شرعي لايثبت إلا بكتاب أو سنة صحيحة فهاتوا برهانكم على ما تدعون إن كنتم صادقين.

وأما المسائل الفرعية التي يسوغ الاختلاف فيها باختلاف الفهوم والأذواق فمثل اختلافهم في النية في صوم رمضان وصوم النوافل، فالصوم نفسه وسيلة إلى الله ثابت بالكتاب والسنة لا خلاف في فرضيته، وإنما الخلاف في مسائل تحته تتعلق به، فمنهم من يقول بوجوب تبييت النية، ومنهم من يقول يكفي من أول ليلة، ومنهم من يقول لو أصبح صائمًا لكفاه ولو لم ينو، ونحو ذلك.

ولم يختلف العلماء في أن الوسيلة إلى الله لا تثبت إلا بالنصوص الشرعية؛ لأنها عبادة كما قدمنا، والعبادة لا تكون بالرأي ولا بالعقل.

(١) ومما تقدم يفهم العقلاء أن الله تعالى قد بين في كتابه الوسيلة الشرعية والشركية، فالوسيلة الشرعية هي تقوى الله والجهاد في سبيله والإيمان، والعمل الصالح داخلٌ في مسمى التقوى. والوسيلة الشركية كانت ولا تزال بالأشخاص الميتين المعتقد فيهم القرب من الله تعالى.

ولوكان الناس يدعون الله تعالى بجاه النبي ﷺ ويقتصرون على جاهه دون غيره لهان الأمر ولمَا كان ذلك شركًا وإنما كان بدعة فقط؛ لأنه لم يرد عن الرسول ﷺ ولا أصحابه؛ ولأن الله تعالى يقول: وقوله الفصل - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأدعية الرسول ﷺ تبين معنى هذه الآية،

---

(١) تتمة المقال في صحيفة صوت الحجاز، العدد (١٠)، في ٨/ ٢/ ١٣٥١هـ.

وتعليمه للصحابة كذلك. فليتق الله من يريد النجاة لنفسه، قال الإمام علي كرم الله وجهه: لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه[1].

وأما جعل الزعامة الإسلامية قسمين؛ زعامة دينية، وزعامة سياسية، وتفريق حضرة المحرر بين الزعامتين، فهي فكرة غير إسلامية، وليدة هذا العصر الموبوء بالإلحاد والزندقة، وهي فكرة تصرح عن باطنها وتعلن عن نفسها بأن الدين الإسلامي لا يصلح للسياسة ولا للحكم، وإنما هو عبارة عن عبادة في المحاريب، وعلاقة بين العبد وربه لا أكثر ولا أقل، كما قالها بعض الملاحدة من مقلدة الإفرنج.

والقرآن والسنة مصرحان بخلاف ذلك، وناطقان بأنه دين السياسة الحكيمة والمدنية الصحيحة، وسيرة النبي ﷺ بين أيدي الناس شاهدة بأنه ﷺ كان يقود الجيوش، ويقرأ ويكتب للملوك يدعوهم إلى الإسلام، ويبعث البعوث ويحكم بين الناس بهذا القانون السماوي، في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥]، ولو كان دين عبادة في المحاريب فقط؛ لما أمر الرسول ﷺ أن يحكم به بين الناس، ولما كان ثمة ما يدعو إلى الحكم بينهم؛ إذ الحكم لا يكون إلا في الخصومات، والعبادات لا خصومة فيها بين العبد وربه، وإنما هي بين العباد بعضهم لبعض، فمن قرأ سورة الأنفال والتوبة على الأقل علم يقينًا لا شك فيه أن الإسلام دين عبادة وسياسة؛ جمع بين الأمرين. وبما جرى من سيرة النبي ﷺ وخلفائه يتبين صدق ما نقول، وأن التفريق بين الزعامتين رأي مأفون، وبالله التوفيق.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٤٧٨)، وأبو داود (١٤٠)، وصححه الألباني رحمه الله في إرواء الغليل (١٠٣).

إجابة على استفتاء ديني[1]

حضرة المحترم صاحب جريدة «صوت الحجاز» الغراء.

سلامًا واحترامًا. وبعد: فقد ورد إليَّ الكتاب التالي من أحد الحجاج المصريين أرجو نشره والجواب عليه إحقاقًا للحق، وإجابة للسائل المحترم، ولكم الشكر. وهذا نص الخطاب بالحرف:

«**مولاي الإمام الفاضل:**

لقد أترعتم قلبي وشرحتم صدري يوم وقفت على درسكم الموقر، ورأيتكم تدعون الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ ولذا شجعتموني على أن أسألكم ما يأتي، وما أردت أن أبين بين الناس، فأستحلفكم بالله ألا تسألوا عن السائل من هو؟ وأفيدونا في الدرس مما علمكم الله، وزادكم علمًا، وجعلنا وإياكم من المقربين إليه بإجابة داعي الله.

يقول مؤلف كتاب التوحيد لمجد عبد الوهاب - كذا -[2] صحيفة ٣٠ - كذا -: أن السيد هو الله، واستدل بحديث القوم الذين قالوا له: يا سيدنا.. إلخ. فقال لهم النبي ﷺ... الحديث.

فهل إذا قلنا: سيدنا محمد، كما لو قلنا: إلهنا محمد - نعوذ بالله من الشرك - وإلا فما معنى قول الشيخ وقصده، وما معنى ذلك؟

نريد الاستفادة والعلم فقط، لا الجدال، وأيضًا نداءنا - كذا - في المسجد النبوي عند السلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقولنا: السلام عليك (يا) رسول الله، و(يا) أبا بكر، و(يا) عمر. وفي قراءة التحيات:

---

(١) صحيفة صوت الحجاز، العدد (٤) في ٢٦/ ٢/ ١٣٥٠هـ.

(٢) ومراده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

السلام عليك أيها النبي . أفليس هذا نداء للغائب؟ - كذا- وهل يجوز أو نقول - كذا -: السلام على رسول الله، بدون ياء النداء؟ وأن الصحابة كانوا يقولون ذلك في حياته، وما قولكم فيمن يصرخ في الناس على غفلة منهم ويقول: وحدوه. ولا يقول: وحدوا الله؟».

«حاج مصري»

هذا نص كتابه بحروفه.

والجواب عليه أنا نقول: إن الشيخ الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في كتابه التوحيد صحيفة (١٢٨) طبعة منير، وصفحة (٦٩) طبعة المنار مع مجموعة التوحيد ما نصه بالحرف:

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسدِّ طرق الشرك:

عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**». رواه أبو داود[1] بسند جيد.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا فقال: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّ وَجَلَّ**». رواه النسائي[2] بسند جيد.

ثم قال بعد ذلك: «فيه مسائل؛ الأولى: تحذير الناس عن الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٠٦) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٠٠٧٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٩٧).

الثالثة قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**». مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «**ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي**». اهـ بنصه.

فلو أن حضرة الكاتب تدبر الترجمة أولًا، والمسائل التي استنبطها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثانيًا لفهم المقصود، وهو أظهر من وضح النهار، والترجمة مطابقة لما أورد الشيخ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فإن النبي ﷺ نهى القوم عن مواجهتهم إياه بالسيادة والإطراء، وإن كان ما قالوه حقًا كما ذكره الشيخ؛ خوفًا عليهم من الغلو الذي وقع فيه النصارى؛ ولذا قال ﷺ في الصحيح[1]: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، وإنما أنا عبد الله ورسوله**». وكان ﷺ يرى الشرف كل الشرف في هذه العبودية.

[2] وقد جاء في الصحيح[3] أيضًا أنه ﷺ خير بين أن يكون ملكًا رسولًا، أو عبدًا رسولًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا، وقد وصفه الله تعالى في أشرف مقاماته بالعبودية فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

فأراد ﷺ أن يسد ذريعة الشرك بنهيه ذاك، وأن يعرفهم أنه لا يحب الإطراء والمدائح كالملوك والأمراء والمتكبرين في الأرض بغير الحق، وأن يعلمهم أن السيد في الحقيقة هو الله، وأنه لم يبعث إلا لدعوة الناس إلى الله ودلالتهم عليه وإرشادهم إليه، وبيان ما يحب ويرضى منهم، لا إلى دعوتهم

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث ابن عباس عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تتمة المقال في صحيفة صوت الحجاز، العدد (٥)، في ٣/ ١/ ١٣٥١هـ.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩١).

إلى نفسه طلبًا للتعاظم عليهم، والتعالي والتكبر كالملوك والسلاطين، وقد عرفهم ﷺ بذلك حق الله عليهم وحق رسوله، وحمى حِمى التوحيد من شوائب الشرك والغلو وقد اعترف الشيخ رَحِمَهُ الله أنهم لم يقولوا في تسويده وإطرائه إلا حقًا، وهذا دليل واضح على كذب الذين ينسبون إلى الشيخ وأتباعه إنكار سيادته ﷺ ولم يرد رَحِمَهُ الله أن من قال: سيدنا محمدًا، كمن يقول: إلهنا محمد – كما فهم الكاتب – على أن كثيرًا من الجهلة قد ألهوا الرسول ﷺ ومن دونه من المخلوقات بالنحر، والنذر، والدعاء، والطواف، وطلبوا منها ما لا يطلب إلا من الله، وهم مع ذلك لم يقولوا إنها آلهة أو أنا ألهناها فمثلهم في ذلك كمن يزني ولا يقول لفعلة الفاحشة: زنى. وكمن يشرب الخمر ويقولون: إنه مبسوط، وكالنساء تتبرج وتسمي ذلك مدنية وموضة، فكذلك جهلة المسلمين يؤلِّهون غير الله ببعض العبارات، ولا يسمون ذلك الغير إلهًا كما كان الجاهلية يسمونه، كأن الله تعالى نهاهم عن التسمية لفظًا وأمرهم بتأليه غير فعلًا، وهذا ضلال مبين.

وقد وقع الناس فيما خافه الرسول ﷺ عليهم فقال شاعرهم[1]:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وقال أيضًا:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا لو سمعه الرسول ﷺ وهو حي لأنكره وأدب قائله الأدب البليغ، ولو كان هذا الشاعر يعلم علم اليقين أن الله أرحم الراحمين للاذ به دون الرسول ﷺ، ولو كان يعلم أن الله لطيف بعباده، وأنه يجيب من دعاه، وأنه

---

(١) وهو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري (٦٠٨-٦٩٦هـ). من أشهر قصائده البردة. «محبة الرسول بين الاتباع والابتداع» (ص ٢٥٠).

أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه معه أينما كان لما قال هذا القول.

وبالجملة فقد تبين مقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأما قول الكاتب: «وأيضًا نداؤنا في المسجد النبوي ... إلخ. وقولنا في التحيات: السلام عليك أيها النبي» - بكاف الخطاب -.

فجوابه: أن النداء في قولنا: السلام عليك يا رسول الله – عند قبره الشريف، أو بعيدًا عنه، وفي التحيات – ليس محظورًا وليس هو من قبيل دعاء أو نداء غير الله المعدود شركًا؛ إذ ليس كل دعاء وكل نداء شركًا حتى يحتج علينا محتج بمثل هذا وإنما نقول دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله – بهذا القيد – فمن فهم هذا زال عنه الإشكال.

وأن قولنا: السلام عليك يا رسول الله ، ويا أبا بكر، ويا عمر، ليس فيه طلب شيء من الرسول ﷺ ولا أبا بكر ولا عمر، بل قولنا: السلام عليكم. دعاء لهم وردت به السنة، فيجب أن نقف عنده ولا نزيد عليه ونقيس في دين الله بدون حاجة إلى القياس؛ على أن أهل القياس كالشافعي وأضرابه من الأئمة لم يستعلموا القياس إلا عند عدم النص، وهنا النصوص مستفيضة في السنة بالنهي عن دعاء غير الله، وفي كتاب الله تعالى.

[1] وأما شبهة مخاطبة الغائب بكاف الخطاب ففي اللغة العربية[2]... فالمقصود .... [3]: المخاطب وتنزيله منزلة الحاضر؛ لما في ذلك من كاف الخطاب، والمناجاة ومساعدة النفس على تصدر المعاني، وتأثرها، وأحيانًا يخاطب الحاضر مخاطبة الغائب لأمور تقتضي ذلك؛ بينها علماء البلاغة،

---

(١) تتمة المقال في صحيفة «صوت الحجاز»، العدد (٦)، في ١٠/ ١/ ١٣٥١هـ.

(٢) غير واضح في الأصل.

(٣) طمس في الأصل.

وذكرها أهل اللغة قال الشاعر[١]:

عجبت لمسراها وأني تخلصت إلي وباب السجن دوني مغلق
ألمت وحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق

ثم قال بعد ذلك مخاطبًا إياها وهي غائبة:

فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم بشيء ولا أني من الموت أفرق

ومن شعر أمير الشعراء شوقي بك في روايته «كلوبترا» بعد ما قتلت نفسها أخذت إحدى جواريها الحية التي قتلت بها نفسها وقالت: كلوبترا، ويا أسفى عليك يا كلوبترا.

فهذه الجارية تخاطب كلوبترا وهي ميتة، وهذا كثير. وليس كل خطاب الغائبين والميتين من الشرك وإنما دعاؤهم وطلب العون منهم والاستغاثة بهم وطلب المدد منهم هو الشرك.

وأما قول الكاتب: «وما قولكم فيمن يصرخ في الناس على غفلة منهم ويقول: وحدوه. ولا يقول: وحدوا الله».

فجوابه: أن بعض العوام يقولون هذه الكلمة وقصدهم تذكير الناس بالله تعالى وتنبيههم إلى ذكره تعالى.

وأكثر ما يستعملون هذه الجملة هنا في الحجاز؛ في تشييع الجنازات، ولا ريب أن هذا القول بدعة؛ إذ لم يكن الصحابة ولا التابعون يفعلون ذلك. وسواء قالوا: وحدوه، أو وحدوا الله، فالأمر ظاهر، فإن الضمير في وحدوه معلوم أنه لله. وقد تضمر العرب في موضع الإظهار إذا كان المضمر معلومًا، كما في قوله تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ [طه: ٥٥]. أي من الأرض ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ [طه: ٥٥]، وكقوله جل شأنه: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]. أي: الشمس.

(١) وهو جَعْفَر بن عُلْبَة الحارِثي. «الحماسة البصرية» (ص ١٥٨).

أما إذا قال أحدهم للناس: وحدوه، أو وحدوا الله، على غفلة منهم في غير تشييع جنازة، فهو أمر بمعروف كقولك: صلوا على النبي ﷺ.

هذا ما بدا للعاجز، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

بدع نصف شعبان[١]

١- قراءة يس مرة بنية طول العمر، ومرة لتوسيع الرزق، ومرة لغفران الذنوب.

٢- صلاة نوافل، وغسل لهذه الصلاة.

٣- دعاء مخصوص يطبع ويفرق بثمن على الناس، وبعض مشايخ الطرق يزيدون قراءة دعاء يسمونه دعاء يس.

٤- زعمهم أن بئر زمزم يزيد في ليلة نصف شعبان، ويجتمع لذلك النساء والرجال، وهذه البدعة خاصة بمكة المكرمة.

٥- إسراج المساجد في غير مكة والمدينة، والاجتماع فيها، وقراءة الدعاء المعلوم؛ اللهم يا ذا لمن ولا يُمن عليه يا ذا الجلال والإكرام.. إلخ.

وما ندري لهذه البدع كلها دليلًا من كتاب ولا سنة ولا عمل سلف. مع أن الناس يعنون بهذه الليلة أكثر من عنايتهم بليلة القدر التي جاء في فضلها وفضل قيامها الكتاب والسنة، والمرجو من إخواننا المسلمين أن ينتهوا عن هذه المحدثات، وأن يتوبوا إلى الله، ولا يتقربوا إليه جل شأنه إلا بما شرع في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فإن التقرب إليه تعالى بما لم يشرع غير مقبول كما قال النبي ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[٢] وقوله في حديث آخر: **«وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[٣].

إن التوبة إلى الله واستغفاره والتمسك بشرعه موجب لرضاه جل وعلا،

---

(١) صحيفة صوت الحجاز، العدد (٣٦)، في ١٤/ ٨/ ١٣٥١هـ.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٥٥٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٧).

والمخالفة واتباع الهوى موجبان لسخطه، وسخطه موجب للعقاب في الدنيا والآخرة.

وليعلم الذين يهمهم معرفة الحق والعمل به، أن زمزم لا تفور في هذه الليلة، ولم يرد بذلك حديث ولا أثر، وإنما هي خرافة من الخرافات التي يختلقها الناس لأغراض دنيوية مادية، فعلى العقلاء أن لا يصدقوا كل ما يقال إن صدقًا وإن كذبًا حتى يتحققوه[1]، وقد حقق أهل الصدق هذا الأمر فلم يجدوه صحيحًا. والسلام.

* * *

(١) في الأصل (يحتقره)، ولعل الصواب ما أثبتناه.

أحاديث موضوعة

يجب التنبيه لها(١)

كثيرًا ما يُسمع من العوام أحاديث يعزونها إلى رسول الله ﷺ، وهي كذب لا أصل لها في دواوين السنة المعتبرة عند المسلمين، كالبخاري ومسلم والسنن الأربع أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ولا غيرها كالموطأ ومسند أحمد رحمهم الله تعالى.

وذلك مثل قول بعضهم: «النائم في مكة كالعابد في غيرها». وكم اغتر بمثل هذه الأحاديث أناس؛ حتى لو ارتكبوا الفسوق والعصيان جراءة على الله.

وقد قيل في المدينة أحاديث مثل هذه، والناس لا يفرقون بين صحيحها من سقيمها، وكثير من الكتاب يكون كالعوام في مثل هذا التساهل من عزو أحاديث إلى رسول الله ﷺ لم يقلها، ولم تأت بأسانيد تدل على صلاحيتها للاستدلال.

وقد قال النبي ﷺ: «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»(٢).

لذلك ننصح لكل مسلم ألا يعزو حديثًا على النبي ﷺ حتى يعلم قيمته من الصحة أو الضعف، والله أعلم.

* * *

---

(١) صحيفة صوت الحجاز، العدد (٣٥٢)، في ١٤/ ١/ ١٣٥٨هـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٢٩)، مسلم (٣).

ليس بحديث[1]

قرأت في العدد الماضي في المحاضرة التي نشرت عن الإمام مالك للأستاذ السيد أحمد العربي معزوًا إلى رسول الله ﷺ: «**اختلاف أمتي رحمة**»[2].

فنطالب صاحب المقال بتصحيح الحديث، وأن يذكر من رواه، وفي أي كتاب من كتب السنة وجده.

أما نحن فنرى أن هذا الحديث باطل قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. صدق الله العظيم، وقد نهى الله تعالى في كتابه العزيز في غير ما آية عن التفرق في الدين فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وفي القرآن كثير مثل هذا، والأمر بالاتحاد والاعتصام بكتابه.

وهذا كله يعارض هذا الحديث ويدل على بطلانه؛ لأنه يدعو إلى الاختلاف، ويدل على أن الاختلاف رحمة، وهذا خلاف تعاليم الإسلام.

فنرجو ممن يكتبون في الدين أن يلاحظوا ما يكتبون، لا سيما أحاديث الرسول ﷺ، والله المستعان، وهو الموفق، ولئن كان الكاتب عزيزًا لدينا فالنصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين أعز.

---

(١) صحيفة البلاد السعودية، العدد (٧١٢)، في ١٦/ ٦/ ١٣٦٧هـ.

(٢) قال الألباني رحمه الله في الضعيفة (٥٧): لا أصل له .ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا...إلخ.

الحج المبرور[١]

الحج المبرور المقبول لا جزاء له إلا الجنة، وإنما يكون الحج مقبولًا إذا اقتُدي فيه برسول الله ﷺ، وخلا من جدال ورفث وفسوق، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[٢].

والرفث يطلق على الجماع ومقدماته من قول وفعل وعلى الفحش، فينبغي للمحرم أن يصون لسانه من السفاسف.

مواقيت الإحرام

مواقيت الإحرام؛ هي الأماكن التي متى وصل إليها مريد الحج أو العمرة أو حاذاها، أن يتجرد من ثيابه، ويتزر، ويرتدي، ويحرم بما يريد من حج أو عمرة أو يقرن بينهما، فيقول: لبيك اللهم حجًّا، أو لبيك اللهم عمرة وحجًّا.

والإفراد بالحج أفضل لمن أمكنه أن يؤدي العمرة في سفرة أخرى. والقران أفضل لمن ساق الهدى من الخارج - أي خارج المواقيت - وإلا فالتمتع أفضل، وقد أمر النبي ﷺ كل من لم يسق الهدى من أصحابه أن يتمتع، بأن يلبس ثيابه، ويحل من إحرامه بعد أن يطوف ويسعى ويفدي بذبيحة إن قدر، وإلا صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه أمر كل من لم يسق الهدى بالتمتع، ولما تقاعس بعضهم عن أمره ﷺ قال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما**

(١) صحيفة صوت الحجاز، العدد (٢٩٤)، في ٦/ ١٢/ ١٣٥٦هـ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة.

سُقت الهدى ولتمتعت»[١]، وذلك أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قارنًا. هذه سنة رسول الله ﷺ.

ومتى تجرد الإنسان من ثيابه، وقال: لبيك اللهم حجًّا أو عمرة، فقد دخل في الإحرام كالذي يدخل في الصلاة بالتكبير، ومتى دخل في الإحرام حرم عليه الطيب، والنساء، وتقليم الأظفار، ونتف الشعر، وصيد البر، والإعانة عليه، ولا يزوج، ولا يتزوج، ولا يخطب أيضًا خطبة الزواج.

والمقصود من هذا الإحرام وأعمال الحج كلها الإقبال على الله بكليته، والتجرد من الدنيا،والظهور بمظهر التارك لها الزاهد فيها الزاري عليها، السائر إلى الآخرة لا يشغله عنها شاغل ولا يلهيه ماله كائنًا ما كان.

إذا احتاج إلى لبس ثوب، أو قص شعر، أو حلقه لمرض، أو نحوه، فعله، وعليه فدية من صيام، أو صدقة، أو نسك بعده؛ أعني صيام ثلاثة أيام، أو صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، أو ذبح شاة يفرقها على المساكين، لا يأكل منها، بخلاف فدية التمتع.

فإذا كان يوم التروية؛ وهو الثامن من ذي الحجة، أحرموا بالحج، وخرجوا محرمين إلى عرفات، فإذا وصلوا إلى منى وهي في طريقهم حطوا رحالهم، وصلوا فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وباتوا فيها، فإذا طلع الفجر صلوا فيها الصبح، وخرجوا منها بعد طلوع الشمس آمِّين عرفة عن طريق (ضب) المسمى بالقناطر؛ «أعني: قناطر عين زبيدة» ولعرفات حدود وأعلام ظاهرة، ويجب على الحجاج أن يجاوزوها إلى داخل الوادي، وهناك يحطون رحالهم، وينصبون خيامهم، فإذا حان وقت الظهر صلوه مع العصر، إما مع الإمام إن أمكن في مسجد نمرة؛ وهو في حدود عرفات إلى

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٦٥١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الغرب، وإلا صلوا في أماكنهم جامعين بين الظهر والعصر بإقامتين، قاصرين بهما، وذلك أن يؤذن لهم أحدهم ويقيم الصلاة، فيتقدم إمام منهم، ويصلون الظهر ركعتين، فإذا انتهوا منه أقاموا العصر فصلوه ركعتين أيضًا، ثم يذكرون الله بالأذكار المشروعة، بلا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ويسألونه، ويدعونه بما شاءوا من خير الدنيا والآخرة، وينبغي أن يدعوا بأدعية مأثورة، أو بما شاءوا من الأدعية التي لا تخالف السنة، متأدبين بأدب سيد المرسلين ﷺ.

والحذر أن يسأل الحاج ربه بغير أسمائه الحسني؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فمن قال: بحق فلان، وجاه فلان، فدعاؤه مدخول غير مقبول.

وهكذا يظل الحاج يذكر ربه ويدعوه حتى تغرب الشمس تمامًا، وبعد الغروب يرتحلون، وعرفات كلها موقف، فقد قال ﷺ: «**وقفت ها هنا وعرفات كلها موقف**»[(١)]. فلا يشقن حاج على نفسه ويتكلف طلوع جبل الرحمة، أو خلافه.

والوقوف بعرفات من أهم أركان الحج، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**الحج عرفة**»[(٢)] ولا عجب، فإن لهذا الموقف الجامع من الروعة والتأثير الروحاني في الأفراد والجماعات ما لا يبلغ كنهه وصف قلم، ولا تعبير لسان.

ففي هذا الموقف العظيم يفاض على النفوس بفيوضات ربانية، ويشعر الناس بعظمة ربهم وغناه، وفقرهم إليه، وحاجتهم القصوى إلى رحمته

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر الطويل.

(٢) صحيح: رواه أحمد ٤/ ٣٠٩، والترمذي (٨٨٩)، ابن ماجه (٣٠١٥)، والنسائي (٣٠١٦) من حديث جابر بن يعمر، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣١٧٢).

ومغفرته ورضاه، وتشعر النفوس بهزة رحمانية تساقط عنها ذنوبها، وتغمرها بعطف إلهي تخرج به نقية من سيئاتها، فيا له من موقف يذكِّر الإنسان موقفه بين يدي ربه، ويعيد له ذكريات تجعله خاشعًا بين يدي ربه، يرجوه ويستعطفه بلسان حاله وقاله، ولسان حاله أبلغ من لسان قاله، وهنالك يرى إخوانه في زي واحد متجردين مثله، لا فرق بين غني وفقير، ولا ملك وصعلوك، كلهم يدعو ربه بلغته مع اختلاف اللغات، وتباين اللهجات، والله يعلم كل ذلك.

فهذا الموقف صفحة مصغرة من صفحات يوم الحشر، ومثال يزيد المؤمن إيمانًا بذلك اليوم العظيم، ويذكره به حتى يعمل له ويتزود للمسير إليه، وكلما تذكر الإنسان معنى ما يقول من التلبية مثلًا زادت معرفته بربه، وتأثره بما يقول.

وهناك في هذا الموقف العظيم يتجلى الله على عباده الذين سبقت لهم منه الحسنى، فيناجونه بحوائجهم، ويخاطبونه بلا واسطة قائلين: لبيك اللهم لبيك، أي إجابة بعد إجابة، أي دعوتنا ربنا إلى بيتك فلبيك اللهم لبيك.

الإفاضة من عرفات

إذا غربت الشمس جاز للحجاج أن يفيضوا، ولكن بدون زحام ولا إيذاء أحد، فإذا وجدوا متسعًا أسرعوا وإذا وجدوا سبقًا، وزحامًا في الطريق أمسكوا وساروا على مهل حتى يصلوا إلى مزدلفة، وبها المشعر الحرام، وقد بات بها النبي ﷺ، وقدم ضعفة أهله بعد هزيع من الليل سحرًا، فمن استطاع أن يبيت فليبت، ومن لم يستطع فليقم فيها بقدر استطاعته، والدين يسر لا حرج فيه، وقد صلى رسول الله ﷺ المغرب والعشاء جمعًا حين وصوله إليها بدون ريث، وبات فيها إلى الصبح، فصلى بإغلاس، وقصد المشعر الحرام

بعد ذلك فلبث يدعو الله عنده، ويذكره حتى أسفر، ثم أفاض منها قبل طلوع الشمس، وأمر أن تلتقط له جمرات، وهي دون البندقة وفوق الحمصة، ثم سار حتى إذا وصل وادي محسر أسرع السير فيه؛ لأن ذلك الوادي هو الذي أهلك الله فيه أصحاب الفيل، وهذه سنته ﷺ إذا مر بديار الظالمين، أو مكان إهلاكهم، فلما وصل إلى منى رمى جمرة العقبة بسبع حصيات، وهذه الجمرة في أول منى من جهة مكة، وهي ظاهرة في مكانها، فيرمي الحجاج جمراتهم فيها، وكلما ألقوا حصاة يقولون: بسم الله والله أكبر، اللهم اجعله حجًّا مبرورًا وذنبًا مغفورًا وعملًا متقبلًا.

فإذا انتهى الحاج من الرمي حلق رأسه وذبح ما عنده من هدي، ولبس ثيابه، وحل في إحرامه؛ وبذلك يحل له كل ما كان ممنوعًا منه إلا النساء، ويبقى عليه طواف الإفاضة؛ وهو ركن من أركان الحج، فإذا طاف هذا الطواف فقد حل له كل شيء حتى النساء.

والنبي ﷺ فعل هذا الطواف يوم العيد بعدما تحلل التحلل الأول، فمن قدر على ذلك فهو أفضل، ومن لم يقدر فلا حرج، فوقته موسع إلى آخر أيام منى، وأما بعد ذلك ففيه نزاع بين أهل العلم، فينبغي التعجيل به خروجًا من الخلاف قبل نهاية أيام منى.

ومن كان سعى أولًا فسعيه أولًا يكفيه لحجه وعمرته، ومن لم يكن سعى فعليه السعي عقب الطواف.

ومن فرغ من ذلك عاد إلى منى ليكمل الرمي (رمى الجمرات الثلاث) يومين أو ثلاثة أيام.

* * *

رمي الجمار

في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة يبدأ الحاج برمي الجمرات الثلاثة بعد الظهر بادئًا بالأولى منها بسبع حصيات، وبعد أن يرميها يتنحى بعيدًا عنها إلى اليمين، ويدعو الله طويلًا، ويذكره كثيرًا، ثم يمشي إلى الجمرة الوسطى، ويرميها كذلك، ويدعو الله، ثم الثالثة، ولا يقف بعد الرمي عندها.

وليس بلازم أخذ الحصا كله من مزدلفة، ولا يجوز أن يرمي الحاج بحصا قد رمى به غيره.

ويفعل مثل ذلك في اليوم الثاني بعد الظهر، وإذا فرغ من رمي الجمار الثلاث كان له أن يبقى في منى حتى يرمي اليوم الثالث وأن يعود إلى مكة، وقد تم حجه ونسكه.

ومما ينبغي أن يُعلم أن دين الله يسر، وأنه تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال جل من قائل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»(١).

فمن وجد ضيقًا وحرجًا في بعض المسائل المنسوبة إلى مذهب من المذاهب، فليرجع إلى سنة رسول الله ﷺ، أو يسأل العَالِمين بها، يجد الفرج واليسر فيها إن شاء الله تعالى.

ومن دخل معتمرًا أول قدومه، فليس عليه أن يخرج ليأتي بعمرة بعد الحج.

وقد كثر سؤال الناس عن من يدخل الكعبة أحقًّا أنه لا يجوز له أن يمشي

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حافيًا، ولا يمسك نارًا، و..... و .. إلخ؟.

وكل هذا لا أصل له، وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، فهذه الشروط التي يزعمها بعض الناس لداخل الكعبة باطلة، لم ترد في كتاب ولا سنة والله أعلم.

ونصيحتي إلى الحجاج أن يحفظوا حجهم من الهبوط بالأعمال البدعية كالطواف حول الأضرحة، أو النذر لها، أو دعائها من دون الله، أو جعل شيء من الحرث والأنعام للصالحين، فإن ذلك كله لا يجوز شرعًا، ولا يحبط الأعمال الصالحة مثله.

نسأل الله التوفيق لجميع المسلمين، وأن يديم علينا نعمة الأمن والإصلاحات بطول عمر مليك البلاد عبد العزيز آل سعود آمين.

* * *



القـــوة[1]

القوة هي مصدر الحياة، وأصل المجد والعز والسيادة والسعادة، فإذا لم تكن قوة فلا سبيل إلى شيء من ذلك.

والقوة قسمان؛ مادية ومعنوية، ولابد منها لكل أمة تريد أن تحيا بين الأمم عزيزة مستقلة ذات سيادة محترمة وجانب مهيب.

فالمادية تكون في الأجسام من نمو وصحة وعافية، فيجب أن نعمل شعبًا وحكومة على هذا المبدأ، ويجب على الحكومة أن تعد كل من عمل ضد هذه القوة خائنًا لوطنه، ولإيجاد هذه القوة يجب أن تعلم النساء كيفية تربية طفلها، والمحافظة عليه من يوم أن يكون جنينًا، بل من يوم يكون نطفة وتكون له مستودعًا إلى أن يبلغ سن الفطام، بل إلى أن يبلغ سن التربية في المدرسة والتعليم.

ولا بد للحكومة أن تعمل على النظام الشرعي الاجتماعي في الزواج والطلاق وصيانة النساء؛ لأنهن حقول الأمة ومزدرعها، فيجب أن تكون هذه الحقول سليمة من كل ما يضعف بذورها.

فلابد إذن من تحريم تبرج النساء وظهورهن بزينة الخلاعة، مما يغري بهن أولى الإربة من الرجال، ولا سيما الفتيان الذين لا يقدرون على كبح جماح شهوتهم.

وإذا نشأت هذه البذور الطيبة الطاهرة من أمهات طاهرات طيبات وسُلِّموا إلى الأساتذة الأفاضل الذين يعنون بالأخلاق الحسنة، والنظام الاجتماعي الذي وضعه الحكيم العليم؛ أصبحوا رجالًا يعتمد عليهم في عزة

---

(١) مجلة «الحج» ربيع الأول والآخر - ١٣٦٩هـ.

الوطن واستقلاله.

وأسباب القوة المادية معلومة، وليست تحد، وقد أمرنا الله تعالى بإعداد القوة لأعدائنا ما استطعنا، فلا بد أن نعلم أولادنا في كل فرع من فروع القوة ما يمكن، فنعلم طائفة كبيرة في الهندسة الميكانيكية والكهربائية، ونعلم طائفة في الكيمياء، وهلم جرا، في كل علم وفن، ونعمل المعامل لإخراج أنواع الأسلحة والسفن الحربية والطائرات وغير ذلك، ونترك اللعب واللهو والهزل.

وأما القوى المعنوية فهي الإيمان بالله، والتمسك بالفضائل والأخلاق التي تزيدنا ارتباطًا بعضنا ببعض وتجعل الأمة متضافرة تشعر بالعزة القومية والوحدة الوطنية.

وكل من عمل على خلاف هذا النظام مما يضعف القوة كان له جزاء صارم يجعله عبرة بغيره.

وجدير بالأمة الضعيفة، والمسلوبة العزة أن تجدَّ في الأمر، وتنسى اللذائذ الشهوية، حتى تعود لها قوتها بتماسك أجزائها وعلو نفسها، وحتى لا يطمع أحد في استعبادها أما الطابع الذي هي عليه اليوم فيجب أن يُنبذ ويُلقى في الزبالة.

القوة هي التي فيها الحياة، والضعف يؤدي إلى الممات، وجملة القول أن الإسلام الصحيح هو مبعث القوة وأساسها، فمتى تمسكت الأمة قويت وسادت، وإذا تركته وتساهلت فيه وتهاونت، وقعت في مهاوي الشقاء والضعف والموت.

* * *

أفضل طرق التربية والتعليم في القرآن والسنة[1]

لقد أخذت وزارة المعارف في مصر من زمن غير قريب تتأسى بأوربا، فترجموا كتبًا كثيرة من لغتها، ووضعوا كتبًا للتربية والتعليم على أسلوب كتبها، ولم تزل تترقى إلى أن بلغت شأوها ونشط معلموها الأفاضل، فسلكوا سبلًا سهلة هجمت بالتلاميذ على ينابيع العلم، فأوردتهم خير موارده من قريب، بلا عناء ولا نصب، وإن كانت يد السياسة قد ضيقت عليهم تلك الموارد، وحالت بينهم وبين الغل منها والنهل، وحرمت بعضها مما فيه العز والمجد، كالفنون الحربية، والميكانيكية، والكيماوية... إلخ ... إلخ.

وليس المقصود بيان هذا الظلم الآن، وإنما مقصودنا أن نبين أن أوربا التي نعجب بتربيتها وتعليمها ونتأسى في تأليفاتنا بها، إنما أخذت ذلك كله من عندنا، فلما رأينا ثمرته زاهية ناضجة عندها، وأعرضنا منذ زمن بعيد عن كتاب ربنا وسنة نبينا، ظننا أن ذلك من مبتكراتها وتجاربها، وما هو – وربك – إلا بعض مما في كتاب ربنا وسنة نبينا.

وها أنذا أورد فصولًا في التربية والتعليم من السنة النبوية؛ دليلًا على ما قلت، وبالله التوفيق:

١ – التعليم برفق:

يفتخر الأوربيون علينا أنهم يعلمون أبناءهم بغير ضرب، ويعدون ضربهم همجية وعجزًا من المعلم، ويذكرون له أضرارًا وخيمة، ومنها تنفير القلوب من العلم وكراهته، ومنها بذر بذور الجبن في قلوب التلاميذ، ومنها إذلالهم

---

(١) صحيفة صوت الحجاز العدد (٤٧) في ٣/ ١١/ ١٣٥١هـ.

و...[1] عن ذلك من بلادهم، وغير ذلك.

ونحن نقول إن التعليم بالرفق وإعادة الكلام مرتين أو ثلاثًا ليفهم، موجود ذلك في سنة نبينا ﷺ.

فمن ذلك قول النبي ﷺ في «الصحيح» لعائشة: «**عليك بالرفق، وإياك والعنف**»[2]. وقوله: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شانه**»[3].

وقال البخاري[4]: باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، وأورد فيه طرفي حديثين.

ومن الرفق لقاء المتعلم بما يحب تأليفًا له وترغيبًا في العلم كقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «**مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا ندامى**». وقوله عليه الصلاة والسلام: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»[5].

فيؤخذ من هذا الحديث سلوك أقرب الطرق لتفهيم التلاميذ وتيسير الدروس عليهم وتسهيلها.

ويؤخذ منه عدم استعمال الضرب والنهر والسب والشتم وكل غلظة؛ لأنها تنفر، والتنفير منهى عنه.

ويؤخذ منه أيضًا ترغيب الطلبة بالمكافآت التي يحبونها إذا أتقنوا عملًا، أو أحسنوا فهم درس، فإن كانوا صغارًا أجيزوا بأنواع من الحلوى، وإن كانوا كبارًا يشعرون بحلاوة العلم أجيزوا بكتب ورسائل في الفن الذي يحبونه

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٨٣)، ومسلم (٢٥٩٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢٥٧٥٠)، ومسلم (٢٥٩٤).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣)، (١٧).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٣).

مثلًا، ليزدادوا فيه فينتفعوا وينفعوا أمتهم.

وبالجملة فهذا الحديث أصل في التعليم، أخذت به أوربا في جميع مدارسها وجعلته دستورًا لها في تعليم نشيءها، فلما أهملناه نحن، وصرنا - لعجزنا - نضرب التلاميذ ونعد الضرب هو الأصل في التعليم والتربية، صاروا يضحكون منا، ويفتخرون علينا، وما هي إلا بضاعتنا ردت إلينا.

٢- تشويق المعلم تلاميذه للعلم، وحثهم على نشره بعد تعلمه:

ومما هو أصل عندهم في التربية والتعليم تشويقهم تلاميذهم للعلم، ومواساتهم فيه، وإعانتهم عليه، وهذا موجود عندنا في سنة نبينا ومنا أخذوه.

ومن ذلك قول النبي ﷺ في خطبة الوداع: «**أي يوم هذا؟**» وكان اليوم معروفًا عندهم وأظهر من شمس الضحى في ضحوته، ولكنه خاطبهم بهذا الأسلوب ليشوقهم وينبه أذهانهم إلى مسائل من العلم مهمة في حفظها وفهمها، والعمل بها سعادة المسلمين وهناؤهم.

فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه ثم قال: «**أي يوم هذا؟**» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا: بلى، قال: «**فأي شهر هذا؟**» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «**أليس بذي الحجة؟**» قلنا: بلى قال: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يكون أن يبلغ من هو أوعى له منه**»[1].

وفي الحديث الحث على نشر العلم المنافي لكتمانه، [2]وجلوس المعلم

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) تتمة المقال في صحيفة صوت الحجاز العدد (٤٩) في ١٦/ ١١/ ١٣٥١هـ.

على مكان مرتفع ليسمع تلاميذه، وفي الحديث غير ذلك من الفقه ليس هذا محل بيانه، وهذا هو الفقه في الدين، لا تلك الكتب التي يقال لها كتب فقه وهي مجموعة آراء لا دليل عليها، أو لبعضها دليل لكنه غير مذكور بجانب مدلوله.

فأخذ القوم[١] بكل ما فيه نفع لهم من سنة نبينا، وأخذنا بما نهى عنه ﷺ.

يقول ﷺ: «**إن منكم منفرين**»[٢] وهذا حق، فترى بعض المعلمين بل كثيرًا منهم، يجيء التلاميذ إليه صغارًا؛ ففضلًا عن حبسهم في غرفته التي لم يعتادوها، ومخالفتها ما فطروا عليه من حب السعة والمناظر المختلفة السارة، يغلظ لهم القول، ويعبس وجهه ويقطب جبهته، وربما ضرب بعضهم قبل أن يعلمهم شيئًا، وربما أخذ أكثر الدرس في نهر تلميذ وتوبيخه على شيء تافه وقع منه؛ فيضيع عليهم الدرس، ويخرجون من عنده وهم ساخطون لاعنون وكأنما خرجوا من سجن ونجوا من سبع أنقذوا من بين أظفار الموت ومخالبه، ثم يجيئون يشتكون لأهليهم - وهم أجهل من المعلمين وأضل - فيزيدونهم ضربًا ونهرًا ويقولون لهم: (تستاهلون) فإذا أصبحوا تمنوا أن الموت زارهم في نومهم وأن أرواحهم لم تعد إليهم حتى لا يروا هؤلاء المعلمين ولا هذا السجن الذي خرجوا منه بالأمس أو المقول فيه: (داخله مفقود وخارجه مولود).

فيا قوم: اتقوا الله، وتفقهوا في كتاب ربكم وسنة نبيكم تجدوا كل شيء فيه مما تمنن علينا به أوربا، وهي ما استفادته إلا من ديننا وهدى نبينا.

* * *

(١) أي الأوربيون.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٢)، ومسلم (٤٦٦) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

الدين النصيحة[١]

هذا لفظ حديث صحيح عن تميم الداري[٢] وبمعناه عن جرير بن عبد الله، رواه البخاري[٣]، ولفظ الحديث قال: «**بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**».

فدل الحديث على أن النصح لكل مسلم من الأمور المهمة حتى قرن بالصلاة والزكاة في المبايعة.

والنصح أن تحرص على إيصال الخير لكل مسلم وإبعاد الشر عنه بكل ما يمكن ويدخل في ذلك تنبيهه للخير بتركه سهوًا أو عمدًا وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وتبصيره بعيوبه.

وقد قال العلماء في تعريف النصح بما يقرب مما قررنا وذلك (إرادة الخير المنصوح له).

ولكن أصبحت[٤] كلمة (نصح) وما يشتق منها أثقل من الجبال على قلوب الناس وأسماعهم، بل اعتبرها كثيرٌ منهم سبة! فإذا قلت لإنسان: يا أخي أريد أن أنصحك. ابتدرك قائلًا من قبل أن يسمع حرفًا واحدًا من نصيحتك: «انصح نفسك»!! وخصوصًا إذا كان الناصح فقيرًا والمنصوح غنيًّا أو كان عاميًّا والمنصوح عالمًا ولو في نظر نفسه. فلا تسل عما يلقى الناصح من التعنيف والتوبيخ والسب إن لم يضرب ويحقر!!.

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ٦٦٧ في ١٢/ ٧/ ١٣٥٦هـ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٧، ٥٢٤).

(٤) في الأصل «أصبت».

فلما تكبر الناس وفشا فيهم العجب بأنفسهم والغرور ورأى الناصحون من الأذى ما ضرهم ولم ينفع المنصوحين ترك أهل العلم النصيحة لأنها لا تقبل منهم، وأصبح أهل الدين في نظر الأغنياء وأهل علم الدنيا كالصفر على يسار العدد لا قيمة له، بل أصبح وجودهم عالة وقذى في العيون وشجى في الحلوق حتى أصبح أحدهم يتمثل بقول الشاعر:

فلو أن قومي أكرموني وأتأقوا[1] سجالا بها أسقي الذين أساجل

كففت الأذى ما عشت عن حلمائهم وناضلت عن أعراضهم من يناضل

ولكن قومي عزهم سفهاؤهم على الرأي حتى ليس للرأي حامل

تظوهر بالعدوان واختيل بالغني وشورك في الرأي الرجال الأماثل

وإنما كان هوان أهل الدين عند أولئك المغرورين المفتونين لقلة دينهم وفحوى قلوبهم منه وجهلهم به وعدم تعظيمهم له، زد على ذلك طمع أهل الدين أنفسهم في أهل الدنيا وركونهم إليهم وإظهارهم الحاجة والفاقة والحرص على ما في أيديهم.

ولو أن أهل الدين استغنوا عن أهل الدنيا كما استغنى أهل الدنيا عنهم وزهدوا فيما عندهم لكان قولهم مسموعًا ورأيهم متبعًا ومحترمًا إذ كان العلماء في القرون المفضلة كسفيان الثوري وابن عيينة والشافعي وابن حنبل وحسن البصري وأحزابهم تسمع نصائحهم ويعمل بأقوالهم ويصبرون على الضراء صبر الكرام؛ يصومون النهار ويقومون الليل وتشبعهم الكسرة، فأمثال هؤلاء حقًّا كان يسمع نصحهم ويخشى خلافهم.

فقل لي بربك ماذا نعمل إذا كان الناس مقبلين على شهواتهم تاركين

---

(١) التَّأَقُ: شدَّة الامْتِلاء. «لسان العرب» (تأق).

أوامر ربهم كارهين للحق كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨].

إن أهل الشهوات يكرهون كل من يحول بينهم وبينها ولو كان ألطف من النسيم العليل وأعذب من الماء السلسبيل. وهذا رسول الله ﷺ وهذه سنته أتراهم يحبونها ويعملون بها إلا فيما يوافق الهوى، ألم يقل رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت شحًّا مطاعًا وهوى متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك**»[(١)].. الحديث، أليس هذا هو الزمان الذي ينطبق عليه الحديث؟!

ونقول في جواب ذلك؛ لابد من النصح لكل مسلم وتحمل الأذى في ذلك وإلا بطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح المقرون بالصلاة والزكاة، وعلينا أن ننصح سواء قبل منا أم لم يقبل، وسواء أوذينا في ذلك أو لم نؤذ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وكل ما قيل من تطاول الأغنياء على الفقراء وغير ذلك لا يمنع من النصح لكن ينبغي أن يكون النصح سرًّا للخواص، فإن إعلان النصح فضيحة وتركه لنيل ما عند المنصوح من دنيا بخس واشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا.

فإذا تحقق الناصح من عدم قبول نصحه أو نزول ضرر به فله حينئذ أن يسكت وينكر بقلبه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وضعفه الألباني رحمه الله في المشكاة (٥١٤٤).

عبرة تاريخية(١)

نصيحة العارف بالله السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه للخليفة أبي أحمد المستنجد بالله العباسي.

ذكرها المؤرخ ابن حماد الموصلي في تاريخ «روضة الأعيان» عند ذكره الخليفة المشار إليه قال رحمه الله:

رُوي بالسند الموثوق – كذا – عن الشيخ صالح على الطري خادم السيد أحمد الرفاعي رحمهما الله تعالى: أن أبا العباس أحمد المستنجد بالله أحضر حاجبه نصر بن عماد يومًا وقال له: إن السيد أحمد الرفاعي ممن أوتي الحكمة، وزهد في غير الله، فاذهب إليه بكتاب مني وأتني بجوابه، فإني مستنصحه. فقال نصر بن عماد: السمع والطاعة. فكتب الخليفة المستنجد كتابًا قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين إلى السيد العابد الزاهد الشريف الدال على الله بهدي رسوله ﷺ، أحمد بن الشريف أبي الحسن البطائحي العلوي – نفع الله به المسلمين –.

أما بعد...

فإني أسألك بالله أن تكثر لي من النصيحة في جوابك؛ فإني في حاجة لنصيحتك، وأي حاجة، ولا ريب عندي بحصول بركة نصحك لي إن شاء الله، فأجبني بما يفتح الله به عليك مكثرًا فإنك مهبط الفتح اليوم، وأسألك الدعاء لي وللمسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) صحيفة «صوت الحجاز»، العدد (٢٤) في ١٨/ ٥/ ١٣٥١هـ.

وطوى الكتاب وأعطاه الحاجب المذكور، فأخذه وأتى به إلى السيد الكبير ﵁ ، ففتح الكتاب، ثم بعد أن قرأه قال: ماذا أقول؟ إن قلت لا أقدر على النصيحة خفت الرياء، وإن قلت أقدر خفت الفضيحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إنه أمر بدواة وقرطاس. وقال لي: إني عليل، اكتب[1] فإنك مبارك إن شاء الله، فرمقته للتلقي فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم [2]

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد خلقه عبده وحبيبه ومصطفاه.

أما بعد....

من الفقير إلى الله أحمد بن علي أبي الحسن – كان الله له – إلى الإمام الخليفة المطاع أمير المؤمنين أبي أحمد المستنجد بالله العباسي الهاشمي، أيده الله بما أيد به عباده الصالحين. آمين.

وصلنا كتابك الآمر بالنصيحة؛ والحديث الشريف «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**»[3] ولولا هذا الحديث لما تصديت لنصحك.

نصيحة مثلك – بارك الله بك – لها شرطان: الإخلاص من الناصح، والقبول؛ بشرط العمل بالنصيحة من أخيه – أيدك الله بتوفيقه.

يا أمير المؤمنين: إن أنت أنفذت أحكام كتاب الله – تعالى وتقدس – في نفسك، نُفذت أحكام كتبك في ملكك، وإن عظمت أمر الله تعالى باتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، واحتفلت بشأنه الكريم، عظم الناس عمالك

---

(١) في الأصل: إني علي أكتب.

(٢) تتمة المقال في صحيفة «صوت الحجاز»، العدد (٢٥) في ٢٥/ ٥/ ١٣٥١هـ.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري ﵁.

وولاة الأمور من قبلك، ولا تنظر يا أمير المؤمنين ما عليه القياصرة وملوك المجوس من القوة في ملكهم - مع انسلاخهم وبعدهم عن كل ما ذكرته لك- فإنهم جهلوا الحق فأبعدهم الحق عنه، وقربهم من الدنيا، وقربها منهم، وولاهم أمر من شاء من خلقه، فإن ساسوهم بما تسكن إليه أفئدتهم، وتطمئن له طباعهم دام أمرهم في حجاب دنياهم إلى أن تنقطع حبال آجالهم، وإن لم يسوسوهم بالرفق والمدارة، وأوقعوا فيهم ما ينقل عليهم، سلطهم عليهم، فسلب دنيا قوم بقوم، والنار مأوى الكافرين.

وأما أنت يا أمير المؤمنين، فحافظ ثغور، وحارس دماء وأموال عزت[١] بكل مفازاتها بسيوف الإسلام، لا علمًا بقدومك بعد حين، ولا تمهيدًا لك لتفعل برأيك، إنما كان ذلك لله ولرسوله، فافزع في كل أمورك إلى الله، وعظم في كل شؤونك أمر رسول الله، وأنت حينئذ في أمان الله، وظل نبيه[٢]، نافذ الأمر، ثابت السلطان، مؤيدًا بجند الله وكلماته، ولا تبديل لكلمات الله.

ثم زن - يا أمير المؤمنين - كل ما يصل إلى خويصة نفسك في هذه الدار من طعام تأكله، وشراب تشربه، ورداء ترتديه، وظل تستظله، واجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك، وإياك وظلم العباد، وإذا استفزك الشيطان ورام نزغك إلى الظلم، فسل نفسك لو كنت مسجونًا، أو مظلومًا، أو مقهورًا، أو مكذوبًا عليك ما الذي تريده لنفسك من سلطانك؟ وعامل الناس بما تريده لنفسك، فإنك إن فعلت ذلك وفيت العدل والآدمية حقهما.

واعلم أن ما أنت فيه من الملك والدولة شيء يسير من ملك الله، وأنت

---

(١) في الأصل: هزت.

(٢) هذه من الألفاظ المجملة، ولعل مراده: أنه ما دام مؤتمرًا بأمر رسول الله ﷺ فهو في ظل شريعته. والله أعلم.

جزء صغير منه، فإن رأيت لك شيئًا، ونسيته، وقمت تفعل فعل من يزعم مشاركة في ملكه فأهملت حقه، وغدرت خلقه، يصرف عنك عونه ونصره، ولك فيمن مات عبرة، ولا تنظر - يا أمير المؤمنين - إلى من صرفهم عن مشغلة الدنيا من أحبابه المقربين إليه، كبغض الصحابة الذين نازعهم الناس، وانتزعوا أزمة الدنيا من أيديهم؛ لأن أولئك قوم اجتذبهم إليه، وولى على الناس من يشاكلهم في أعمالهم، وكل عن عمله مسئول. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

يا أمير المؤمنين: ظلك ما أظلك، ورداؤك ما سترك، وطعامك ما أشبعك، ومالك ما لك منه شيء، وليس لك من الأمر شيء، إن ربي على ما يشاء قدير.

[(١)] نعم أنت خاتم من خواتم القدر، يطبع على ألواح الصور، فيرفع الله به ويضع، ويصل ويقطع. فإن أنت لزمت الأدب مع الفعال المطلق برعاية حق شرعه الذي شرع لعباده أثابك وأدار محور الواجب بك، وبأهلك بعدك، وإن أهملت أمره وهتكت ستر خلقه، دخلت في عداد الظالمين ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

يا أمير المؤمنين: أهل الفهم السليم والذوق الصالح تجتمع هيئتهم على الحق، ويترعرعون في بحبوحة العدل والإحسان، فكبيرهم وصغيرهم، وأميرهم ومأمورهم، وحرهم وعبدهم في الدين سواء، ولكل منهم مقام معلوم، لا تشب فيه نار الشقاق، ولا يتحكم فيهم سلطان سوء الأخلاق، يحكمون بما أنزل الله، ولا يزالون في أمان الله، ولو احتالوا في الحكم فجعلوا له وجهًا في الظاهر، وأبطنوا الباطل. يقول لهم الحكيم العدل: ﴿وَمَن لَّمْ

(١) تتمة المقال في «صحيفة صوت الحجاز»، العدد (٢٧)، في ٩/ ٦/ ١٣٥١هـ.

يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]، فإذا أظهروا الباطل، وهيئوا له سبيلًا شرعيًّا أدخلته غلبتهم وشوكته في الحكم قال الحق تعالى لهم: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]. فإذا أظهروا الباطل، وانتحلوا له سبيلًا من الرأي استصغارًا لحكمة الشرع، وتعززًا بالأمر فحكموا به قال لهم المنتقم الجبار: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

يا أمير المؤمنين: أروقة الأعمال لا تعمر بأيدي الخيال، ولا يصان حي إلا بمادة جامعة تلصق القلوب ببعضها، وتدفع النزاع والتفرقة، وما هي والله إلا الشرع العادل والسنة المحمدية الصالحة، وكل ذلك أمر الله الذي طبع الطباع وعلم ما تطيب له، وبه يرتاح الضعيف لطلب حقه من خصمه القوي، وأنت تدري – يا أمير المؤمنين – أن ابن عمك إمام المسلمين عليًّا أمير المؤمنين – كرم الله وجه ورضى عنه – حدث عن ابن عمه سيد المخلوقين أنه قال: «**لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع**»[1]. والأمر – والله – كذلك.

وعلمت يا أمير المؤمنين من سيرة عمر بن الخطاب الفاروق الجليل رضي الله عنه أنه لم يرهب فارس والروم والمغرب والصين والهند والبربر بفرش الديباج، وبسط الحرير، وكؤوس الجواهر، والخيول المسومة، والبيوت الشاهقة، والأقواس المذهبة. إنما أرهبهم بالعدل المحض، وأفحم شوس رجالهم بالحكمة البالغة؛ ألا وهي شريعة نبيك سيد الحكماء وبرهان العقلاء، وإمام الأنبياء محمد ﷺ.

ولتعلم – أمطر الله على قلبك سحاب الإلهام المبارك والتوفيق، وأحكم

(١) المعجم الكبير (١١٢٣٠)، السنن الكبرى للبيهقي (١١٢٩٤).

أمرك بالأعوان الصالحين أهل الحكمة والنجدة - أن الحق كمين تحت ضلوع الخاصة والعام؛ المحق منهم والمبطل، فربما أعانك عبدك على باطلك بيده ولسانه انقيادًا لوقتك، وأنكره عليك بسره، وأضمر قلبه لك السوء، فلا يزكى - كذا - ذكرك لديه، ولو جعلته حرًّا ثم أكبرته ثم استوزرته، بل ولو كان أشد منك باطلًا. وهذا سر الله المضمر في الحق.

واعلم أي سيدي أن جيوش الملوك العدل، وحراسهم أعمالهم، ودفاتر أحوالهم عمالهم وأصحابهم، وهذه الدفاتر في أيدي العامة. فأصلح دفتر أحوالك، وأحكم حراستك، وأيد جيشك، وعليك بأهل العقل والدين، وإياك وأرباب القوة والغدر والضلالة، فهم أعداؤك، وصن أمرك من أن تلعب به النساء والأحداث والذين لا نخوة لهم، فإنهم من دواعي الخراب والاضمحلال، وإذا أحببت فحكم الإنصاف في عملك حتى لا تقدم غير محق ولا ترفع بغير حق، وإذا كرهت فاذكر الله، ونزه طبعك من الجور والغدر، فإن مكانك مكان من يدور صاحبه مع الحق لا مع الغرض، وإذا غضبت فاجنح للعفو، فإذا أخطأت فيه خير من أن تخطئ في العقوبة، واجعل بَذْلك ونوالك لأهل الدين والحكمة والغيرة للإسلام، واختر منهم أشرفهم طبعًا، وأكبرهم عقلًا، وأوجزهم رأيًا ونطقًا، وأبكتهم حجة، وأعلمهم بالله ورسوله، وساوِ الناس برًّا وفاجرًا مؤمنًا وكافرًا في باب عدلك، واحفظ حرمة الدين وأهله، واعمل عملًا تحسن به عاقبتك إذا لاقيت ربك. والله ولي التوفيق. إنا لله وإنا إليه راجعون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. انتهى.

* * *

ما في هذا الكتاب من العبر

١- تواضع الأمراء وحسن اعتقادهم في أهل الزهد والمنقطعين إلى الله تعالى.

٢- التوسل إلى الله بدعاء الصالحين من الأحياء لا الأموات.

٣- حاجة الملوك والأمراء إلى نصيحة المخلصين، وطلبها منهم.

٤- إجابة الناصحين ومعرفتهم بالله تعالى وسنته في خلقه.

٥- بيان فضل الرفاعي، والفرق بينه وبين من ينتسبون إليه في هذا الزمان من أكلة الأفاعي والنار والمشعوذين والجهلة.

٦- بلاغة المتقدمين وعدم تكلفهم السجع وغرائب اللغة وسلاسة ألفاظهم وحسن أسلوبهم.

٧- تلطفهم بالمنصوح له، ومعرفتهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- رد شبه الملوك الذين اغتروا بالدنيا وزخارفها، وظنوا أن العز بما يتحلون به من متاعها وقصورها وفرشها وأثاثها.

٩- معرفته رضي الله عنه بالسياسة الشرعية الحكمية التي من تمسك بها في كل زمان نجح.

١٠- الترغيب والترهيب وتحذير العاقبة.

وبالجملة فالكتاب كله درر وغرر وعبر ومواعظ، نسأل الله تعال أن يوفق المسلمين لاتباع سلفهم الصالح وأن يلهمهم الصواب ويبصرهم.

* * *

عبرة وموعظة في حادث

«رواية شاهد عيان»(١)

حدثني ثقة أنه كان في بلده رجلان أخوان شقيقان، أَلَمَّ بأحدهما مرض خاف على نفسه، وكان لكل منهما ١٢ فدانًا ورثاها عن أبيهما، فلما اشتد على المريض مرضه أحضر أخاه وكتب له أرضه ما عدا الثمن أبقاه لزوجه، وقال له: يا أخي إن مت فالأرض لك وإن حييت فهي لي، وأراد الله أن يحيا، فبعد شهر عادت إلى المريض صحته ولكن كانت الأرض قد ذهبت عنه؛ إذ انتهز أخوه فرصة اشتغاله بمرضه وذهب فسجل الحجة في المحاكم باسمه وبذا خرجت عن حيازة ذلك الأخ المريض وذلك عن غش وخيانة وغدر.

وفي ذات يوم أخذت امرأة المريض بقرته لتسقيها وترعاها في أرضها وأرض زوجها فما تشعر إلا وولد الأخ الغادر يطردها ويذودها عن الأرض بألفاظ المالك المسلط، فقالت له: لماذا تذودني عن أرضي؟! فقال: اذهبي لا أرض لك ولا لزوجك عندنا. فذهبت فاشتكت لزوجها ما كان من ابن أخيه فقال: لا بأس عليك وأرسل لأخيه صديقًا له يطلب منه ما ائتمنه عليه وما أوصاه به، فقال: أمجنون صاحبك؟! لا شيء له عندي - فقال: حسن ... ولبلغ الأمر إلى الأخ فطلبه لدى العمدة؛ عمدة بلدهم فأنكر وكان لدى العمدة علم بالمسألة فقال للمظلوم: اذهب واشتك وإذا احتجت لدراهم تنفق منها على القضية أعطيتك كل ما تحتاج إليه. فقال الرجل: لا حاجة لي بالشكوى إلى الخلق بعد أن بين لي إنكاره وجحوده وأشكو إلى الله وأفوض أمري إليه. وانصرف.

---

(١) صحيفة «أم القرى» العدد ٦٦٥ في ٢٧/ ٦/ ١٣٥٦هـ.

ولم تمض أيام حتى درى بعض المحامين المشهورين بالمسألة فعرض على الرجل أن يقوم له بالقضية[1] حتى إذا كسبها أعطاه أتعابه فقال له - وهنا يتبين للقارئ محور المقالة وسر الموعظة:

قل لي أيها المحامي المحترم لو اتخذتك مدافعًا عني محاميًا لي ثم اتخذت غيرك وكيلًا في القضية أما تغضب مني وتسخط علي؟ فقال: بلى، قال: إني وكلت ربي في قضيتي من قبلك وفوضت الأمر إليه من قبل وكفى بالله وكيلًا فانصرف المحامي متعجبًا من هذا الرجل ووثوقه بالله.

وقالت امرأة الظالم تعظه: يا صاح اتق الله وأرجع إلى أخيك ما أخذت منه فإني أخشى عليك، فزجرها، فألحت عليها، فهددها بالطلاق، فسكتت راغمة، وكان لهذا الظالم ولدان كبيران وكان الرجل وولداه قد أنزلوا الزرع في البيدر بعد حصاده وظنوا أنهم قادرين عليه فجاءهم أمر الله بغتة وبيتهم فأصبحوا هالكين؛ وذلك أن الرجل وأولاده كانوا في بيتهم يتذاكرون فيما صار إليهم من الغنى الوافر والأرض الواسعة ويأكلون ويضحكون إذا رسول من بيت أهل الزوجة يقول: عجلي لأمك فإنها تنفس الآن وقد طلبتك فشدت عليها ثيابها وخرجت إلى أمها وبعد قليل نام الرجل وأولاده وبعد هزيع من الليل حيث الناس نيام والرجل وأولاده غارقون في لذة الأحلام خر عليهم السقف من فوقهم وتدكدكت جدران البيت عليهم فجعلتهم حصيدًا خامدين وأنجى الله الناهين عن المنكر والمؤمنين.

* * *

(١) في الأصل «بالقصة».

أخلاق وآداب[١]

الإنسان في هذه الحياة كظل لا ثبات له ولا بقاء، والسعيد فيها كل السعيد من تحلى بالأخلاق الكريمة والآداب العالية، فمتى ارتحل إلى الدار الآخرة وخرج من هذه الحياة بقي أثره إن كان حسنًا وإن كان سيئًا. قال الشاعر[٢]:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثًا حسنا لمن وعى

ومن الناس من يعجبك شكله الظاهر وحديثه الطالي فإذا عاملته واحتككت به ظهر لك مكنونه وبانت لك أخلاقه.

ومنهم من إذا أكرمته ملكته وهذا كريم. ومنهم من إذا أحسنت إليه تمرد وقابل الإحسان بالإساءة وإكرامك إياه باللؤم فهو لئيم. قال المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ولا عجب أن ترى ذلك في الناس فهم كما ورد في الحديث معادن كالذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد والسهل والصعب. والمرء يكبر على ما تعود في الصغر فإن تعود أخلاقًا حسنة ونشأ على آداب قويمة تأصلت فيه ورسخت في نفسه حتى تصدر عنه من غير تصنع ولا تكلف فيحمده الناس ويحبونه، وبقدر هذا الحب تكون سعادته في الدنيا، كما أنهم لو كرهوه لسوء أخلاقه وقلة آدابه تكون شقاوته فيها وبؤسه، فإذا بلغ أربعين سنة وهو على شيء من الأخلاق؛ حسنًا كان أم سيئًا لم يكن ثم مطمع في تغييره كما قال الشاعر العربي[٣]:

(١) صحيفة أم القرى العدد ٦٦٦ في ٥/ ٧/ ١٣٥٦هـ.

(٢) القائل: أبو بكر محمد بن دريد. «جمهرة الأمثال» (١/ ٣٥٢).

(٣) القائل: الأعور الشنِّي، بشر بن منقذ بن عبد القيس. «اللآلي في شرح أمالي القالي» (١/ ٢٦٣).

إذا ما المرء قصر ثم مرت عليه الأربعون عن الرجال
ولم يلحق بصالحهم فدعه فليس بلاحق أخرى الليالي

وإذا بلغ المرء أربعين سنة عد شيخًا في اللغة لسنه.

وقد قال الشاعر أيضًا[1]:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

وإن الذي لا يؤدبه أبواه ولا أساتذته أدبته الأيام والليالي وما أقسى تأديبها!! ترى رجلين في دائرة عمل واحدة فأحدهما يستقبلك بالبشر والبشاشة واللطف ويقدم لك ما استطاع من كرامة حتى يقضي حاجتك وينهي عملك فتخرج من عنده شاكرًا مسرورًا، وكلما جلست في مجلس ذكرته بخير وأثنيت عليه، وأما الآخر فلسوء أخلاقه وقلة آدابه يستقبلك بوجه عبوس وقاح ومنطق جاف ثقيل لا ينزل الناس منازلهم ولا يعرف أقدارهم؛ وذلك لأنه فدم ثقيل وغرّ جاهل لم يثقف ولم يؤدب، وما أشبه هذا بالقطا الذي لم يعرف لهم أب فلا تكاد تلقاه حتى تستعيذ بالله من شره، وأمثال هذا لا يفلح ولا يكاد يقضي لك حاجة إلا بشق الأنفس ولا تخرج من عنده إلا ساخطًا عليه ذامًّا له، وربما حملك على مقابلته بما ليس من أخلاقك.

وإن من الآداب أن يكون الناس عندك على ثلاثة أقسام؛ كبار يجب لهم الإحترام والتكريم كما تحترم أباك، وإما صغار فتعاملهم باللطف والرحمة كأولادك، وإما مثلك فتعتبرهم إخوانًا لك، فإذا كانوا ممن تجمعهم بك جماعة دينية أو لغوية فذلك أدعى إلى الاحترام والإكرام والمحبة، ولا يفقد هذا إلا فاقد الذوق أو شقي محروم، أفليس المسلم أولى بأن يحترم إخوانه

---

(١) القائل: صالح بن عبد القدوس. «البيان والتبيين» (١/ ٧٨).

المسلمين أنَّى كانوا وحيثما وجدوا؟ بلى؛ ولكن من لم يعرف الإسلام ولم يكن في قلبه ذرة منه كيف يحترم المسلمين ويعرف حقوقهم؟!!

الآداب الإسلامية هي أعلى الآداب؛ يدلك على ذلك حديث واحد وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**مثل المسلمين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(١)] وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[(٢)].

فلو كان المسلمون على ذلك لم يقدر أحد على صدع بنيانهم ولا تقويض عزهم.

إن الآداب السامية والأخلاق الكريمة هي علة الضم والتآلف والمحبة، وذلك كله علة القوة، والقوة علة الحياة السعيدة العزيزة، والضعف علة الموت، ولا يعيش إلا القوي، وعلة الضعف المرض فكما أنَّ الجسم إذا مرض ضعف فمات فكذلك الأمة إذا مرض جسمها بالأخلاق السيئة والآداب الدنيئة الدنسة انحلت قواها وماتت وأصبحت حياتها سافلة كحياة البهائم لا تعرف غير الأكل والسفاد ولم يكن لها اعتبار بين الأمم.

أليس عجيبًا أن تكتب إلى لورد عظيم فيجيبك بأرق مما كتبت ويجيبك بأحسن من تحيتك ثم تكتب إلى رجل من بني دينك ولغتك ووطنك فلا يجيبك ولا يعني بك؟!! .. وتكتب لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ذلك الرجل العظيم المسلم حقًّا فيجيبك، وتكتب لمن دونه بل لمن لا يصلح أن يكون خادمًا لخادمه فلا يجيبك!!.. فانظر إلى الفرق العظيم في هذه المسألة

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٣٤١)، ومسلم (٢٥٨٥).

البسيطة كمثل لغيرها من الأخلاق.

إن التواضع في عز عزٌّ آخر، وإن الكريم لا يصدر منه إلا الكرم، وإن الخير لا يصدر عنه إلا الخير واللئيم الشرير بالعكس، ولو شيءت لذكرت أشخاصًا بأسمائهم يعدون حقًّا مثلًا للأخلاق العالية والآداب العالية ولكني أترك ذلك للتاريخ فهو الذي يقرظهم ويسجل لهم ما يستحقون من ثناء حسن أو غيره، وإنهم ليعلمون أنهم رجال اليوم وذكرى المستقبل.

فمن أراد أن يصل عمره بعمر آخر أو أعمار كثيرة طويلة فليبن من الآن بيت عزه الذي لا تؤثر فيه زعازع الرياح وهوجها ولا السيول ومعاولها على أساس الدين القويم والأخلاق الكريمة، وإن الآمال معقودة في شباب اليوم إذا عنوا بالأخلاق والآداب العالية، فإن الأمم بأخلاقها وعلومها. وإن التواضع في عز عزٌّ آخر، أما الصلف والكبر والغرور والعجب والزراية التي كثيرًا ما تعتري الشبان إلا من عصم الله فهي أمراض وبيلة فتاكة وكثيرًا ما يذهب الشباب ضحيتها، وقد رأيت حادثين في شابين لم أحمد مكانهما!!.. ولست طبعًا بجاعلهما مقياسًا لغيرهما فإن شباب الحجاز ولله الحمد أصبح يعرف ما عليه من واجبات نحو الصغير والكبير بما ناله من ثقافة وأدب، وبإزاء هاتين الحادثتين جمعتني الفرص السعيدة ببعض الشبان الأدباء المثقفين وكان ذلك داعيًا لسروري واغتباطي وتفاؤلي وتوسمي خيرًا.

إن الشباب الحجازي سيبلغ في القريب العاجل ذروة الكمال ما دام متمسكًا بالآداب الكريمة والأخلاق العالية إن شاء الله، والله الموفق.

* * *

السؤال في الإسلام(١)

السؤال في الإسلام؛ إما سؤال عن علم وإما سؤال حاجة ومال.

أما الأول فهو مباح وقد يكون واجبًا.

وأما الثاني وهو سؤال الناس أموالهم وأشياءهم فهو حرام إلا من ضرورة.

دليل إباحة سؤال العلم ووجوبه من الكتاب والسنة، قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ومن السنة قول النبي ﷺ: «**ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ إنما دواء العي السؤال**»(٢).

وإذا كان السؤال عن تعنت وتعجيز كسؤال بعض المشركين النبي ﷺ آيات كانوا يقترحونها ونحو ذلك من الأسئلة التي لا فائدة للسائل فيها وقد يسوؤه معرفتها، فهذا منهي عنه أيضًا كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] وكمن سأل عن الحج؛ أكل عام هو يا رسول الله؟.

ومقصودنا الآن بيان سؤال التسول الذي اتخذه كثير من الناس حرفة حتى فضلوها على العمل واستمرأوها وآثروها على كل صناعة وزراعة وتجارة.

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ٦٦٤ في ٢٠ جمادى الثانية ١٣٥٦هـ.

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٣٠)، وأبو داود (٣٣٧)، وابن ماجة (٥٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٦٢).

قلنا إن سؤال الناس أموالهم وأشياءهم إلا لضرورة ملحة حرام، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم**» رواه البخاري ومسلم والنسائي[١]، وذكره المنذري في «**باب الترهيب من المسألة**»[٢].

وعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك، إلا أن يسأل ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بدًا**» رواه أبو داود والنسائي والترمذي[٣].

والكدوح: آثار الخموش.

وقال رسول الله ﷺ: «**من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار**».

قالوا وما الغنى الذي لا ينبغي معه المسألة؟ قال: «**قدر ما يغدِّيه ويعشِّيه**»[٤].

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة لا تحتملها هذه العجالة وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد أن يتقي الله ويصون نفسه من ذل السؤال وشناره.

ولست أدري لماذا فشى في المسلمين التسول والإلحاح في المسألة وديننا يحرم ذلك إلا من ضرورة كذي فقر مدقع، أو غرم مفظع، أو دم موجع.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)، والنسائي (٢٥٨٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٢٢).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٦٥٠)، وأبو داود (١٦٣٩)، والنسائي (٢٥٩٩) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٦٨٤).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٢٩)، والبيهقي (٧/ ٢٤) من حديث سهل بن الحنظلية رضي الله عنه. وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٨٠).

ولابد للمصلح أن يرى العامة ويتمكن من معرفة الداء ثم يصف الدواء كالطبيب الماهر النطاسي(١)، ولا علة لفشو هذا المرض الوبيل بين جماعات الناس فيما يظهر لي إلا ثلاثة أمور:

الأول: منع الناس الزكاة وهي حق الفقراء.

الثاني: كسل بعضهم وحرصه على الثراء من طريق التسول.

الثالث: ترك المسؤولين تأديب هؤلاء المتسولين وتكليفهم بأعمال مفيدة لهم ولوطنهم وأمتهم.

والعلاج أن يمنع الأصحاء من المتسولين؛ رجالًا ونساء ويشغلون بأعمال عامة أو خاصة، ويعلم الأولاد الصغار صناعة، والبنات تزوج، ومن لا تصلح.. (٢) فإن كن يتيمات فقيرات فهن أولى بدار تؤيهن وتنظر في مصلحتهن إلى أن يبلغن السن المناسب لتزويجهن.

وحبذا لو فتح بعض المفكرين محلًّا لتخديم العاطلين كما يوجد ذلك في البلاد المتمدينة على أن الحاجة هنا ماسة وخصوصًا لندرة وجود الخدم.

إن التسول صار حرفة على أن فيها من الضر ما نَقُصُّ عليك بعضه:

فمن أضرارها، بل من أكبرها إظهار أقصى الذل والخضوع والفقر للمسؤول، وهذه الحال ينبغي أن تكون من العبد بين يدي خالقه، والمتكفل برزقه، ولذلك كان سؤال المخلوق بهذه الحالة وخصوصًا إذا انضم إليها عدم الحاجة حرامًا كما يستفاد من النهي الوارد في الأحاديث المقتضي للتحريم.

ومن أضرارها اختلاط النساء بالرجال وخصوصًا إذا كن شابات

---

(١) النطاسي: العالم الماهر والطبيب الحاذق، والدقيق نظره في الطب. «تاج العروس»، و«الوسيط» (ن ط س).

(٢) هكذا بالأصل.

وكواعب، فتراهن يخضعن بالقول ويتذللن في السؤال؛ وذلك مما يطمع ذوي النفوس الدنيئة والشهوات البهيمية فيهن خصوصًا إذا كان ذلك في المساجد فإن ضرره يكون أعظم.

ومن أضرارها تعويد النفوس الكسل وتمرينها على البطالة، وإضرار الناس بالإلحاح في السؤال ومضايقتهم، وصرفهم عن العبادة وإشغالهم بما لم تبن المساجد له.

وإن كثيرًا من المتسولين ليعلمون أولادهم وهم أطفال هذه المهنة الدنيئة ويعلمونهم الإلحاح والتملق والذلة للمسؤول حتى ينالوا منه بغيتهم.

إن الذين اتخذوا حرفة التسول أصبحوا يعدون العمل في البيوت وغيرها من العار، فتدعو المرأة لتخدم في بيتك وتعمل ما يعمله أمثالها من غسل وطبخ ونظافة بيت مثلًا فتأبى كل الإباء! فهي تستنكر الخدمة وهي عمل حلال ولا تستنكر التسول ومد يدها الخضبة بالحناء إلى الناس، ويجيء غلام يستجديك فتقول: تعال اعمل عندي وكل واشرب واكنس. فيقول: كلا إني أكسب من حرفتي أضعاف ما تعطيني!!

لذلك أصبح الناس في حاجة إلى خدم يبحثون عنهم فلا يجدون، وليس ذلك لقلة الفقراء ولا الأولاد الذين يصلحون للخدمة، ولكن لأنهم يكسبون بالتسول ما لا يكسبون بالعمل، وقد رأوا التسول حرفة سهلة ووسيلة قريبة إلى جمع المال، ولا ريب أن هذا فساد اجتماعي ومرض خلقي، وتفرض مداواته على الأمة وخاصة الأغنياء منها؛ وذلك بأن يوجدوا المصانع وينشيءوا الشركات التي تسع العاطلين فتعلمهم ما ينفعهم وهكذا يجب أن تتضافر الأمة مع حكومتها على إصلاح الفاسد ومداواة الأمراض الاجتماعية، والله الموفق.

الإمامة في المسجد الحرام

«حاضرها وماضيها»[(١)]

كانت الإمامة في المسجد الحرام زمن الترك وأحكامهم في الحجاز مثال الفوضى والعبث، والتفرق في الدين؛ وذلك أن الإمامة كانت وظيفة يتوارثها الأبناء عن الآباء، والآباء عن الأجداد، وكان من لم يصلح من أولئك الأبناء للإمامة أقام نائبًا عنه للقيام بالوظيفة.

وكان في المسجد الحرام أئمة كثيرون يعدون بالعشرات، بل بالمئات.

قائمة المذهب الحنفي - مثلًا - بلغوا خمسين ومائة أو كثير. وأئمة الشافعية كانوا مثل ذلك أو قريبًا منه، وأئمة المالكية والحنابلة، غير أن الحنابلة كانوا أقل الطوائف وأقل الأئمة.

ولقد كانت تقام الصلاة في المسجد فيتقدم أحد أئمة الشافعية ويصلي أول الوقت في الفجر، والمالكية والأحناف جلوس ينتظرون حتى تنتهي الشافعية، ويصلون عند الإسفار، ولا تسل عما كان منهم في رمضان؛ فإنك كنت ترى جماعات كثيرة متعددة مختلفة العدد، وكان كل حافظ شيئًا من القرآن يقوم لثلاثة أو أربعة أو أكثر من جماعة، فيصلي بهم التراويح، ولا ريب أن هذا تفرق في الدين منهي عنه، وكان قد وقع في زمن عمر مثله فجمع الناس على إمام واحد وانتهى التفرق والحمد لله.

ولما جاء الإمام العادل الملك عبد العزيز - وفقه الله تعالى - ورأى هذه الفوضى والتفرق في أعظم مساجد الدنيا، هاله الأمر، وانتخب من كل مذهب عددًا من الأئمة يتناوبون الصلاة فيما بينهم، فإذا صلى منهم إمام

---

(١) مجلة «الحج» - جمادى الثانية - ١٣٦٧هـ.

صلى جميع من في المسجد خلفه، وانتهى بذلك التعدد، واقتضت حكمة هذا الملك المتمسك بدينه المصلح لما فسد أن ينقص من هؤلاء الأئمة عددًا بالتدريج كل عام حتى صار الإمام واحدًا والجماعة واحدة في رمضان وغير رمضان؛ غير أن لهذا الإمام مساعدين إذا غاب لمرض أو نحوه صلى بدله النائب الأول، فإن غاب صلى النائب الثاني.

وأصبحت الجماعة في المسجد الحرام مما يسرك منظره ويبهرك رواؤه وجلاله، ولله الحمد والمنة، وجزى الله مليكنا خير الجزاء على اجتثاث هذه الفتنة وذلك المنكر؛ الذي لم يقره كتاب ولا سنة ولا مذهب.

ولم يكن هذا أول إصلاح بادر إليه مولانا المليك المهدي عبد العزيز، ولا أول حسناته الكثيرة، فلقد قضى على بدع كثيرة في المسجد الحرام بقدر ما سمحت به الظروف، وهو - حفظه الله - ناصر للسنة فكم أبطل - حفظه الله وزاده توفيقًا - من بدع أهل الطرق التي كانت منتشرة في المسجد الحرام، وكانوا يقرءون أورادها بأصوات منكرة، وأبطل ازدحام النساء في الحرم بعض الليالي لإقامة بدع وموالد ما أنزل الله بها من سلطان، فاستراح الناس من بدع دينية، وفوضى أخلاقية كانت أخطر من الوباء الأصفر على الناس، أطال الله عمره وزاده إصلاحًا وتوفيقًا.

* * *

شعلة أُطفئت وشمس توارت...!![1]

رثاء فقيد الإسلام العلامة السيد محمد رشيد رضا

أي خطب دها وأي مصاب؟! خبِّروني فقد فقدت صوابي؟
أحقيق قضى رشيد فأمسى صامتا لا يحير رد جواب؟!
أحقيق هوى منير الدياجي من سماء العلا وحق اكتئابي؟!
أحقيق غاض الخِضم ودك الطود في (مصر) ياله من مصاب؟!
أي إمام الهدى! أعرني لسانا كان فيه الهدى وفصل الخطاب
وذكاء يمده نور علم ويراعا يجول في كل باب
وأعرني لآلئًا كنت تمليها هدى من بليغ آي الكتاب
فلعلي أصوغ منها المراثي باكيات ولا بكاء السحاب
ولعلي أفي ببعض حقوق لفقيد الإسلام محيي الشباب
من لنا اليوم بعد موتك يفتي ويبين الصواب دون ارتياب؟!
ويذود الضلال من غير عي ويرد العدا على الأعقاب؟!
من (لتفسيرك) الحكيم ومن ذا (لمنار) في الحق ليس يحابي؟!
من يجلي العويص من مشكلات من يجلي مخدرات الكتاب؟!
كان ملء العيون علمًا وفضلًا حجة في العلوم والآداب

---

(١) صحيفة صوت الحجاز، العدد (١٧٤)، في ١٩/ ٦/ ١٣٥٤هـ صحيفة أم القرى العدد (٥٦٢) في ١٥/ ٦/ ١٣٥٤هـ.

سلفيًّا محققا مستقل الـ ـفكر حر الضمير حلو الخطاب
المعيا مناظرًا لا يجارَى وبليغًا من أبلغ الكتاب
وخطيبًا مفوها علويا ثابت الأصل في ذوي الأحساب
محييا سنة النبي بعلم ومميتا لبدعة وكذاب
داعيا للإله في حين يدعو علماء الضلال للأنصاب
حارب الشرك والفجور بعزم دونه أسمر القنا والحراب
فتوالت عليه سوء خطوب من أناس كثيرة كالذباب
وتعاوت عليه مثل ذئابٍ وهو كالبدر لم يُنل باصطخاب
فمضى معرضا بغير التفات لأذى ملحد وأهل كتاب
غير راج من الخلائق أجرا لا ولا خائف ولا هياب
كم أهاب الرشيد بالشرق حتى أشرقت شمسه بغير حجاب
صادعا بالحق المبين إذا ما شغلت غيره ذوات الخضاب
لا يبالي بمدحة الناس يوما وهو أهل لها؛ ولا بسباب
واقرأ (الوحي) إن أردت رشادا و (منارا) دليله كالشهابِ
كلما تمنى لشرعة الله نصرًا وعلوًّا على جميع الرقاب
كم أماط اللثام عنها وجلَّى وسباتا بحسنها الخلاب
شعلة اطفئت وشمس توارت وي كأن الحياة لمع سراب
ليت شعري أتائب حاسدوه بعد هذا لربنا التواب؟
أم يظل الحسود بعد مصرا لا يبالي بهول يوم الحساب

كـــل حـــي إلـــى الفنـــاء سيمـــضي ومـــــسوق جميعنـــــا للتـــــراب
رب إن المـــــصاب فيــــه عظــــيم ضــــاق ذرعــــا بـــه أولـــو الألبـــاب
رب أفـــرغ علـــى القلـــوب اصـــطبارا وارزقـــن الفقيـــد حـــسن الثـــواب

* * *



الدين الخالص

ليس إلا في اتباع سنة الرسول ﷺ(١)

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلم يبق سبيل مستقيم، يصل العبد به إلى ربه على بينة ونور، وينال به مغفرته ورضوانه - إلا سبيل الرشاد؛ سبيل أشرف المرسلين وخاتم الأنبياء محمد ﷺ. ولن يسلك أحد هذا السبيل إلا إذا كان على علم به ومعرفة لمناره وآياته؛ ودلالاته وعلاماته. ولن يحظى أحد بنعمة هذه المعرفة إلا من كتاب الله تعالى؛ يقرؤه ويتدبره ويتفقه فيه، ويتفهمه، ويقف عند حدوده، ويضع أحكامه مواضعها، فالحلال ما أحل، والحرام ما حرم. والواجب ما أوجب، والتحاكم ورد المنازعات والمخاصمات في كل مجال إليه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، واتخذ من آياته وعظاته شفاء لأمراض روحه، ونورًا من ظلام قلبه، وتضلع من كلام رسول الله ﷺ، وأحاديثه الطيبة المباركة التي بين بها هذا الرسول ما أنزل إليه من ربه.

فمن وفق لهذه المعرفة بالله من نور كتاب الله وسنة نبيه، وخلص قلبه من أمراض الشهوات والشبهات هدى إلى صراط الله المستقيم، وذاق قلبه حلاوة الإيمان.

وحلاوة محبة الله ومحبة الرسول ﷺ.

أما من حرم - والعياذ بالله - من هذه المعرفة. بما سقى قلبه من حثالات

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (١-٢)، في ١٣٥٦هـ.

الأفكار وزبالات الآراء وفضلات القيل والقال متوهمًا أن هذا هو علم الدين. وسبيل المهتدين فهذا - والعياذ بالله - قلبه مظلم وروحه مظلمة. ومحال أن يذوق هذا من حلاوة الإيمان ذرة، وأن يبرق لقلبه من حب الله والرسول بارقة، وما يزال شيطانه يمد له في حبل الغواية حتى يعتقد - باطلًا- أنه من أعظم العارفين بالله وبالرسول، وأشد المحبين لله وللرسول. وأكثر المعظمين لله وللرسول. وذلك هو الانتكاس والانعكاس الذي لا يكاد يرجى معه شفاء للقلب ولا عافية وإن آية الحب الصحيح والإيمان الصادق: أن لا يقدم بين يدي قول الله ورسوله وهدى الصحابة قول أحد ولا رأيه ولا عمله، مهما كان، وفي أي زمان كان. وأن لا يجد لذة العلم، ومتعة البحث إلا في قول الله وسنة الرسول، وهدى الصحابة وأن يجد لغير ذلك في نفسه مرارة تؤذيه وطعمًا يؤلمه وعلامة الحب الكاذب، والإيمان الخادع، ضد ذلك وعكسه، ثم الاعتذار بأن كلام الله وكلام الرسول قد أغلق الباب دونهما، وضرب الحجاب على فهمهما والتفقه فيهما، وما بقيا في المصحف والكتب إلا على سبيل البركة، ترديدًا للحروف؛ وقراءة على الموتى في المآتم، وعلى القبور، وحملًا للمصحف، ووضعًا له في البيوت لئلا يصيبها الأذى والحرق. أما الدين والأحكام، والحلال والحرام ودواء القلوب، وعلاج الأمراض الأخلاقية والاجتماعية ففي قول فلان وعمل فلان، وتحقيق فلان، وشرح فلان وما إلى ذلك، مما فتن به أكثر من يزعم الإيمان ويدعى زورًا وبهتانًا حب الله والرسول ﷺ.

وإلا فقل لي بربك أيها العاقل الناصح لنفسه: هل من تعظيم الرسول ومعرفة حقه، الإعراض عن سنته وتحاميها تدبرًا وفهمًا، وإهمالها تكاسلًا وعجزًا، بدعوى أنهم لا يقدرون على فهمها وأنه لا يستطيع ذلك أحد في هذا

العصر. لأن هذه النعمة قصرها الله على السابقين من أهل القرون الأولى. وقد امتنعت رحمة الله، وسد باب فضله، أن يكون في الناس اليوم من يؤتى من الحكمة والفقه، ما يفهم به عن الله والرسول ما يهتدي به ويرشد غيره. بل وزادوا أن من حاول ذلك اليوم فهو ضال مضل، ومارق في الدين خاسر. واستعدُوا عليه العامة والخاصة، وأجلبوا عليه بكل ما يستطيعون من قلم ولسان ويد، هل أولئك الصادون المصدودون عن العلم الصحيح والهدى والحق والصراط المستقيم يعرفون الله والرسول، ويقدرون الله قدره ويعطون الرسول ﷺ حقه من الحب والإجلال والتعظيم؟ اللهم إن كل شيء يشهد بأنهم في دعواهم كاذبون، وأنهم في ضلالهم يعمهون. وأنهم عن الصراط ناكبون، وأنهم إن ماتوا على ذلك إلى جهنم صائرون.

هل عرف الرسول من يتحاكم إلى غيره؟ لا والله، كيف يكون عرفه وآمن به والله يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وهل عرف الرسول ﷺ وآمن به من يرد حديثه الصحيح لأجل كلام شيخه أو عادات قومه؟ لا والله.

وهل من تعظيم الرسول تقديم آراء المؤلفين على حديثه الثابت المشهود له بالصحة من أئمة النقل وحفظة الآثار؟ كلا ثم كلا.

فيامن يدعي حب الرسول ومعرفته والإيمان به، هذه كتبه وهذه سنته وآثاره ووصاياه وهذا هديه فتمسك به إن كنت صادقًا في حبك له. قال ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»**[1].

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٧٣٥).

هذا البخاري ومسلم قد يسر الله لكل مسلم الحصول عليهما، فقد طبعا على أشكال شتى عدة طبعات، وقد اقتناهما العامة والخاصة، ولكن هل انتفعوا بهما؟ لا بل اقتنوهما للبركة، لأنهم سمعوا أن البخاري إذا وضع في بيت لا يحرق وإذا حمل في سفينة لا تغرق.

ولو عرفوا الرسول ﷺ لعلموا أن البركة في فهم حديثه والعمل به لا في حمله. ولقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] فشهد الله له بالبركة في هذه الآية وفي آيات أخرى. ومع ذلك ترى بعض من يحفظونه لا بركة فيهم ولا عندهم بل هم من شر البرية يحملونه كما يحمل الحمار كتبًا لا يدري ما فيها ولا ينتفع بحملها، لأنهم لا يحلون حلاله ولا يحرمون حرامه ولا يقفون عند حدوده ولا يتعظون بمواعظه كما قال تعالى في اليهود: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

يا مدعيًا معرفة الرسول وحبه، هات البينة فإن كل دعوى بدون البينة ساقطة مردودة وما البينة على هذه الدعوى إلا اتباع سنته والعمل بها.

إن وظيفة العلماء تبليغ سنة رسول الله ﷺ لا أكثر ولا أقل، والعلماء ورثة الرسل لا يكونون ورثة الرسل إلا إذا علموا سنتهم وبلغوها فإن الرسل لم يورثوا قول فلان ومذهب فلان، وشرح فلان وحاشية فلان.

فأما إذا تعلموا غيرها وأعرضوا عنها جريًا وراء مقاصد دنيوية فليسوا علماء ولا ورثة أنبياء، ومن يتعلم ليكون قاضيًا أو مفتيًا: ولا هم له إلا الحصول على هذه البغية، وهو عليها حريص وبها كلف، لا شك لا يكون عنده من الإخلاص في طلب العلم الصحيح الذي يترفع عن أهواء ذوى الغايات ما يستحق أن يكون به من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء مهما ظن

في نفسه أو ظن الناس فيه عظمة أو رفعة مقام، وليس هو في شيء من ذلك، وهو لابد حريص على إرضاء ذوي الغايات ممن بيدهم زمام منصب القضاء، وعشق الدريهمات التي يدرها عليه ذلك المنصب ومن كان حاله كذلك فهو لابد مجهد نفسه للحصول على أكبر حظ من هذا المتاع القليل، وهو لهذا يملكه من الشره والطمع ما يملأ قلبه حقدًا وحسدًا لكل من يظهر قول الحق ويدعو إلى العلم النافع والعمل بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ ويجتهد في تشويه سمعته والنيل من عرضه في إيصال الأذى إليه بكل ما في وسعه، ولا عدو أعدى له من متبع الكتاب والسنة والداعي إلى العمل بهما، فهل هذا كله نتيجة معرفة الرسول وحبه؟.

وربما يقال: يمكن أن يحب الرجل رسول الله ﷺ ولكنه مع ذلك تعلم من الكتب التي وضعها أمثاله من المتأخرين أن الدين الواجب هو عدم فهم الأحاديث والخوض فيها والواجب المفروض تقليد هذه الكتب المنسوبة إلى المذاهب وتقليد مؤلفيها تقيدًا أعمى، على قاعدة «حطها في رقبة عالم واطلع سالم» لا أنه لم يصل إلى درجة الاجتهاد فإن الاجتهاد له عندهم شروط يستحيل في هذا الزمان – على زعمهم – الحصول على بعضها.

ونقول: قد يمكن هذا إذا ظن أن ما في هذه الكتب هو خلاصة الأحاديث وعصارتها، وأنه لو استقل بالفهم لم يفهم أحسن من الشيخ فلان والشيخ فلان.

وهذا وهم أو مرض عضال لا نجاة منه إلا بأن يسلك الناس إلى العلم غير ما يسلك هذا وأمثاله من الطرق العقيمة غير المفيدة، والتي فضلًا عن أنها لا تخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم فأنها تغير الفطرة وتطمس نور البصيرة وتغلف القلب بغلاف من الباطل سميك.

وخير طريقة إلى العلم الصحيح أن يبدأ بتحفيظ التلميذ كتابًا في السنة مختصرًا، كبلوغ المرام أو المحرر بعد القرآن ويشرح لهم الأحاديث والآيات شرحًا بسيطًا خاليًا من الخلافات على قدر عقولهم. وبجانب ذلك يعلمون دروسًا في اللغة العربية، مفرداتها وقواعدها وأساليبها، حفظًا، ومحادثة، وكتابة، ومطالعة، ثم يمرنون على الفهم في الكتاب والسنة. فيقال مثلا: اذكروا ما في قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[(١)] الحديث، ما تفهمون من قوله ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٢)] ونحو ذلك، ويكون قبل ذلك قد شرح كثيرًا من الأحاديث وذكر كيفية استنباط المسائل منها، كما يرى من صنيع العلامة ابن حجر في فتح الباري آخر شرحه للحديث، إذ يقول: في الحديث كذا وكذا من الفوائد، وكصنيع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، إذ يذكر في الباب من الأحاديث ما يناسب؛ ثم يقول فيه مسائل فيذكرها.

فبهذه الطريقة يتخرج علماء مخلصون ورجال خليقون بما يوكل إليهم من مهام الأمور، لأن قلوبهم قد تشبعت بروح الدين الصحيح والخشية الصادقة من هداية الكتاب والسنة.

لكن الناس جعلوا الوسائل مقاصد وقدموها عليها، وأفنوا أعمارهم فيها ولم يحصلوا على المقصود وأخيرًا خرجوا آلات ميكانيكية لا تفكير ولا فقه ولا استنباط وحجروا على عقولهم حتى قتلوها، وأضحوا مقلدين في كل شيء فضلوا ضلالًا بعيدًا.

إن معرفة الرسول ﷺ تستلزم إيثار قوله على كل قول وتقديم طاعته على

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

طاعة كل أحد لأنه هو الإمام الأعظم الذي لا أعظم منه، هو الذي تجب طاعته على كل مسلم، وغيره فلا تجب علينا طاعته كائنًا من كان، وأن الواجب على ورثته أن يعلموا الناس سنته، وهم ولله الحمد قائمون بذلك في الهند ومصر وفي الأقطار الأخرى كثير، كثرهم الله. وجعلهم غيظًا لعدوه.

وما مثابة العلماء المبلغين سنة الرسول ﷺ لأمته إلا كالمبلغين في الصلاة خلف الإمام يقول: «الله أكبر» فيقولون: «الله أكبر» ويقول: «سمع الله لمن حمده» فيقولون: «ربنا لك الحمد» لا يزيدون عن ذلك ولا ينقصون.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته ص ١٤ بعد كلام طويل في الاجتهاد وتمثيله بالاجتهاد في القبلة إذا غاب الناس عن عين المسجد الحرام – وكذلك أخبرهم عن قضائه فقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] والسدى الذي لا يؤمر ولا ينهى وهذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله ﷺ أن يقول إلا بالاستدلال بما وصفت في هذا وفي العدل وفي جزاء الصيد ولا يقول بما استحسن فإن القول بما استحسن شيء يحدثه لا على مثال سابق. فأمرهم أن يشهدوا ذوى عدل والعدل أن يعمل لطاعة الله فكان لهم السبيل إلى علم العدل والذي يخالفه.

وعقد الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته بابًا في الاجتهاد فقال: (باب الاجتهاد) وفي كتاب اختلاف الحديث وغيره مما في الجزء السابع في كتاب الأم كلام كثير في رد الرأي ونقضه. والمبادرة إلى اتباع الحديث.

فليقرأ هذا من أراد العلم الحق ومن له نفس شريفة وهمة عالية وعقل راجح كي يرى جمود أولئك الغافلين.

* * *

الــديــن الخــالــص

ليس إلا في اتباع سنة الرسول ﷺ(١)

إن الذي لم يعرف الرسول ﷺ ولم يعرف سنته فإنه يبقى طول حياته يتخبط في جهله ثم يلوم غيره ممن فتح الله عين بصيرتهم ووفقهم لفهم كلامه وكلام رسوله. ويحسدهم على ذلك، ويحقد عليهم، ويحتقرهم، ويحاول جاهدًا أن يشوه سمعتهم عند الناس، زاعمًا كذبًا، أنهم لا يحترمون الأئمة، وأنهم يرون أنفسهم مساوين للأئمة، وهذا وربك أيها القارئ المنصف كذب وزور، حاكته نفس ذلك المسكين وخياله فإنهم لم يدعوا أنهم كالأئمة في علمهم واجتهادهم، ولم يفرض الله على أحد أن يكون كالشافعي ولا أحمد ولا مالك ولا غيرهم، ولكن فرض على الناس تدبر كلامه وفهمه والعمل به. ومثل هذا مفروض في سنة الرسول ﷺ.

وقد عقد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بابًا في ذلك، فقال: باب العلم قبل القول والعمل والعلم هو معرفة كلام الله وكلام رسوله ﷺ لا علم إلا ذلك عند الإطلاق، فأما التقليد فليس بعلم ولا أهله بعلماء.

قال ابن الهمام في التحرير: التقليد: العمل بقول من ليس قوله إحدى الحجج بلا حجة وقال القفال: هو قبول قول القائل، وأنت لا تعلم من أين قاله.

وقال الإمام الشوكاني: هو قبول رأي من لا تقوم به الحجة بلا حجة.

وقال في إرشاد الفحول: المسألة الثالثة – اختلفوا في المسائل الشرعية

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٣)، في ١٣٥٦هـ.

الفرعية، هل يجوز التقليد فيها أم لا؟ فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه لا يجوز مطلقًا، قال القرافي: في مذهب مالك وجمهور العلماء على وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد، وادعى ابن حزم الإجماع على النهي عن التقليد. قال: ونقل عن مالك أنه قال: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق فاتركوه، وقال عند موته: وددت أني ضربت بكل مسألة تكلمت فيها برأيي سوطًا على أنه لا صبر لي على السياط.

قال ابن حزم: فهاهنا مالك ينهي عن التقليد، وكذلك الشافعي، وأبو حنيفة وقد روى المزني عن الشافعي في أول مختصره أنه لم يزل ينهي عن تقليده وتقليد غيره. اهـ. قال الإمام الشوكاني: وبهذا تعلم أن المنع من التقليد إن لم يكن إجماعًا فهو مذهب الجمهور.

وقال الإمام الآمدي في كتابه الأحكام: والمعتمد في المسألة أنه يقال: القول بجواز التقليد حكم شرعي، ولابد له من دليل، والأصل عدم ذلك الدليل، فمن ادعاه يحتاج إلى بيانه، ولا يلزم من جواز ذلك في حق العامي العاجز عن التوصل إلى تحصيل مطلوبه من الحكم جواز ذلك في حق من له أهلية التوصل إلى الحكم وهو قادر عليه، ووثوقه به أتم مما هو مقلد فيه.اهـ.

وقد أورد اعتراض المعترضين على ذلك وأجاب عنه.

قال الشوكاني في إرشاده: وما أحسن ما حكاه الزركشي في البحر عن المزني أنه قال: يقال لمن حكم بالتقليد: هل لك من حجة؟ فإن قال: نعم أبطل التقليد لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد، وإن قال: بغير علم، قيل له: فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج والأموال، وقد حرم الله ذلك إلا بحجة؟ فإن قال: أنا أعلم أني أصبت وإن لم أعرف الحجة لأن معلمي من كبار العلماء.

قيل له: تقليد معلم معلمك أولى من تقليد معلمك لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت على معلمك، كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عنك. فإن قال: نعم، ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه ثم كذلك حتى ينتهي إلى العالم من الصحابة، فإن أبى ذلك نقض قوله، وقيل له: كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علمًا، ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأغزر علمًا؟ وقد روى عن رسول الله ﷺ: «**أنه حذر من زلة العالم**» وعن ابن مسعود أنه قال: «لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر». اهـ.

وقد اتفق العلماء وذكروا في غير ما كتاب من كتبهم الأصولية وغيرها: أن المقلد ليس بعالم، ولا يجوز أن يولي القضاء والإفتاء وإنما العالم هو صاحب الحجة والحجة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا حجة إلا ذلك، وما كان من إجماع أو قياس فمرجعه إليها.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الرسالة:

ففرض الله ﷻ على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] وقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١] وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] وقال: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ

إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٤٨-٥١] قال الشافعي: فأعلم الله الناس في هذه الآية: أن دعاءهم إلى الله ورسوله ليحكم بينهم دعاء إلى حكم الله، لأن الحاكم بينهم رسول الله فإذا سلموا لحكم النبي ﷺ فإنما سلموا له بفرض الله، وأنه أعلمهم أن حكمه حكمه، على معنى افتراضه حكمه وما سبق في علمه جل ثناؤه من إسعاده إياه بعصمته وتوفيقه، وما شهد له به من هدايته، واتباعه أمره، فأحكم فرضه بإلزام خلقه طاعة رسوله وإعلامهم أنها طاعته، فجمع لهم أن أعلمهم أن الفرض عليهم اتباع أمره وأمر رسوله معًا، وأن طاعة رسوله طاعته، ثم أعلمهم أنه فرض على رسوله ﷺ اتباع أمره. جل ثناؤه اهـ.

وقال في موضع آخر: إن الله فرض على الناس طاعة رسوله ﷺ وحتم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: أنه فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسول الله وذلك لما وصفنا من أن الله جل ثناؤه جعل الإيمان برسول الله مقرونًا بالإيمان به، وسنة رسول الله مبينة عن الله ﷻ معنى ما أراد، ودليلًا على خاصة وعامة، ثم قرن الحكمة بها بكتابه فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله ﷺ. اهـ.

ومن جمود المقلدين نشأت المضرات الآتية:

١- حلول القوانين الافرنجية محل الشريعة الإسلامية.

٢- إنشاء محاكم أهلية كبيرة بدل المحاكم الشرعية.

٣- قصر المحاكم الشرعية على عدة مسائل شخصية في الرضاع والطلاق والزواج والنفقة وما إلى ذلك.

٤- الحكم في الدماء والأموال وسائر الحقوق والتعزيرات خرج من يد قضاة الشرع إلى قضاة القانون ووضعت فيهم الثقة دون أولئك فمن لي بعين الخنساء وقلبها لأبكي بهما على أعز من فقيدها.

٥- تذمر كثير من المسلمين من حكم المحاكم الشرعية لعدم ملاءمتها روح العصر، وجمود قضاتها على أحكام كانت لزمن غير هذا الزمن، وقضايا لها ظروف خاصة، وأحوال اقتضتها، فلم تكن قواعد عامة لكل زمن ولكل ناس، كالقرآن الكريم حتى أن كثيرًا من الآباء قتلوا أولادهم من أجل الحكم عليهم بنفقة، ومنهم من خرج من الدين إسقاطًا لما عليه من حقوق زوجه، ومنهم من خرج من البلاد فرارًا من مطالبة المحكمة له بنفقة زوجه، وكثرت الحيل وشهود الزور والفسق في مكاتب المحامين، حتى ضجت الأرض إلى ربها من جمود القضاة وحيل المحامين.

٦- عمل المحللات التي لعنها رسول الله ﷺ، حتى إن بعض المتعالمين في القرى يتخذ رجالًا كالتيوس لهذا الغرض الخبيث.

٧- التنفير عن الدين الإسلامي بسبب الجمود، فإن المتعلمين للعلوم الحديثة على المنهج الجديد، وخصوصًا منهم المتضلعون في الثقافة الأوربية والعلوم الأوربية يظنون أن ذلك من طبيعة الدين نفسه لا من المنتسبين إليه.

٨- سقوط العلماء من نظر أهل الفكر والعقل الحديث.

٩- بعدهم عن الكتاب والسنة وصدهم غيرهم وإبعادهم الناس عنها.

١٠- غضب الله عليهم بسبب ذلك بأنواع الفتن والعقوبات المادية والروحية.

١١- حمل وزرهم ووزر غيرهم ممن أضلوهم أو نفروهم عن الدين بهذا الجمود.

١٢- شهادة القرآن عليهم بالجهل وعدم الهداية في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

١٣- إهمال الكتاب والسنة بعدم تدبرهما.

١٤- الاعتراف العملي منهم بعدم صلاحية الكتاب والسنة لهذا الزمان وما بعده إلى يوم القيامة.

١٥- الاعتراف القولي منهم بعدم وجود من يقدر على فهم الكتاب والسنة والاستنباط منهما، وفي هذا ما فيه.

١٦- سد باب رحمة الله من بعد الأئمة، فلا مجتهد بعدهم.

١٧- التكذيب بحديث «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**»[1] ونحوه.

١٨- عدم استحقاقهم ما يستحقه أهل العلم في الوقف اليوم شرعًا، لأن الأوقاف الموقوفة على العلماء إنما يقصد بها العلماء بالمعنى الشرعي لا المعنى الاصطلاحي فصار ما يأخذونه غير حلال لهم، فأكلوا الحرام بسبب جهلهم.

١٩- مشابهتهم القسس في نهيهم الناس عن تدبر القرآن والسنة والفهم فيهما وذلك أن القسس ينهون أشد النهي عن النظر في الإنجيل والتوراة، ويقولون لإخوانهم من أهل الكتاب: ليس لكم هذا، وإن فعلتم كفرتم (وشلحتكم الكنيسة) وما أرادوا بذلك إلا الاستعلاء على العوام وسد باب العلم عليهم لئلا يعرفوا تحريفهم وتقصيرهم في العمل بالأوامر إلى غير ذلك.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥٩٩).

٢٠- شهادة القرآن للمستدل بالعلم، ووصفه المقلد بالعمى. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩] وقال تعالى في الأمثال التي يضرب بها في كتابه: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾. [العنكبوت: ٤٣]

* * *

الدين الخالص

ليس إلا في اتباع رسول الله ﷺ[١]

ولننقل للقارئ الكريم هنا شيئًا مما قاله العلماء من كل مذهب في حكم المقلد والتقليد والمجتهد والاجتهاد حتى يتبين للمقلدين أنهم ليسوا علماء، ولا سلكوا سبيل العلم.

قال السيوطي في كتابه «الرد على من أخلد إلى الأرض»: «نص الشافعي رضي الله عنه والأصحاب بأسرهم على أنه يشترط في القاضي أن يكون مجتهدًا وكذا أطبق عليه المالكية والحنابلة، قال الرافعي في الشرح الكبير: يشترط في القاضي أهلية الاجتهاد فلا يجوز تولية الجاهل بالأحكام الشرعية وطرقها، المحتاج إلى تقليد غيره فيها. واحتج الأصحاب بقوله ﷺ: «**القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار: والذي في الجنة رجل عرف الحق فقضى به، واللذان في النار: رجل عرف الحق فجار في الحكم، ورجل قضى للناس على جهل**»[٢] واحتجوا أيضًا بأنه لا يجوز له الإفتاء بالتقليد فكذلك القضاء، بل أولى لأنا نعتبر في القضاء ما لا نعتبر في الفتوى.

وقال في الشرح الصغير: لا يجوز قضاء الجاهل والمقلد بل ينبغي أن يستقل بالاجتهاد.

وقال القاضي أبو يعلى من الحنابلة في كتاب الأحكام السلطانية: ومن لم يكن من أهل الاجتهاد لم يجز له أن يفتي ولا يقضي، فإن قلد القضاء كان

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٤)، في ١٣٥٦هـ.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٦١)، وابن ماجه (٢٣١٥)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٧٣٥).

حكمه باطلًا وإن وافق الصواب، لعدم الشرط إلخ.

وقال ابن الرفعة في الكفاية: يشترط في القاضي أن يكون عالمًا بالأحكام الشرعية بطريق الاجتهاد لا بطريق التقليد لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] والمقلد لو قيل بصحة توليته لكان إذا استقضى وحكم قافيًا ما ليس له به علم، لأنه لا يدري طريق ذلك الحكم، ولقوله ﷺ: «**القضاة ثلاثة**» الحديث.

ونقل الإمام السيوطي كلامًا طويلًا عن علماء كل مذهب ثم قال: وقال القاضي عبد الوهاب أحد أئمة المالكية في أول كتاب المقدمات في أصول الفقه بعد حمد الله والثناء عليه ونصب الأدلة والأعلام على ما شرع لنا من الأحكام وفصل الحلال من الحرام، والقرب من الآثام؛ وحض على النظر فيها والتفكر والاعتبار والتدبر؛ فقال جل ثناؤه: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وقال: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وقال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والتفقه: من التفهم والتبين. ولا يكون ذلك إلا بالنظر في الأدلة؛ واستيفاء الحجة دون التقليد، لأن التقليد لا يثمر علمًا ولا يقضى إلى معرفة، وقد جاء النص بذم من أخلد إلى تقليد الآباء والرؤساء، واتباع السادات والكبراء، تاركًا بذلك ما لزمه من النظر والاستدلال؛ وفرض عليه من الاعتبار والاجتهاد فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] وقال: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] في نظائر من هذه الآيات، تنبيهًا بها على خطر التقليد بأن فيه ترك اتباع الأدلة والعدول عن الانقياد إلى قول من لا يعلم أنه فيما تقلد فيه مصيب أم مخطئ فلا يأمن من التقليد لغيره كون ما يقلده فيه خطأ وجهلًا، لأن صحة المذهب لا تتبين من فساده باعتقاد المعتقد له وشدة تمسكه به، وإنما يتميز صحيح المذاهب من فاسدها، وحقها من باطلها، بالأدلة الكاشفة عن أحوالها، والمميزة بين أحكامها وذلك معدوم في المقلد لأنه متبع لقول لا تعرف صحته من فساده وإنما اعتقده لقول مقلده به.

فإن زعم صاحب التقليد أنه يعرف صحة القول الذي قلد فيه، ويعلم أنه حق، وأن اعتقاده واجب، فذلك باطل منه لأن العلم بذلك لا يكون إلا بالنظر في الأدلة التي هي طريق العلم به، فإذا عدل عنها علمنا بطلان دعواه للعلم بصحة ما قلد فيه.

فإن قال: علمت صحة القول الذي قلدت فيه بدليل وحجة، قلنا: فأنت غير مقلد، لأنك عارف بصحة القول الذي تعتقده والتقليد: هو اتباع القول لأن قائله قال به من غير علم بصحته من فساده - إلى أن قال- لا يسوغ لمن فيه فضل للنظر والاجتهاد وقوة الاستدلال والاعتبار أن يعتقد التفقه إلا من طريق الاستدلال الصحيح العاري من آفات النظر المانعة له من استعماله على وجهه.

وقال القاضي عبد الوهاب أيضًا في كتابه الملخص في أصول الفقه:

فصل في فساد التقليد: التقليد لا يثمر علمًا. فالقول به ساقط؛ وهذا الذي قلناه قول كافة أهل العلم. وأطال في الرد على المقلدين.

وقال الغزالي في المستصفي: التقليد هو قبول قول بلا حجة، وليس ذلك طريقًا إلى العلم لا في الأصول ولا في الفروع. وأطال أيضًا في الرد على المقلدين والقائلين به.

وقال الإمام ابن حزم في كتابه النبذ الكافية في علم الأصول: التقليد حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ قول أحد غير رسول الله ﷺ بلا برهان لقوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] وقال في حق من لم يقلد: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩] فلم يبح الله تعالى الرد عند التنازع إلى قول قائل بذاته غير القرآن والسنة.

وقد صح إجماع الصحابة كلهم، أولهم عن آخرهم، وإجماع جميع التابعين أولهم عن آخرهم، وإجماع تابعي التابعين أولهم عن آخرهم: على الامتناع والمنع من أن يقصد منهم أحد إلى قول إنسان منهم أو ممن قبلهم فيأخذه كله.

هذا بعض ما اقتضاه المقام من كلام الأئمة الأعلام في تقبيح التقليد، وتسفيه المقلدين، وللبحث بقية نذكر فيها بمشيئة الله تعالى وحسن هدايته ما جر هذا التقليد الأعمى من مصائب وطوام على الأمة الإسلامية في تفكيرها وعقلها ودينها ودنياها، ونبين أن أكبر الجرائم ما أوحاه شياطين الإنس والجن من مقالات السوء من أمثال «من قلد عالمًا لقى الله سالمًا»، و«وحطها في رقبة عالم واطلع سالم»، و«كن بين يدي شيخك كالميت بين

يدي المغسل»، و«شيخك جاسوس قلبك يدخل فيه ويخرج من حيث لا تعلم» ونبين بمشيئة الله أن تلك المقالات المظلمة لا تصدر إلا عن نفوس مظلمة من نور السنة المحمدية والهداية القرآنية، ومن قلوب مرتكسة في حمأة الجاهلية الجهلاء، وأن زعم قائلوها ومروجها أنهم من أئمة السنة ومن خيار العلماء، ومن كبار الأولياء، لا كانوا ولا كان المفتونون بهم.

ونسأل الله العافية من أن تدعى ألسنتنا ما لا تصدقه عقائدنا وأعمالنا ودعوتنا، ونعوذ بالله أن نكون من أولئك الجاهلين، ونسأله سبحانه العون على جهادهم، وقمع فسادهم وإخماد أنفاسهم حتى يسلم الإسلام والمسلمون من شرهم ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

* * *

أعداء السلف[1]

إننا لم نر حقًّا قط إلا رأينا له أعداء يناقضونه، ويسعون لإطفاء نوره ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

السلف الصالحون هم الصحابة والتابعون وتابعوهم؛ وإن شيءت قلت: هم الذين ورد ذكرهم في الحديث الصحيح «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[2].

هؤلاء هم السلف الصالح؛ وقد مضى على آثارهم من الأئمة وأهل العلم الذين جاؤا من بعدهم ما لا يحصيهم إلا الله تعالى في الشرق والغرب، ثم خلف من بعدهم خلوف اتبعوا أهواءهم وشهواتهم فضلوا وأضلوا.

ثم جاء آخرون كانوا أضل منهم وأجهل؛ أوتوا جدلًا ولم يؤتوا علمًا نافعًا؛ وتبجحوا بأنهم علماء وتصدروا للعوام وطلبة علوم الدنيا بعد أن تزيوا بزي القسس، ولبسوا للناس جلود الضأن وتكلموا بالدين؛ فظن الناس أنهم هم العلماء حقًّا وما هم بعالمين، إنما العلماء حقًّا هم الذين يخشون ربهم بالغيب وإذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون.

كان العلماء حقًّا أمثال الشافعي وأحمد بن حنبل ومالك وسفيان الثوري وسفيان ابن عيينة وعبد الله بن المبارك وحسن البصري ومجاهد وأضرابهم: يعرفون بصيام النهار وقيام الليل وكثرة البكاء من خشية الله، وعمل الخير لأنفسهم وللناس، بعيدين من الشر قريبين من البر: لا يدخلون في باطل ولا

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٥)، في ١٣٥٦هـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

يخرجون من حق، ولا يبتدعون في الدين ما لم يأذن به الله. كانوا وقافين عند كتاب الله وسنة رسوله لا يتجاوزونهما قيد شعرة: يخاف أحدهم أن يقول في شيء «حرام» لم ينص الكتاب والسنة على تحريمه؛ أو «حلال» لم ينص الكتاب والسنة على حله: ويقولون في الشيء يعرفون أنه من قبيل المحرم: إنا نكره كذا وكذا وذلك لعدم ورود نص قاطع بتحريمه.

أما اليوم فيقتحم على الدين قوم يدَّعون العلم بل من كبار العلماء، ويتهجمون على كتاب الله وسنة رسوله يحللون ويحرمون ما شاء الهوى لهم، ويفتون في كل ما يسئلون عنه وما لم يسئلو عنه، طلبًا للرياسة والشهرة بين العوام ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [غافر: ٥٦].

ولو كان للعوام والجهلة هيئة لقلنا إن أمثال هؤلاء الدجالين من كبار هيئة الجهلاء ولكنهم استكبروا في أنفسهم ووجدوا جهلة يعظمونهم فانتفخوا وعموا وقست قلوبهم، ولم يكفهم أن يتكلموا في مسائل الفروع حتى بدأوا يتكلمون في أصول الدين ويردون عقائد السلف. ومنهم من يعلن عداوتهم ويطعن فيهم، ويقدم سخافات عقله وعقل مشايخه الجهلاء على نصوص الكتاب والسنة، وما أجمع عليه السلف، وصرحت به السنة الصحيحة.

وعلامة هذا الغر الجاهل كثرة الوقوع في أهل العلم حفاظ الأمة وأعلامها وزهادها ومن جاهدوا في الله حق جهاده، ولقوا في ذلك ما يعده أولئك السفهاء الحمقى إهانة، وقد حرمهم الله من تلك المفاخر لعلمه فيهم أنهم أعداء أوليائه، وأنهم لا يصلحون إلا للدجل والحظوظ الدنيوية؛ قاتلهم الله أني يؤفكون.

ومن المصائب التي منى بها الدين في هذا الزمان أن ينبري رجل أعجمي

نبذته، بلاده نبذ إلقاء إلى الشام؛ فلما ظهر عواره وافتضح فيها نزح إلى مصر يظن أنها أقل غيرة من الشام أو يجد فيها من ينصره على باطله، فلم يجد من يصدق فيها ظنه إلا أعمى واحدًا كتب الله عليه الخذلان ولا قوة إلا بالله، ولقد لقي من محاربته أولياء الله كل خزي وإهانة وما كان له فيه معتبر ومزدجر ولكنه لم يشعر بما نزل له:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

ألا يتوب أولئك المساكين ويستغفرون الله فندعوا لهم بالهداية إلى الدين الحق ألا يسكتون على الأقل ويتركون العلماء المخلصين يجاهدون ألا يربأون بأنفسهم ألا يرغبون إلى الله لعل الله يهديهم إلى أقرب من هذا رشدًا ألا يتهمون أنفسهم بما شبه عليها من علوم وآراء ما أنزل الله بها من سلطان وما عرفها السلف بل ذموها وقبحوها وحذروا منها ألا يتذكرون يوم الوقوف بين يدي الله وسؤاله عن القرآن والرسول فقط ألا إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ولا تجعلنا حربًا لأوليائك؛ سلمًا لأعدائك، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا أنك أنت العزيز الحكيم.

* * *

جماعة أهل الحديث في الهند

حديث مع بعضهم(١)

في الهند جماعة عظيمة من أهل الحديث كثرها الله تعالى ونصرها لا تعمل إلا بالكتاب والسنة، وتنكر التقليد الأعمى أيما إنكار.

نشأت هذه الجماعة في الهند من أفراد قليل عددهم، فلما قاموا بالدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة وإنكار التقليد قامت بينهم وبين أهل المذاهب والفرق خصومات شديدة، ثم منازعات عنيفة، استعملت فيها العصى الغليظة والمدى وغيرها، وذهبت فيها أرواح وسالت دماء وكانت النتيجة أن وقفوا جميعًا أمام المحاكم القانونية، فحكم لأهل الحديث على خصومهم، وأيدتهم الحكومة المحلية بعدم التعرض لهم، فاشتد ساعدهم، وكثر عددهم، وخرج من ربقة التقليد وقيوده خلق كثير.

وما زالوا يكثرون حتى صاروا ألوفًا منتشرين في جميع أصقاع الهند، فنساؤهم وصغارهم لا يعرفون غير «قرآن وحديث» ولقد سمعت من بعض علمائهم في الحرم المكي ما لفظه «إن التقليد شرك في الرسالة» وسمعت من بعضهم من يقول: كل عبادة يعملها المقلد ناويًا فيها اتباع أحد غير رسول الله ﷺ كائنًا من كان فهي باطلة.

قلت له: إذا كان مقلدًا لأحد الأئمة: الشافعي أو مالك أو أبي حنيفة أو أحمد بن حنبل مثلا، ومعلوم أن هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى متبعون للرسول؛ وهؤلاء المقلدون متبعون للمتبعين؛ فتكون عبادتهم صحيحة، ضرورة أن عبادة الأئمة صحيحة.

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٥)، في ١٣٥٦هـ.

فقال صاحبنا: ليس الأمر كذلك، وإنما جاءها الفساد من قِبل النية، فأن الرسول ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات**»(١) وهو حديث صحيح رواه البخاري مبتدئًا به كتابه، ورواه غيره. وقد أمر الناس جميعًا أمرًا يعم الصحابة وغيرهم إلى يوم القيامة باتباع محمد ﷺ لا فرق في ذلك بين أبي بكر الصديق وبين غيره.

والمقلد حين يتوضأ وحين يصلي يتبع غير الرسول ﷺ؛ وينوي تقليد غيره، ممن لم يؤمر باتباعه، وهذا هو السر في بعد الناس عن الرسول ﷺ، ووقوع الوحشة في قلوبهم من اتباعه رأسًا؛ وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وأي فتنة أعظم من نسيان الرسول ﷺ وتركه واتباع غيره ممن ليس بمعصوم مع أن الإنسان حين يوضع في قبره ويسئل يقال له: «من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فأما المؤمن فيقول: هو محمد، هو رسول الله، آمنت به واتبعته. وأما الكافر أو المنافق فيقول: هاه، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته» وهذا هو التقليد الأعمى بعينه.

فانظر كيف أجاب المتبع لرسول الله ﷺ وكيف أجاب المقلد تعرف الفرق بين الاتباع والتقليد.

فقلت له: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] أليس في هذا ثبوت التقليد.

قال: لا.

قلت: كيف لا والله يأمر الجاهل أن يسأل أهل الذكر، وفي الآية الثانية: أن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

من يتبع غير سبيل المؤمنين يوله الله ما تولى ويصله جهنم، والمقلد متبع سبيل المؤمنين في الجملة.

قال: لا.

قلت: إذًا اشرح لي الآيتين وبين لي ما عندك فيهما.

قال: أما قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فمعناه أن على الجاهل شيئًا من العلم أن يسأل عنه أهل العلم. أي عليه أن يتعلم ليعلم، وهذا الذي نريده.

ولا ريب أن السؤال عن العلم حتى يعلم يناقض التقليد، ولذلك قال النبي ﷺ: «**ألا سألوا إذا لم يعلموا إنما دواء العي (الجهل) السؤال**»[(١)].

فالآية الأولى تحث الجاهل على التعلم، ليخرج من ظلمه التقليد إلى نور العلم.

والثانية تفيد أن سبيل المؤمنين هو اتباع الرسول ﷺ وعدم مشاقته، والمقلد مخالف سبيل المؤمنين، مشاق للرسول، ألا ترى أن المقلد يعمل عملا في الصلاة - مثلًا - كالرسال يديه دون وضعهما على صدره، فتنكر عليه ذلك فيقول مذهبي مالكي، أو أنا على مذهب مالك، فتذكر له حديثًا نبويًا صحيحًا يرويه مالك نفسه في موطئه وغيره من أئمة الحديث فلا يلتفت إليك، ولا يأخذ إلا بقول علمائه المقلدين.

ألا يصير مشاقًا للرسول حينئذ مراغمًا لسنته، مؤثرًا عليها قول الغير وكفى بهذا إثمًا كبيرًا.

قلت له: ما العمل إذًا في العوام والنساء، وكيف يتبعون الرسول وهم لا يعرفون العربية، وخصوصًا نساؤكم وعوامكم الأعجام.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٣٦)، وصححه الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٠٧).

قال: إننا نعلم نساءنا العربية، ونقرئهن كتب السنة الصحيحة، وكذلك أولادنا وأما عوامنا فقد اعتادوا أن يسألونا عن حكم الله ورسوله، واعتدنا ولله الحمد ألا نجيبهم إلا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فإن لم نجد بحثنا عن فتاوى الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين.

قلت: قد رجعتم إلى التقليد.

قال لا: لأننا ننظر مآخذ الأئمة ونرجح ما يشهد له الدليل، وهذا نادر.

قلت: ألا يكون العامي الذي يأخذ باجتهادك وترجيحك مقلدًا لك في هذه الحال، مفارقًا هدى الرسول ﷺ.

قال: لا. لأن العامي متبع رسول الله في عقائده وعبادته؛ وكل ما يلزم العوام من الدين ظاهر واضح بالنصوص، وإنما تعرض بعض المسائل فالواجب على العامي أو من عرض له شيء يجهله من أمر دينه أن يسأل العالم به، كما أنه إذا أراد أمرًا دنيويًا لا يحسنه يبحث عمن يحسنه ليعمله له كبناء بيت أو نحو ذلك. فالدين أهم عند المسلم من أمر الدنيا؛ فهو يبحث عن العالم بالكتاب والسنة ليسأله، وفي هذا اجتهاد منه؛ وبسؤال العالم عن حكم الله ورسوله صار معذورًا. والعالم إذا اجتهد في البحث عن الصواب وأصابه فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر بما بذل من جهد.

قلت: أليس من الصعب جدًا أن يتعلم نساؤكم العربية ثم قراءة السنة وفهمها، والقرآن وتفسيره.

قال: إن عندنا مصاحف عليها تفسيرها بالأردية والفارسية، وكذلك كتب السنة فاللواتي لا يعرفن العربية يقرأن الترجمة فيفقهن معنى قول الله وقول رسوله وهن يعلمن بناتهن وأولادهن عمليًّا وليس عندنا معشر أهل الحديث إلا قال الله، قال رسوله؛ أو كذا فعل الرسول، كذا هدى الرسول ﷺ، كما

يدور ذكر المذهب على لسان المقلدين.

ثم قال: وأني لأعجب من مصر وهي كما يقولون «عروس الشرق وزعيمة الإسلام، وفيها الجامعة الأزهرية» وليس لأهل الحديث فيها ذكر ولا لهم وجود.

قلت له: إن في الأزهر كثيرًا من أهل الحديث السلفيين وأنصار السنة العاملين، ولهم مجلة تدعى (الهدى النبوي) غير أنهم بالنسبة لجماعة أهل الحديث في الهند قليل، وسيكثرون وتكون لهم مدارس لتعليم القرآن والسنة خاصة إن شاء الله، وأنه يوجد في مصر في كل بلد وقرية منها جماعة سلفيون يحبون السنة ويعلمون بها.

قال: ولكن هل بينهم أحد من أهل العلم يقرأ لهم كتب السنة بنظام.

قلت: هذا لما يوجد بعد، ولكن في مصر أفذاذ علماء في الحديث.

قال: هل تعرف أحدًا منهم؟

قلت: نعم أعرف الأستاذ العلامة القاضي المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر، والأستاذ العلامة رئيس جماعة أنصار السنة ورئيس تحرير الهدى النبوي الشيخ محمد حامد الفقي، والعلامة المفضال الشيخ عبد ربه مفتاح رئيس الوعظ والإرشاد، والأستاذ العالم الواعظ الشيخ عبد الوهاب العيسوي، وأعرف غيرهم كثيرين، ولله الحمد لاتحضرني أسماؤهم الآن.

وحسبك أنهم قضوا على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد. وقرروا قانونًا يعمل به الآن في الحكومة بعدم وقوعها، وهو خلاف المذاهب الأربعة.

والآن في مصر نهضة علمية قوية مجددة تريد سن نظام من الشريعة الغراء غير مقيد بمذهب خاص.

أما يكفيك هذا كله في أن بمصر جماعات كثيرة من أهل الحديث والفكر

المستقل وشيخهم الأكبر شيخ الجامع الأزهر أمامهم يشجعهم، وينفخ فيهم روح التقدم والاستقلال الفكري – اقرأ خطبه الغراء تر ما يسرك.

انتهت بنا الحديث إلى هنا إذ قامت الصلاة فودعته إلى الملتقى.

* * *



الدين الخالص

كيف السبيل إليه؟[1]

الدين الخالص من شوائب البدع والضلال لا تجده إلا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وعبادة الله تعالى يشترط لقبولها شرطان:

الأول: أن تكون على الكتاب والسنة، والثاني: أن تكون لوجه الله خالصة.

فإذا اختل شرط منهما لم تنفع العبادة صاحبها، كائنًا من كان، ولم يكن دينه خالصًا والسبيل إلى فهم الكتاب والسنة تعلم اللغة العربية، واللغة العربية مفردات وأساليب، ولابد من مزاولة كلام العرب قراءة وحفظًا وفهمًا. وأما قواعد النحو والصرف والبلاغة فهي آلة لا تفيد ملكة ولا فهما.

وعلى هذا التقرير يجب أن تغير المعاهد برامجها، وتتبع خطة عملية في تعليم الطلبة هذه اللغة الكريمة الشريفة: لغة القرآن، بالمحادثة تارة، والخطابة أخرى، والقراءة في كتب مختارة تناسب أسنان المتعلمين.

إن التعليم العملي هو التعليم الصحيح؛ ولا يكفي أن يعطي الطلبة بعض التمارين لتثبيت القاعدة؛ فإن القواعد وسائل، بل هي أضعف الوسائل، واللغة هي المقصد الأسمى.

وأني لأعجب من كثرة التآليف في القواعد وهي قشر، وقلة العناية باللباب وهو المقصود الأعظم، وإن أحسن ما رأيت في مؤلفات النحو والبلاغة كتاب النحو الواضح والبلاغة الواضحة، ولكنها تدور حول معرفة

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٦)، في ١٣٥٦هـ.

القواعد وفهمها؛ ونحن نريد أن يكون حول تحصيل الملكات في اللغة.

هذه كلمة استطرادية لابد منها لمن يريد فهم القرآن والسنة والعمل بهما ليكون من السعداء في الدنيا والآخرة.

إن تعليم النبي ﷺ كان كله عمليًّا لا نظريًّا، وأظن أن أرقى الأمم اليوم في العلم والاختراع كأمريكا مثلًا، لابد اقتبست من هديه ﷺ طرقها العملية.

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم الناس الصلاة عمليًّا فيصلي أمامهم حتى أنه ليصلي على المنبر ليريهم كيف يصلون وكذلك علمه جبريل عمليًّا، ولم يقل له: أركان الصلاة كذا، وشروطها كذا، وكان ﷺ يقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[1] ويحج ﷺ ويقول: «**خذوا عني مناسككم**»[2] وكذلك الشأن في الوضوء وسائر العبادات.

والمفروض في الدين هو اتباع الرسول ﷺ.

أليس من الضلال بعد هذا والإضلال؛ أن يلزم طالب علم على الفطرة بمذهب معين يقرأ كتبًا منسوبة إلى أحد الأئمة رضي الله عنهم وهم لو رأوها لتبرأوا منها ويبعد عن منهل السنة النبوية والقدوة المحمدية.

إذا أردنا الوصول بأولادنا إلى الدين الخالص كان حقًّا علينا أن نلقنهم سنة المصطفى ﷺ علمًا مقترنًا بالعمل، ونحفظهم الأهم فالأهم من الأحاديث النبوية الشريفة، فنحفظهم أحاديث الوضوء والطاهرة ثم الصلاة ثم الصوم، وهكذا نقدم إليهم من الغذاء الروحي ما يزكيهم وتقبله نفوسهم، ولا ريب أن هذا أجدى عليهم وأقوم في تربيتهم، وأقصد في مدة الطلب.

ولست أدري لماذا يشترط في دخول المعاهد الدينية ومدارس المعلمين

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٣١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢٩٧).

حفظ القرآن كله مع عدم التساهل في ذلك، وليس للسنة المحمدية المبينة للقرآن نصيب من هذه العناية، ما سبب ذلك ما علته ألا تخبروني.

أنا أدري أن علة ذلك طلب العوام وإلحاحهم؛ ومتى كان الحكام وولاة الأمور لا يزنون الأمور بموازينها، ونزلوا على حكم العوام مرضاة لهم كانت العاقبة سيئة. ومثال ذلك أن ينزل الأستاذ على حكم تلاميذه وهو يعلم خطأهم.

لم يكن كثير من الصحابة وهم أعلم الأمة وأفقهها يحفظ القرآن كله، ومنهم الصديق خليفة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب؛ كما ذكر الإمام ابن قتيبة في بعض كتبه.

وفي الحديث الصحيح «**كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل**» ومع هذا فحفظ كتاب الله من الفضائل العظيمة التي لا يماري فيها عاقل مسلم.

ولكنا نريد أن يكون للسنة بعض هذا الشرط، وأن يحفظ الطلبة قدرًا من الأحاديث النبوية، ويعني بشرحه لهم الأستاذ ولا يذكر لهم مذاهب العلماء، ولا يلزمون بمذهب منها، حتى تصير لهم ملكة يختارون بأنفسهم ما يريدون مما يرونه حقًّا.

لقد تعكر دين الله الخالص بما أدخله الجهلة من البدع فيه حتى في أصله (التوحيد) وقالوا بدع حسنة، واختلط عليهم الأمر فلم يعرفوا الفرق بين البدع الحسنة والسيئة، وما يريده الرسول ﷺ من قوله: «**وكل بدعة ضلالة**»[١] البدع الدينية أم البدع الدنيوية، والحقيقة التي لاشية فيها من شك أنه يريد بالكلية في قوله: «**وكل بدعة ضلالة**» البدع الدينية، بدليل قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢] وقوله ﷺ: «**أنتم أعلم بأمر**

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٢٧٣٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

دنياكم»[(١)] وهي أحاديث صحيحة لا مطعن فيها.

إن الشيطان الخبيث - لعنة الله - لم يزل ولا يزال يصرف الناس عن الدين الخالص بكل ما يستطيع، حسدًا لابن آدم، وتحقيقًا لقسمه، حيث قال فيما حكى الله عنه ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾. [الحجر: ٣٩، ٤٠]

وها هو ذا قد أمرهم بزخرفة القبور وسترها، والطواف حولها، وأن كان التاريخ ينفي وجود أجسام بعضهم تحت هذه الأضرحة المعبودة.

ومما ورد في المأثور «إن الشياطين جاءوا أباهم ذات يوم يبكون فقال: ما لكم يا أولادي قالوا كلما اجتهدنا في إيقاع ابن آدم في معصية استغفر الله وتاب منها، فذهب تعبنا سدى وغفر الله له. فماذا نعمل؛ لقد أتعبونا جدًّا.

قال الخبيث: أنا أدلكم على ما يريحكم منهم أبدًا، قالوا وما ذاك! قال: إنكم تعلمون أن الشرك لا ينفع معه عمل صالح أبدًا، وأنه إذا مات ابن آدم عليه لا يغفر الله له. تعلمون ذلك قالوا جميعًا: نعم نعلم ذلك. قال اجتهدوا في إيقاعهم في الشرك بأسماء جميلة، واصرفوهم عن الله بلطف، وضعوا العراقيل في طريقهم إليه، فإن لم تقدروا فأدخلوا في عبادتهم البدع المنافية للسنن المحمدية تبطلها وتستريحوا قالوا كيف نوقعهم في الشرك وهم يفرون منه ولا يحبونه قال قولوا لهم إذا أرادوا أن يدعوا الله وحده: إنكم مذنبون مدنسون بالمعاصي، ولا يتقبل الله إلا من المتقين الطاهرين، فعليكم بالأولياء الصالحين، الجأوا إليهم وقفوا خاشعين عند قبورهم، واسألوهم حوائجكم وهم يقضونها لكم بما لهم من جاه عند ربهم، وأرشدوهم إلى نذر شيء لهم من أنعامكم وأموالكم بقدر ما تستطيعون وطوفوا حول قبورهم،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٣).

واعكفوا عليها صباحًا ومساء تروا ما يسركم، فإذا فعلوا ذلك فقولوا لهم كلما قابلتموهم أو أحدًا منهم، أهلًا بمن لا يفلح أبدًا.

هذا يا أولادي أكبر الكبائر قد وقعوا فيها باعتقاد أنها أكبر قربة وأعظم وسيلة تقربهم إلى الله دونها الصلاة والزكاة وكل عبادة فماذا ينفعهم بعد ذلك لو صلوا وصاموا وهم ينقضون ذلك كله بدعاء غير الله، والنذر لسواه.

فذهبوا فسموا للناس ذلك كله توسلًا وقربة، فقبلوا وراجت الحيلة حتى على علماء العوام؛ وعاد الشياطين إلى أبيهم فرحين مسرورين، وقبلوا رأسه ويده ورجله، ولما أرادوا الانصراف من عنده قالوا يا أبانا إنه يوجد ناس مستبصرون ينبهون إخوانهم إلى حيلتنا؛ ويجتهدون في كشف تلبيسنا قال إنهم قليلون ونحن لنا أولياء يردون كلامهم، ويغرون العامة بهم، ولهم ألسنة ذربة، وتلبيسات قوية؛ وهم معدودون من العلماء الكبار، ولهم معنا أعظم مكانة في النار وبئس القرار، ثم لهم فوق ذلك جاه بالمال، فامضوا يا أولادي ولا تهنوا فإن العميان كثير ولا يهمهم إلا رضا العوام.

وانظروا إلى النجاح الذي أحرزناه في هذا الزمان من تهتك النساء وتفرق أولاد آدم إلى أحزاب وطرق ومذاهب في الدين، وأن كثرة الضالين يا أولادي من الحجج التي يعتقد العوام وعلمائهم أنها باهرة، ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

ألا ترون أن الناس أصبحوا بفضل تلبيسكم وتلبيس أوليائنا ما بين ملحد ضال ديوث لا يغار على أمه وأخته وبنت وطنه، ويفتخر بأن ذلك رقي ومدنية، وآخر ذا دين باطل، وقل من تجدون على الدين الخالص الذي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا النذر القليل، وهم مع ذلك مبغوضون من الجمهور، فاجتهدوا في إغراء العامة بهم، قبحوا حقهم بالأسماء الشنيعة،

وأبعدوهم عنهم بالألقاب القبيحة، وأجلبوا عليهم بخيلكم ورجلكم وأنصاركم وحزبكم، لعلكم تنتصرون عليهم. اهـ.

فنسأل الله العافية والعياذ من الشيطان وحزبه، وأن يعصمنا بالقرآن والسنة، ويحفظنا من الجهل والبدعة، إنه سميع مجيب.

* * *

كنوز علمية في نجد[1]

بشرى لمحبي شيخ الإسلام علم الأعلام أعجوبة الزمان الإمام أحمد بن تيمية روح الله روحه ونور ضريحه.

قد تألفت لجنة من تجار نجد وبعض أهل العلم، لإحياء آثار الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه بطبعها، وقد جاء أحد أفاضلهم بكتب كثيرة ورسائل للشيخ خطية لم تطبع بعد - إلى مكة المكرمة لطبعها -، وقد راجعنا بعض هذه الكتب والرسائل وقابلناها بما طبع في مصر، فوجدنا غلطًا كثيرًا، وسقطًا شنيعًا فيما طبع، بعضه مما يتعمده ذو الأهواء والعقائد الفاسدة كالبهائية مثلًا، وبعضه لغير ذلك وبهذا قد مسخوا كتب ذلك الإمام المجدد، وأرادوا أن يطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

وسيرى - إن شاء الله - محبو العلم الصحيح قريبًا من رسائل شيخ الإسلام مجاميع تدهش العقول، وتصفع أهل الجهل المتسببين للعلم زورًا على أقفائهم وتجليهم للناس في ثياب ضلالهم وخزيهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

ومن تلك الرسائل والكتب قواعد في الفقه، ورسالة في الإجماع، وهذا مما كان يتلهف على العثور عليه أستاذنا العلامة صاحب المنار رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولعلي في فرصة أخرى أكتب لمجلة «الهدي النبوي» بيانًا أوسع من ذلك فيها إن شاء الله.

وبهذه المناسبة وعلى ذكر شيخ الإسلام - والشيء يذكر بالشيء - أقول أني لم أذق طعم العلم الحق، ولم أشم رائحة السنة المطهرة؛ إلا من كتب

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٧)، في ١٣٥٦هـ.

شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

أتـاني هواهـا قبـل أن أعـرف الهـوى فـصادف قلبًـا خاليًـا فتمكنـا

حقًّا والله لم أستفد العلم الحق إلا من كتب هذين الإمامين العظيمين.

وأن كل من يدعي العلم ولم يطلع على شيء من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فهو مغبون. ومن اطلع على شيء من كتبهما ولم يعجبه فهو إما أعمى القلب أو مريض بالتعصب أو سقيم بالتقليد، أو غبي غر لا يفهم. والله المستعان.

* * *

خطرات صايم

يظهر لي في كل عام بالتجربة من صيام شهر رمضان أن الصوم يرقق القلب، ويكسر حدة النفس الشهوية، ويجعلها إلى الخشوع أقرب، ويحد الإحساس الباطني، ويرقق الحجب الكثيفة التي تتراكم على عين البصيرة من إدمان الطعام والشراب؛ ويظهر لي أن الروح تخف أثقالها الجثمانية وأحمالها الحيوانية وتقوى وتصح في أيام الصيام، حتى أنها لتكون نافذة الإرادة في الأعمال الصالحة نفوذ السهم من الرمية.

ولا عجب أن نرى ذلك، فإن الطعام والشراب كثيرًا ما كانا سبب التقاعد، وضعف الإرادة وطمس البصيرة، والأمراض الكثيرة الجثمانية والروحية، وثقل الحركة والسعي، فضلًا عن الجري والسبق.

وأنه لا تكون النفوس كبارًا إلا إذا تعبت في مرادها الأجسام أما من أعطى جسمه كل ما يشتهي من مأكل ومشرب وشهوة فهو إلى البهيمة أقرب، وقل هذا أن يلحق السبق، ألا ترى مروضي الخيل إذا أرادوا أن تحوز قصب السبق ضمروها ومنعوها كثيرًا من العلف وربما قصروها على شرب اللبن الحليب؛ فإذا جاءت يوم الرهان كانت كالريح المرسلة. وقد قال الشاعر:

تركت فضول العيش حتى رددتها ... إلى دون ما يرضى به المتعفف

وأملت أن أجرى سريعًا إلى العلا ... إذا شيءتموا أن تلحقوا فتخففوا

حقًّا من أراد اللحاق بسرعة تخفف من الفضول.

ولذلك ترى الصوفية يوصون مريديهم وتلاميذهم بالصيام، إذا لم يجدوا مثله في تأديب النفس وتربيتها وتنظيفها من أدران الشهوات ودسائس الشيطان.

وإنك لو قرأت سير السلف المتقدمين؛ من مشاهير العلماء الزاهدين، والحفاظ المحدثين، ووقفت على ما كان لهم من قوة إرادة وشجاعة وجراءة في مخاطبة الملوك؛ وصدعهم بالحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ وعمارة أوقاتهم بالعبادة الكثيرة، مع تأليف الكتب والرسائل، وما بارك الله لهم فيه من وقت، لعلمت أن سبب ذلك كله الصيام.

هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم على ما كانوا فيه من فقر مدقع: فتحوا الفتوح، ومصروا الأمصار؛ وأتوا بما لم يأت به أمم الحديد والنار والغازات السامة والخانقة في ربع قرن؛ لماذا؟ لأنهم كانوا يكثرون من الصيام أغلب الأيام، وكان جوعهم أكثر من شبعهم، وهؤلاء البدو لا يزالون أزكى الناس، ولا سبب لذلك إلا الجوع، وخلو الجوف من الفضلات التي يعمى غازها ودخانها عين البصيرة.

ربما يقول قائل: ما لنا نشعر في الصوم بفتور، وركود ذهن؛ وميل إلى النوم؛ وحب للكسل، ولكن ذلك إنما يكون أول الأمر ثم يذهب، لاسيما إذا لم يظلم الصائم نفسه بملء معدته من المأكولات المختلفة عند الإفطار كأنه جاع ليشبع وفرغ معدته ليملأها فمثل هذا لابد أن يصاب بأمراض غليظة وأسقام كثيرة، وأشدها قسوة القلب وجمود العين.

وأنى لامرئ مملوء بطنه بالعذرة أن يستنير قلبه ويفهم عن الله ورسوله اللهم عفوًا وغفرًا يا أرحم الراحمين.

* * *

الحج في الإسلام[١]

قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**»[٢].

فالحج أحد أركان الإسلام الخمس التي فرض الله على عباده أداءها، وما كان الله جل وعلا ليفرض على عباده شيئًا من العبادات لحاجته إليها؛ كلا بل هو الغني الحميد: وإنما فرض العبادات على بني الإنسان تشريفًا لهم وتكريمًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] وفي الحديث القدسي الصحيح: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا**»[٣].

ومن العبادات ما جعله مكررًا في اليوم والليلة، ومنها ما جعله كل أسبوع كصلاة الجمعة، ومنها ما جعله كل عام مرة كالصيام، ومنها ما جعله في العمر مرة كالحج، ولكل من العبادات حكم ومنافع ومصالح للعباد، يحتاج كل منها إذا شرحناه وفصلناه لمجلد ضخم؛ ولكنا نتكلم على ما للحج من الحكم والفوائد السياسية والاقتصادية والروحية والجسمية، وغير ذلك إن شاء الله بمناسبة أشهر الحج وموسمه القريب.

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٨)، في ١٣٥٦هـ.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

لما ظهر الله تعالى بصفاته العليا، وأسمائه الحسنى، لخلقه، واحتجب عنهم بذاته، أمر خليله إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتًا في مكان من أرضه، بعيدًا عن زخارف الدنيا وزينتها، محاطًا بالجبال، قحلًا من الزروع والثمار، لا ماء فيه ولا شجر، ولا بساتين ولا أنهار؛ فبناه مطيعًا أمر ربه مخلصًا له العمل وكان ابنه إسماعيل هو وحده مساعده ومعاونه حتى أتماه؛ وطافا حوله، وصليا شطره، ودعوا الله عنده.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩].

وقد أخبر الله تعالى أن هذا البيت الكريم الذي بناه بأمره خليله إبراهيم هو أول بيت وضع للناس فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

وقد أمر خليله ﷺ بأن يدعو الناس إلى حجة فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨] وقد فعل إبراهيم عليه السلام وصدع بأمر ربه، وأذن حتى أسمع الله أذانه كل من شاء له أن يحج إلى يوم القيامة.

أما المنافع التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ فهي كثيرة جدًّا.

ونحن نقص عليك منها ما ييسر الله وما يفتح به.

المنافع الروحية:

كل محب يشتاق دائمًا لرؤية حبيبه ولقائه ويحب زيارته ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فإن عز الوصول إليه؛ وتعذر عليه لقاؤه ورؤيته تسلي برؤيه آثاره. والأشعار في ذلك كثيرة، منها قول بعضهم:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

ويقول آخر:

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقول ابن الدمنية:

سلي البانة الفناء والأبطح الذي ... به الماء، هل حييت أطلال دارك؟

وقوله:

عُجبا على دارها نبكي، ونسألها ... عنها ونسألها عن بيننا خطبا
دار لأسماء إذ حن الفؤاد بها ... ولا تُنوّل إلا الشوق والطربا

وإذا كان الشعراء وغيرهم من المفتونين بحب الصور الجميلة يتغنون بوصفها ويذهبون في حبها مذاهب العبودية، فالمؤمنون أشد حبًّا لله، وهم أحرص الناس على رؤية بيته؛ والقيام في مقام خليله ﷺ ، والطواف حوله حيث طاف أنبياؤه وأولياؤه الصالحون وعباده المتقون فإذا رأى المحبون لله بيت ربهم فلا تسل عن أنهار دموعهم كيف تجرى؛ ولا عن حميا أشواقهم في أجسامهم كيف تسرى فهنالك عند بيت ربهم ومعبودهم الواحد الجليل الكبير الكريم يقفون على بابه وقد علا نحيبهم ورفع لسان الحال صحيفة ذنوبهم، وسجل حوائجهم، فما ينصرفون إلا بتوقيع المغفرة، وقضاء

مطالبهم، ولولا ثقل الأجسام لطارت النفوس منها إلى الرب جل جلاله شوقًا إليه، وحبًّا له. إنها لا تشبع من رؤية بيت الحبيب ولا الطواف حوله، ولا الوقوف على بابه، وإنها لتشعر بأنوار تغمرها، وسرور يهزها، وفرح يذهلها عن كل شيء إلا عن ربها وبارئها ومهما أوتي البلغاء من قوة البيان فهم عاجزون عن وصف ما تجده النفوس المؤمنة بربها عند بيته والطواف حوله.

ولما اقتضت حكمة الله أن يحتجب عن خلقه؛ وعلم ما يكون بهم من شوق إليه وحب له؛ جعل له بيتًا حيث شاء من أرضه، وقال لخليله إبراهيم عليه السلام ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥] أليس في هذا من الشرف العظيم للطائفين والعاكفين والركع السجود ما يسلي عن الدنيا وزينتها وملكها وزخارفها.

الله أكبر: يأمر الرب جل جلاله خليله أن يطهر بيته لوفود بيته، وزوار حرمه الطائفين والعاكفين فيه والركع السجود، ياله من كرم إلهي، ويالها من عناية ربانية.

يطوف العبد حول بيت ربه وقد ملأ الأنس به قلبه، وزكت روحه يمثل بهذا الطواف سبع مرات فعل المحتاج المضطر، والفقير الملح، وكأنه يقول: مالي عن رحابك منصرف، ولا عن بابك تحول حتى تقبلني؛ وتتوب عليَّ وتغفر لي وترضى عني، ولئن لم تقبلني فمن غيرك يقبلني، وإن لم تغفر لي فمن سواك يغفر لي ذنبي، ويقيل عثرتي، ويمحو زلتي، والله يحب الملحين في السؤال والدعاء.

ثم يقف في مقام خليله فيصلي ركعتين بسورتي الإخلاص [قل يا أيها الكافرون – وقل هو الله أحد] ثم ينصرف فيستلم الحجر الأسود، وكأنه بهذا

الاستلام عاهد ربه، وصافح يمينه - وكلتا يدي ربنا يمين - سبحانه عن سمات المخلوقين.

ثم يخرج إلى الصفا فيذكر الله تعالى ويدعوه، ويسعى إلى المروة، ذاكرًا لله تعالى داعيًا سبعة أشواط؛ فيتذكر بذلك سعى هاجر أم إسماعيل عليهما السلام حين كانت راغبة إلى الله وحده، ضارعة إليه، راجية أن تجد ماء لري ظمئها وظمأ ابنها وقد كادا يهلكان، فما كادت تفرغ من سعيها ودعاء ربها حتى أنبط الله لهما الماء بجانب البيت، فشربت وسقت ابنها، وحمدت الله تعالى.

ونحن في حجنا نمثل «هذا الدور» وما كانت سيدتنا هاجر المصرية أم إسماعيل عليه السلام في حاجتها واضطرارها إلى الماء، بأحوج منا والله ولا سيما في هذا الزمن إلى قطرات من رحمته يطهر بها نفوسنا ويشفى أمراضنا الخلقية والاجتماعية التي أودت بنا، وجعلتنا عمالًا للدول المستعمرة وخدمًا لعلوج الأعاجم.

فهذا الطواف والسعي بين الصفا والمروة المقصود منه ذكر الله تعالى ولو لم يكن في ذلك السعي إلا طاعة الله ورسوله والتأسي بخير الخلق، لكفى.

وفي يوم التروية يخرجون إلى مني فيبيتون فيها، ويصبحون آمين عرفات، بعد طلوع الشمس، وإن ورود الناس إلى هذا الموقف، واجتماعهم محرمين، متجردين من كل شيء، إلا ما حملوا من زاد؛ ووقوفهم عارية رؤسهم ضاحين في الشمس، يدعون ربهم تضرعًا وخفيةً، على اختلاف ألسنتهم ولهجاتهم وأجناسهم لمذكر بيوم الحشر، وماح ما بينهم من فوارق؛ ومعيدهم إلى بساطتهم الأولى؛ وباعث فيهم روح المحبة والمودة؛ فإن

اتحاد الناس في عمل ما، له تأثير في النفس يعرفه العلماء فكيف إذا كان اتحادًا في عبادة معبود واحد، في زي واحد، وقول واحد في مكان واحد لاريب أنه يكون له أعظم تأثير في تنمية العواطف الدينية والمحبة الملية التي هي فوق كل محبة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فهنالك في هذه المواقف ترى معنى هذه الأخوة ويشعر بها كل مؤمن ذاق حلاوة الإيمان، ولهذا لما علم الإفرنج فوائدها الروحية والاجتماعية عملوا على تكثير العقبات وبثها في طريق المسلمين للحج – من دون الناس، ودون سائر الطرق.

ولم يكن إبليس في يوم أغيظ منه في يوم عرفة، لما يرى من اتجاه المسلمين كلهم إلى خالقهم يرجون رحمته؛ ويدعونه راغبين فيما عنده من مثوبة، وقد تجلى تعالى، ونزل إلى سماء الدنيا وباهي بهم الملائكة وقد طهرهم من ذنوبهم التي طالما دنسهم بالوقوع فيها شياطينهم، فعادوا فرحين مستبشرين.

وما هي إلا برهة يسيرة حتى وافوا مزدلفة؛ فحطوا فيها رحالهم، وجمعوا بين صلاة المغرب والعشاء، وباتوا بها ليلتهم حتى إذا اقترب الفجر قاموا وتطهروا وصلوا الصبح ودعوا ربهم؛ وناجوه بكل مطالبهم، وجمعوا جمراتهم، وهي حصيات دون البندقة وفوق الحمصة. ثم قاموا إلى منى قبل طلوع الشمس، ورموا جمرة العقبة.

وفي هذا من المشاق السهلة ما يمرن على جهاد الأعداء، والنزول منازل الأبرار الأتقياء وأن الدنيا هكذا. حل وارتحال.

وفي رمى الجمار معنى سام، وذلك أنه رمز لرمي الشيطان الرجيم وإهانته وفيه دليل عملي على الزهد في الدنيا وكراهيتها والإقبال على الآخرة وقد كنت أسمع من عوامنا في الأرياف إذا أراد أحدهم مفارقة أحد واليأس

منه «رمينا طوبته» ونفضنا يدنا منه، ونحو ذلك، فرمى الجمار فيه هذه المعنى.

ومعنى آخر: وهو تعليم الجهاد والحث عليه، فإن الحروب كلها مبنية على الرمى، من عهد بدء الخليقة إلى اليوم؛ ولذا يقول رسول الله ﷺ: «**ارموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا**»[1].

ولما كان كيد إبليس ضعيفًا، وقال الله فيه: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] وقد عرض في هذا الموقف لإبراهيم عليه السلام حين أمر بذبح ابنه، لم يرد أن يرميه إلا بهذه الحصوات الصغيرات احتقارًا له، وعدم عناية به وبعد هذا الرمى لجمرة العقبة يوم النحر يحلق رأسه ويذبح هديه، ويلبس ثيابه، ثم يذهب إلى بيت ربه فيطوف به كما طاف أول مرة؛ ويسعى بين الصفا والمروة إن لم يكن سعى أولًا، والا فيكفيه السعي الأول لسنة المصطفى ﷺ.

فما تجد الأرواح المؤمنة لذة في عمرها أحسن ولا أفضل من هذه اللذة التي وجدتها في عبادة ربها تلك الأيام عند بيته المشرف؛ وتلك المشاعر العظيمة.

وأما الفوائد الجسيمة فلا ريب أن العمل والسفر والحركة يزيد الجسم قوة ونشاطًا؛ وحسب الإنسان شعوره بأن هذا النصب في رضا المحبوب الأعلى.

وأما الفوائد السياسية والاجتماعية فنتكلم عنها في فرصة أخرى إن شاء الله.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٩).

الدين الخالص[1]

الدين الخالص يتبرأ من كل فرد أو جماعة يتركون الصلاة عمدًا ويفطرون في رمضان بغير عذر ولا يحجون مع القدرة.

الدين الخالص يتبرأ من كل فرد أو جماعة يبيحون ما حرم الله من زنا وخمر وغير ذلك.

الدين الخالص يتبرأ من كل فرد أو جماعة يبتدعون في الدين بدعًا يسمونها حسنة.

الدين الخالص يتبرأ من كل مسجد فيه قبر يعبد، ومن كل عمل يخالطه رياء.

الدين الخالص يتبرأ من كل من يحكم بغير ما أنزل الله؛ ومن كل موالاة لغير الله؛ ومن كل عصبية جاهلية عمياء، ومن كل من يتحاكم إلى الطاغوت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الدين الخالص يأبي للمتمسك به أن يذل لغير الله، وأن يرى أحدًا كائنًا من كان أعظم من الله؛ وأحب إليه منه، وأن يتأسى بمخلوق كائنًا من كان غير رسول الله ﷺ.

الدين الخالص يأبى للمتمسك به أن يقول ما لا يفعل، أو يفعل ما لا

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٩)، في ١٣٥٦هـ.

يؤمر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣].

كثير من المسلمين في هذا العصر يحاربون الإسلام بالقول والفعل والكتابة والخطابة ولا يستحيون من الله ولا من الناس؛ والدين الخالص يبرأ إلى الله منهم، وممن يرضى عن محاربتهم أو يسكت عن الرد عليهم.

كثير من أدعياء العلم - وهم جهلة سفهاء - يعبثون بالقرآن الكريم: يؤولونه تأويلًا يخالف اللغة العربية والنصوص الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، بل ويخالف آيات القرآن نفسها المسوقة في مواضع أخرى، وكثير منهم يردون الأحاديث الصحيحة بمجرد رأيهم وهواهم ويستخفون بها لضعف عقولهم، وزيغ قلوبهم، نسأل الله العافية الدين الخالص بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ؛ وقد أصبح اليوم الدين غريبًا بين الناس وأهله غرباء، حتى بين أهليهم وعشيرتهم، وذلك لغلبة الهوى وحب الدنيا، وكثرة الضالين، وعدم الاعتصام بالكتاب والسنة.

وإن من التأويل البعيد المخالف للغة والواقع قول بعضهم: وسيعود غريبًا أي عزيزًا منتشرًا كما في عهد الصحابة والأمراء بعدهم من بني أمية.

أن النبي ﷺ لما قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[1] أراد أن الإسلام ظهر غريبًا أي: مستغربًا بين الناس كما ينزل الغريب بلدًا، ويحل بين قوم ليس منهم، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] أليس هذا التعبير بالغًا حد النهاية في الاستغراب.

كان المشركون يستنكرون هذا الدين الخالص من شوائب الشرك، ويستغربون أن تكون الآلهة إلهًا واحدًا، وهناك آيات في القرآن تدل على

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٥).

استغرابهم ما جاء به النبي ﷺ. وفي اللغة (الغريب) البعيد عن وطنه؛ والعجيب وغير المألوف من الكلام وغيره والبعيد الفهم، ويقال: فلان يأتي بالغرائب جمع «غريبة».

فقول النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا**» أي: غير مألوف عند أهل مكة ومن كان على دينهم من الشرك؛ ولذلك قاوموا النبي ﷺ وآذوه أشد الإيذاء كما هو مثبت في سيرته الشريفة حتى أجمعوا على قتله، وحتى هاجر هو وأصحابه، فهذه هي الغرابة، ولذلك كان النبي ﷺ يدعو إلى الله سرًّا في أول الأمر حتى كثر أصحابه، وكل ذلك لغرابته «**وسيعود غريبًا كما بدأ**» أي: أن الدين يعود قريبًا إلى غربته بين الناس كما هو الواقع اليوم؛ فإنك إذا تحدثت إلى كثير ممن يدَّعون الإسلام في أمر التوحيد استغربوا ذلك جدًّا حتى يقولوا: إن هذا شيء غريب، ولماذا لم يبين لنا العلماء ذلك وإنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، لم يبتدع هذا إلا ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونحو ذلك من الكلام؛ وما ذلك إلا لغرابة ما تحدثهم به وعدم فهمهم.

فإذا أمعنت في الدعوة إليه أنكروك وصرت بينهم غريبًا طريدًا ولذلك يقول النبي ﷺ في رواية أخرى بعد قوله: «**وسيعود غريبًا كما بدأ**»، «**فطوبى للغرباء**» وفي بعضها قيل من هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون عند فساد الناس أو يصلحون ما أفسد الناس**».

والمقصود أن غربة الدين عادت إليه منذ نجم قرن الخوارج ثم جاء المعتزلة ثم الجهمية المنكرون للصفات، وكثر الخوض في صفات الله تعالى نفيًا وإثباتًا وفي العقائد، ولعبت الفلسفة اليونانية دورها، وكان كل ذلك حول الأسماء والصفات، وانتهى الأمر ببدعة القبور وتعظيمها ثم دعائها والنذر

لها، وربُى على ذلك الصغير وشاب عليه الكبير فتمت الغربة وأصبح الداعي إلى الدين الخالص الذي هو توحيد العلم بالإيمان بما وصف الله به نفسه ورسوله بلا تحريف ولا تأويل وتوحيد الفعل الذي هو إخلاص العبادة لله: دعاءً ونذرًا واستغاثةً وتوكلًا - أصبح هذا الداعي غريبًا ينبز بألقاب السوء، ويعده الضالون من أكفر الكافرين.

ولم تكن غربة الدين في قطر دون قطر، ولكنها عمت كل الأقطار وسواء في ذلك الشرق والغرب؛ ومصر والشام والحجاز وجزيرة العرب كلها؛ لولا أن قيض الله لها مجددًا جاهد في سبيل الله بكل ما استطاع رَحِمَهُ اللهُ وبارك في أحفاده حتى عم التوحيد ربوع الجزيرة بدوًا وحضرًا والحمد لله وحده.

وأما في مصر فقد بدأ الحق ينتشر وأخذ صوته يظهر ونوره يشع. فقد أسمعنا المذياع (الراديو) دعوة التوحيد الصارخة من فم الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي العظيم في حضرة الملك الصالح فاروق الأول وعلى مشهد من كبار علماء الأزهر.

وأما في الهند والعراق والشام وسائر البلاد فكل داع فيها إلى الدين الخالص فيه غريب مغضوب عليه.

إني أحب من صميم قلبي أن يعود الإسلام عزه ومجده كما كان أول الأمر وكل مسلم صحيح الإسلام يود ذلك ويعمل له ولكن تأويل الحديث وتقرير الحقيقة: تلبيس أو غلط لا ينبغي أن يقره أهل العلم.

ولو كان مقصود الرسول ﷺ بما قال: عود الإسلام إلى مجده وعزه لقال: «**بدأ الإسلام عزيزًا**» أو كلمة نحوها «**وسيعود كما بدا**» ولما قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1] ولما قال: «**لا تقوم**

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

الساعة إلا على لكع بن لكع»[1] ولما قال: «**لا تقوم الساعة حتى تهتز إليات نساء دوس حول ذي الخلصة** - اسم صنم كان يعبد في الجاهلية - **وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان»**[2] ولما قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويسمى كافرًا»**[3] الحديث ولما قال: «**لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله الله»**[4] إلى غير ذلك كثير.

فهل ينتهي المؤولون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على غير وجه الكلام، أم يقولون كما قال الكاذب على رسول الله ﷺ وقد قيل له: لماذا تكذب على رسول الله ﷺ وفي الصحيح الوارد عنه ما يغني عن ذلك ويكفي؟ فقال: إنما أكذب له لا عليه.

وبعد فهذه مجلة الهدى النبوي، ألست تراها غريبة بين الناس، لا يقرؤها إلا أهل الحق الذين يحبون الدين الخالص، ولو أن فضيلة رئيس تحريرها ملأها بالمضحكات والسخافات التي يهواها الجمهور كسائر المجلات الخليعة (وحاشاه) أو داهن العامة والجمهور فيها، كما يصنع غيره؛ لكان لها اليوم شأن آخر، ولطبع منها عشرات الألوف ونفدت في يومها، ولكن الأستاذ رضي بهذه الغربة، وهو مسرور بها؛ مؤثر رضا ربه ورسوله ﷺ على رضا الناس، فهنيئًا له، وطوبى للغرباء أمثاله.

* * *

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩)، والترمذي (٢٢٠٩) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٤٣١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١١٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٨).

الدين الخالص

وذكر الله(١)

الدين الخالص: أساسه التوحيد؛ ولذلك يبدئ القرآن فيه ويعيد فهو قطبه الذي عليه يدور، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهذه قصص الأنبياء في القرآن، ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] ويقول: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥] ويقول: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وهكذا سائر الأنبياء، كلهم أمروا أن يقولوا لقومهم: أعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

وقد أرسل النبي ﷺ وكان أول ما أمر بتبليغه: عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له؛ وخلع الأنداد، قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**».

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

ولما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم**

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (١١)، في ١٣٥٦هـ.

فترد على فقرائهم»[١].

فتأمل كيف أمر النبي ﷺ معاذًا أن يبدأ الدعوة بالتوحيد، وما ذاك إلا لأن أساس الدين هو التوحيد، ومن المحال أن يقوم بناء على غير أساس، ولذلك مكث الرسول ﷺ في مكة يدعو الناس إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة لم يشرع فيها شيء غير الصلاة؛ وهي كالماء يسقى به الغرس، فالصلاة تثبت التوحيد وتؤكده وتوثقه؛ لأنها توحيد عملي.

ثم تأمل القرآن كله من أوله إلى آخره فلا ترى آيات التهديد والوعيد، والبشارة والنذارة والترغيب والترهيب والمجادلة والقصص والمواعظ إلا من أجل التوحيد، وآيات الأحكام لا تزيد على بضع وخمسين آية؛ وباقي القرآن كله بصدد التوحيد ومن أجله، على أن آيات الأحكام لا تخلو من التوحيد.

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] الآية وآخرها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وهكذا كل آيات الأحكام.

فمن الجهل وعدم الفقه في الدين: أن يلومنا اللائمون على تقرير التوحيد كل ليلة في دروسنا، وكثرة اشتغالنا به في كل أحوالنا في خطبنا ومقالاتنا وصحفنا، وأنا أتحدى اللائم فليأتنا بآية من كتاب الله تخلو من ذكر الله وتوحيده، ولنفرض أنني كما يقول اللائم أكرر التوحيد وأقرره وأنفي عنه شوائب الشرك، أيلام محب يذكر محبوبه أنا رجل أحب الله ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره.

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبًّا لذكرك فليلمني اللوم

إننا في عصر أصبح الشرك فيه توحيدًا والتوحيد شركًا، والسنة بدعة

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

والبدعة سنة، والحق باطلًا والباطل حقًّا.

فالتوسل الحق إلى الله تعالى: الإيمان والعمل الصالح، وهو مبين في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أعظم بيان وأحسنه، والتوسل عند أهل هذا العصر: النذر للأولياء ودعاؤهم من دون الله.

وصار هذا التوسل الملعون عقيدة دينية من أنكرها على الناس كان أكفر الخلق عندهم، ونبذوه بلقب (الوهابي) واستحق عندهم القتل الشنيع؛ وعدوا الدعاء إلى الله تنقيصًا للأولياء، وانكارًا لكرامتهم، وهم لا يعدون دعاءهم والنذر لهم تنقيصًا لله، وهو تنقيص نزه الله نفسه منه في كتبه وعلى لسان رسله، وعده أظلم الظلم وأكبر الكبائر، ولا يغفر لصاحبه مهما عمل من عمل صالح إذا مات عليه ولم يتب منه.

فلماذا لا نكرر في بيان التوحيد ونبدي فيه ونعيد ولماذا لا نبين قبح الشرك وضلال أهله حتى يتقي، وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني؛ فقلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: **نعم**»[(١)] الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

ومع تكريرنا التوحيد تبعًا للآيات القرآنية، وعند كل مناسبة وتحذيرنا من الشرك؛ والإكثار من وصفه وتقبيحه نرى الناس لا يقلعون عنه، ولا ينسونه لأنهم أشربوه في قلوبهم؛ ونشأوا ولم يروا دينا غيره، فاعتقدوه على أنه دين الإسلام وهو الشرك الأكبر والكفر الملعون؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو عرف اللائم معرفتنا لعذرنا، ولكنه مسكين، يظن أن المسألة هينة كما يظن بعض الجهلة الآخرين أنها مسألة خلافية من المسائل الفرعية

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

الاجتهادية التي يعذر فيها المختلفون؛ والأمر أعظم من ذلك - إنما هو إيمان وكفر، وشرك وتوحيد - ولابد من التفريق بينهما، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

الدين الخالص

وبعض مفسري هذا العصر(١)

رأيت بخط عريض في مجلة تسمت (الإسلام) صدرت يوم الجمعة ٤ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ تفسيرًا لأحد كتابها لقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية. أتى فيه بالطوام، ولو أردنا الرد على كل ما جاء فيه لاحتجنا إلى مجلد ولكن نقتصر على الأهم من ذلك، نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ وللمسلمين كافة:

قال الكاتب في صفحة ٦ من المجلة المذكورة: الأمر الثالث: (نسب الله تعالى في هذه الآية أخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور لحضرته العلية حيث قال: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وفي آية أخرى نسب ذلك للرسول ﷺ حيث يقول: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] وكذلك في الضد وهو إخراج الكافرين من النور إلى الظلمات نسبة الله تعالى في الآية التي معنا للطاغوت بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] مع أن الآيات الدالة على أنه تعالى هو المستقل بذلك لا تحصى كثرة).

والجواب: أن الفعل كما يصح إسناده للفاعل الحقيقي يصح أيضًا إسناده للسبب لغة وشرعًا، فيصح لك أن تقول: أنبت الماء الزرع من غير نكير؛ كما تقول: أنبت الله الزرع، وعلى هذا فالآيات التي وقع فيها التصريح بإسناد الفعل إلى الله تعالى خيرًا أو ضده محمولة على حقيقتها والإسناد فيها إسناد حقيقي وأما الآيات التي صرح فيها بالإسناد للرسل في الخير وللشياطين في

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٢)، في ١٣٥٧هـ.

الشر فهي محمولة على التأويل والمجاز اهـ. المراد منه.

ونقول: وهذا الأصل الذي قرره الكاتب إنما هو مقلد فيه من تقدمه من المتكلمين الأشاعرة وغيرهم، وقد بين بطلانه أئمة المحققين الجامعون بين المعقول والمنقول كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض مؤلفاته، وقد كنا قديمًا مثل هذا الكاتب في هذا الاعتقاد ثم منَّ الله علينا بإخراجنا من هذه الظلمات إلى النور فنسأل الله أن يمن عليه كذلك.

وملخص ذلك: أن ما أضافه الله تعالى من الأفعال وأسنده إلى نفسه فهو إسناد حقيقي، كقوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وما أسنده إلى الشياطين والكافرين من الأفعال فهو حقيقي أيضًا كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ولولا أن إسناد الفعل إلى الطاغوت حقيقي ما صح توعدهم عليه وذمهم به في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وإدخال مثل هذا في المجاز غلط قبيح، وليس هو من قبيل: أنبت الله الزرع، وأنبت الماء الزرع، فإن الإنبات أُسند للماء مجازًا لما كان سببًا. ولكن إخراج الطاغوت أولياءه من النور إلى الظلمات ليس من هذا الباب فإن الطواغيت تعمل، ولها عمل وسعى محسوس، ويصح صدور الفعل عنها اختيارًا لا كالماء يسند إليه الإنبات فإن الماء لا عمل له بالاختيار؛ فثم فرق كبير بين ماله عمل اختياري يصدر عنه وما ليس له عمل، وإنما هو سبب فقط.

والآيات التي صرح فيها بإسناد الفعل للرسل كالهداية مثلًا، حيث قال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وإخراجه الناس من الظلمات إلى النور فهو إسناد حقيقي بلا ريب؛ ولذلك قال تعالى:

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] فلو كان إسناد الإخراج إلى الرسول مجازًا وهو في الحقيقة مسند إلى الله لما قال: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وإلا كان مكررًا وكان معنى الكلام لأُخرجهم بأذني، وفيه من الركاكة، ما لا يخفى والهداية التي أثبتها الله لرسوله في الآية وأسندها إليه مرة أخرى هي هداية الإرشاد والتعليم فقط، وذلك من مقدور الرسول وإمكانه.

وأما الهداية التي نفاها عنه في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] فهي هداية التوفيق وتوجيه القلوب وهذا أمر ليس من مقدور الرسول ﷺ. فهذا هو الفرق بين الهدايتين.

فالنبي ﷺ هادٍ حقيقة في الباب الذي أقدره الله عليه، وهو هداية الارشاد وليس هاديًا هداية التوفيق.

فإسناد الهداية إلى الرسول في الآيات التي أسند فعلها إليه حقيقي؛ لأنها بمعنى الإرشاد الذي يقدر عليه ونفى ما نفى عنه من الهداية؛ لأنها بمعنى آخر وهو لا يقدر عليها.

وليعلم أن ما أسند إلى بني آدم من الأفعال كقول الرسول ﷺ: «**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» ونحوه فهو إسناد حقيقي؛ ولذا يمدح عليه إن كان خيرًا، ويذم عليه إن كان شرًّا. فلو كان ما يسند من الشر والخير إليهم مجازًا – والله هو الفاعل الحقيقي – لكان المدح والذم على هذه الأفعال في غير محله، وليس راجعًا إليهم. وكان ذلك هزوًا وعبثًا تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولازم قول هذا الكاتب، ومن أخذ عنهم هذا الاعتقاد الفاسد: أن الله تعالى هو الذي أكل من الشجرة لآدم، وهو الذي وسوس لآدم أيضًا، وهو

الذي يأكل ويشرب وينام ويعمل أعمال العباد في الحقيقة لا الفسقة العصاة، وهذا مذهب أصحاب وحدة الوجود الضالين - نعوذ بالله منهم، وتعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وقد أوجد هذا الكاتب شُبهًا كثيرة وتناقضًا بين الآيات والأحاديث بتقريره ذلك الأصل الباطل الذي بينا فساده ونقضناه بالأدلة، وليت أمثال هؤلاء يتركون الكتابة في تلك المواضيع إلى غيرها، فإنهم يفسدون كثيرًا ولا يصلحون.

ومن التنافر الذي أوجده بين الآيات والأحاديث قوله: وفي الحديث «**من فرج عن مؤمن كربة...**» إلخ، فيسند تفريج الكربة للعبد مع أن الآية الكريمة - تأمل - تقول ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] فالحديث باعتبار الأسباب ومراعاة الظاهر والآية معبرة عن الحقيقة وأمثلة هذا كثيرة. اهـ.

وهذا الذي قاله الكاتب يدل دلالة واضحة على أن الحديث خلاف الآية، الحديث بحسب الظاهر والآية بحسب الباطلن وذلك خلط شنيع، خلاف ما فطر الله الناس عليه والحق الذي لا شك فيه ولا مرية أن ما في الحديث حقيقي وما في الآية كذلك.

ولامنافاة بينهما ألبتة، الحديث يقول: «**من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**».

فالعبد المؤمن إذا رأى أخاه في كربة مالية ومد يده إليه، فقضى عنه دينه، ووسع عليه، كان ذلك فعلًا محسوسًا واقعًا من فاعل حقيقي، ولذا يفرج الله عنه يوم القيامة ويجزيه على فعله الجزاء الأوفى.

والذي في الآية حق، وذلك أن الله تعالى يخبر أنه ما يمس عبده من ضر

فلا كاشف له إلا هو. يقرر التوحيد للذين انصرفوا عنه وذهبوا يلتمسون كشف الضر من غيره من الموتى والمقبورين والنفع من سواه؛ وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا.

فإخبار الله تعالى عن نفسه أنه لا يكشف الضر سواه حق لا ينافي نسبة كشف الكربة التي في الحديث إلى المؤمن وذلك أن الله يوفق من يشاء لكشف الكربة عن المكروب ويسوقه إلى ذلك فهو بهذا المعنى وبأن الأمر كله راجع إليه؛ يقال: هو كاشف الكرب، ويسند الكشف إلى من أجرى على يده الفعل بهذا الاعتبار والإسناد بكلا الاعتبارين حقيقي لا مجاز فيه. وذلك كقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فالنبي ﷺ لا شك أنه رمى ولكن لما كان تسديد الرمي وإصابته الهدف بإذن الله وقوته وتوفيقه ولولا ذلك لم يكن للرمي فائدة ولا نكاية في الأعداء صح نفي رمي النبي ﷺ، وإثباته لله تعالى لأنه هو الذي أوصل الرمي إليهم.

وبعد هذا يقول الكاتب مبيحًا دعاء الرسول ﷺ بقوله: فرج كربي يا رسول الله مثلًا باسم التوسل. قال: ما دام يعتقد أن الله هو الفاعل المختار. ثم قال حضرته بعد ذلك : فليتق الله تعالى في أمة محمد ﷺ معشر لم يتفقهوا في الكتاب والسنة وإن زعموا أنهم أعرف الناس بهما، ونحن نقول لهذا المسكين: سبحان الله هذا ضلال مبين وجهل فاضح؛ وقلب لا يفقه وعين لا تبصر وأذن لا تسمع، ثم نقول له قد بينا غلط أصلك الذي قررته في الحقيقة والمجاز فما بنيته عليه ساقط وقولك: «فرج كربي يا رسول الله» دعاء وطلب شيء من الرسول ﷺ لا يقدر عليه. وليس هذا من باب ما يسوغ فيه المجاز ولو عرف الكاتب شيئًا من آداب اللغة العربية وذاق أساليبها لعرف أن يسوغ المجاز والحقيقة، ولو عرف أن المشركين كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق

الرازق النافع الضار المدير لكل شيء لانتهى هو وأمثاله عن قولهم: لا حرج في دعاء غير الله ما دام الداعي يعتقد أن الله هو الفاعل المختار.

فليت هذا وأمثاله يتقون الله ويتفقهون في القرآن الذي هو دين الله، غير هذا الفقه الخاطئ الذي يصرف الناس عن الله باسم التوسل والمجاز الذي أضل به الشيطان كثيرًا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليت شعري ماذا يقول في قول النبي ﷺ: «**قال الله تعالى أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما المؤمن فيقول: مطرنا بفضل الله، وأما الكافر فيقول: مطرنا بنوء كذا**»(١) فالمؤمن يسند المطر لفضل الله، والكافر يسنده للنوء، والمشركون يعلمون مع هذا أن كل شيء بأمر الله وتدبيره ولا متصرف في الكون سواه، وكانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وليتكم يا حضرات المتهجمين على الدين بالهوى والتقليد الأعمى تقرؤون كتاب الله لتعلموا فيه وصف الشرك والمشركين إذن لعلمتم - إن كنتم تعلمون- أن طواغيتكم اليوم هي بعينها الطواغيت الأولى باسم الأولياء والصالحين. وأعيادكم وموالدكم هي التي كان أهل الجاهلية يعملونها باسم الصالحين.

وقصارى القول أن هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم لتفسير كلام الله مغترين بقول العوام فيهم (علماء) ضلوا وأضلوا وسوف يعلمون غدًا من الكذاب الأشر، يضربون كتاب الله بعضه ببعض ويضربونه بالسنة ويوجدون التناقض بين الكتاب والسنة بسوء أفهامهم ولا يتقون الله ثم يرمون غيرهم بما هم منه براء على حد المثل «رمتني بدائها وانسلت».

إن تفسير كتاب الله شيء عظيم لا يتصدى له إلا من أوتى الحظ الوافر

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

من اللغة، وأُمد بنور الله وأوتى حظًّا من السنة ومن كلام العرب وأساليبها وعلم السلف الصالح - أما من تصدى لكلام الله وهو خلو من ذلك فويل له ثم ويل له لقد تعرض لأمر عظيم وخطر جسيم وألقى بنفسه في هاوية الجحيم. نسأل الله السلامة والهداية.

* * *

الدين الخالص[1]

الدين الخالص يحمل صاحبه على الأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة، والزهد في الدنيا والورع عما فيه شبهة، وينأى به عن الأخلاق اللئيمة، والخلال الذميمة، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة.

الدين الخالص يزكى صاحبه من سفاسف الأمور فضلًا عن كبائر الاثم والفواحش.

صاحب الدين الخالص قريب من الملائكة بعيد عن الأبالسة والشياطين، قلبه مطمئن بذكر الله، عرف لله حقه فقام به وعرف للناس حقوقهم فقام بها، لا يخرج من حق ولا يدخل في باطل؛ ولا يعمل ببدعة، تلَّاء لكتاب الله، يزن نفسه عليه، إذا تلا صفات المؤمنين والأبرار المتقين وقف عندها، لينظر: هل هو متصف بها؟ وماذا ينقصه منها؟ فيجاهد نفسه ويفطمها حتى تطيعه وتعتاد الصفات القويمة. وإن مر بآية فيها وصف الكافرين أو المنافقين وقف عندها، واتهم نفسه ووضعها في الميزان، كما يقف المعنون بأجسامهم في الموازين المنصوبة في الميادين ليروا أجسامهم في زيادة أو نقص.

فأصحاب الأرواح الطيبة أشد عناية بأرواحهم وتزكية نفوسهم من ذوي الأجسام الحيوانية بأجسامهم.

ولقد جمع الله تعالى طهارة الروح والجسم في آية واحدة بل في نصف آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الله أكبر ولله الحمد، إن فهمنا هذا؛ ووالله لو لم يكن في كتابنا إلا هذه

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٢)، في ١٣٥٧هـ.

الحكمة، إلا هذه الجوهرة الفريدة، لكفت الناس.

فالتوبة طهارة الروح، فإذا تاب العبد ورجع إلى الله فكأنما غسل روحه، ونقاها بأحسن المنقيات وأنقى الصابون، ويحب المتطهرين بالماء، ولذا جعل من الغسل مفروضًا ومسنونًا وكلاهما طهارة للجسم وهذا هو الدين الخالص.

التوبة من الذنوب تحتاج إلى معرفة الذنوب فإن كثير من الناس يقعون في الكبائر من الذنوب وهم مصرون عليها ولا يعلمون أنها ذنوب بل المصيبة كل المصيبة أن يرى المرء الذنوب حسنات؛ قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ ﴾ [فاطر: ٨] وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وكم أضل إبليس اللعين أناسًا فجعل لهم الشرك وسلية إلى الله وزين لهم أعمالهم فعبدوا الأولياء باسمائهم مقربون عند الله، وأنهم متى شفعوا بلاجئ إليهم لا يرد الله شفاعتهم.

فلذا لا يتوب من وقع في هذا الضلال باسم الدين وكيف يتوب من عمل صالح في نظره، ووسيلة تقرب إلى الله في زعمه إذن فلابد من معرفة الدين الخالص.

وإنه ليحزنني حد الحزن أن أرى بكوات وبشوات وأناسًا آخرين متعلمين مثقفين عندهم الرغبة والحب للدين ولكنهم لا يعرفون دينهم الحق فجرهم شياطين الإنس والجن بزخرف القول إلى مبتدعات وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان قلبت الدين رأسًا على عقب وكانوا بها أعداء للإسلام في ثوب أصدقاء. ولو رجعوا إلى الدين الخالص الذي هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لكانوا مؤمنين حقًّا، ولكانوا أنصار الله ورسوله حقًّا، ولا حول

ولا قوة إلا بالله.

وترى في مقابلهم آخرين ملحدين لا يدينون بشيء فتنوا بأكاذيب أوربا ومدنياتها الفاجرة فانخلعوا من كل دين ولا نجد وسطًا بين هؤلاء وهؤلاء إلا قليلا جدًّا والدين الخالص وسط بين الإفراط والتفريط.

ويحزنني جدًّا أن يلوم كثير من الكتاب على العلماء ويقولون: إنهم مقصرون في واجبهم من النصح والدعوة والحق أن العلماء ذهبوا وذهبت أيامهم وأن الذين يبغونهم من كثير من المعممين ليسوا بعلماء حتى يلاموا وقد تحقق قول رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بموت العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(١).

وإن أكثرهم اليوم ليشترون بالعلم والدين متاع الدنيا وعرضها وقد قسم الغزالي العلماء إلى قسمين علماء دنيا وعلماء آخرة فيمكن أن يقال أن علماء الدنيا وهم ممن تعلموا لها وأخذوا الشهادة في علومها وما فكروا إلا في وظائفها ومرتباتها، ومراكزها؛ فهم لا يعلمون وفيها يتنافسون، فإن كانوا هم المعنيين باللوم فهم مظلومون. وإن كان الكتاب يعنون علماء الآخرة على قلتهم وندرتهم فهم قائمون بما يستطيعون، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وقد نصحوا حتى أوذوا ولم ينههم الأذى وقد كان منهم أستاذنا العلامة السيد رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد خلف وراءه كثيرًا من الداعين إلى الله الصادقين في دعوتهم، المخلصين في جهادهم الصابرين على ما ينالهم من أذى في مرضاة ربهم، المحتسبين أجر كل ما يلقون من الدهماء وأشباههم على ربهم الذي أخذ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

العهد والميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه ولا يكتمونه ولكنهم مع الأسف قليل وكذلك الكرام قليل.

تعيرنا أنا قليل عديد فقلت لها إن الكرام قليل

على أن تلك الملامة الموجهة إلى العلماء وحدهم من أخطأ الخطأ، فليس في الإسلام أحبارًا ورهبانًا يحتكرون الدين، ويختصون به دون سواهم، بل الإسلام ميراث رسول الله ﷺ يرثه عنه كل مسلم، وعلى كل وارث أن يحافظ على تراثه وأن يدفع عنه كل من يرد أن يناله بسوء فإذا قصر في ذلك فهو ملوم ومؤاخذ أشد المؤاخذة ولا ينفعه الاعتذار بعدم قيام أخيه الأكبر على حفظ تراثه، وإهماله حتى ضاع من يده.

ألا فيعلم المسلمون جميعًا أن كل واحد مسئول يوم القيامة عن هذا الميراث الإسلامي سؤالًا عسيرًا ومؤاخذًا على إضاعته أشد المؤاخذة فليقم كل واحد منشطه، ويرفع كل واحد صوته وعصاه وسيفه في وجه ولده وزوجته وأصدقائه وجيرانه وعشيرته ومَن وراء ذلك.

وكلمة الحق التي لا شك فيها: أن الجميع مقصرون فلينهضوا متكاتفين متعاونين وليدفعوا عن دينهم الأذى، وليضحوا في سبيله بأنفسهم وأموالهم ليكون الدين كله لله. وإلا فليموتوا مجاهدين. والله لا يضيع أجر المحسنين، وما قتلنا وسلط أذل الناس وأحقر الأمم علينا إلا هذا التواكل وأن يلقي كل جماعة التبعة على عاتق الأخرى، فما أفلح المتواكلون وما فاز أبدًا المتكاسلون؛ فاعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

* * *



الدين الخالص

والفوضى الدينية في العالم الإسلامي(١)

إنه ليحزنني ويحزن كل مسلم صحيح الإسلام غيور على دينه وأهل ملته أن يرى الفوضى ضاربة أطنابها بين المسلمين فلا تدخل عاصمة ولا بلدًا ولا قرية إلا رأيت البدع متفشية فيها، والتلاعب بالدين والعلم لا حد له ولا رادع لأولئك المتلاعبين، وتلك حال تدل على التدهور والانحطاط الشديد. وقد قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

دخلت مسجدًا في أحد ثغور مصر لأصلي فيه المغرب فزاد المؤذن ألفاظًا في الأذان والإقامة لم يأذن بها الله ورسوله، وألفاظ الأذان والإقامة معدودة في كتب الحديث والفقه، ولم أسمع هذه الزيادة إلا في هذا البلد. ومن الغريب سكوت العلماء عليها وعلى أمثالها من البدع؛ واعتذار بعضهم عنها بأنها من البدع الحسنة، أو بأنها صارت عادة والعادة يصعب صرف العوام عنها، أو بدعة معروفة خير من سنة مهجورة.

لم أستطع السكوت على سماع بدعة تخالف دين الله الخالص فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس. وفكرت فيمن أخاطب. وعلى من أنكر؟ فرأيت بعد التفكير أن أهمس في أذن إمام المسجد؛ لأنه رئيسه الديني، وهو المسئول عمن فيه من مؤذن ومقيم فكلمته في لطف، فما راعني إلا هذا العذر البارد بل العذر الذي هو ترويج للباطل وإماتة للحق والسنة إذا قال: بدعة

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٤)، في ١٣٥٧هـ.

معمول بها مألوفة خير من سنة مهجورة، وإننا إذا نهينا عن هذه البدعة هاج علينا العوام فعجبت لهذا الجهل والجبن الفاحش من إمام يقتدى به ولست أعجب لشيء عجبي لتمكن الشيطان من قلوب هؤلاء يخوفهم دائمًا بضيق العيش وضياع الوظيفة إذا هم علموا العامة الدين الحق، وحذروهم البدع، وما أدري: العالم هو التابع للعامة أم العامة هم التابعون.

إن الأذان شعيرة دينية واردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين قرنًا عن قرن وجيلًا عن جيل تواترًا عمليًّا فضلًا عن الروايات الصحيحة الواردة بها والمجمع عليها.

وقد نص العلماء في كتب الفقه أن البلد التي لا تقام فيها هذه الشعيرة تستحق الجهاد ويشن الحرب عليها حتى تقيمها، ولا ريب أن الزيادة على الشعيرة أو الانتقاص منها يبطلها كما لو زيد في الصلاة، أو انتقص منها عمدًا. ولو كانت هذه الزيادة من جنس العبادة. وذلك معلوم عند أهل العلم لقول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣] الآية، والكامل لا يقبل النقص ولا الزيادة، كاليد مثلًا، لو زيد فيها أصبع على خمستها شانتها ولو نقصت أصبعًا كان ذلك النقص شينًا لها أيضًا.

والنقص والزيادة في الدين عبث به واتخاذه هزوًا ولعبًا وكفى بهذا ذنبًا عظيمًا وضلالًا بعيدًا.

ألفاظ الأذان:

الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله (مرتين) وأشهد أن محمد رسول الله (مرتين) حي على الصلاة (مرتين) حي على الفلاح (مرتين) الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.

هذه ألفاظ الأذان فمن الناس من زاد كلمة سيدنا عند قوله أشهد أن

محمدًا رسول الله ومنهم من زاد مع هذا في الظهر والعصر والعشاء الصلاة والسلام فقال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله... عليك يا حبيب الله ... إلخ، ومعلوم أن الرسول سيدنا وأن الله أمر بالصلاة والسلام عليه ولكن ما هكذا ورد عنه في الأذان وقد قدموا الصلاة والسلام في يوم الجمعة وفي وقت صلاة الفجر.

ولو كان للمسلمين رئيس ديني له القوة التنفيذية لما كانت هذه الفوضى ولوقف كل عند حده ولم يعتد على دين الله مثل هذا الاعتداء.

ومن الفوضى في الدين أن يؤلف فيه من لم يدرس شيئًا منه فيتكلم في التفسير بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

ويتكلم في الحديث والفقه والتوحيد من لا يحسن شيئًا من ذلك.

فإلى متى تظل هذه الفوضى، وإلام يبقى الناس بلا راع ديني يأخذ على أيديهم حتى يرتدعوا عن ذلك الفساد والإفساد؟

إن حقًّا على فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يحمى الدين من الكلام فيه بغير علم ومن الطعون التي يوجهها إليه الجهلة الملحدون وهو الملجأ والملاذ الذي يَفزع إليه المتخوفون على الإسلام الضيعة وإلَّا عم الناس الفتنة، وأصبحنا وقد اجتاحنا الخرافات والجهالات، والفسوق والفجور.

وإن فيما نرى ونسمع اليوم من أحداث لجدير بأن يوقظ كل غيور على دينه، وعلى رأسهم شيخ الجامع الأزهر ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]. وفق الله الجميع لدينه الحق.

* * *

الدين الخالص والهوى(١)

قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

وقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [المائدة: ١٨] الآية.

فيؤخذ من الآية الأولى أن الأماني والدعاوى بغير بينة لا تفيد صاحبها شيئًا، وأن ملاك الأمر كله: من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا.

وهكذا يكون عدل الله في الخلق، يبين ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]، وقوله: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١١١].

وفي الآية الثانية أن ملاك الأمر أيضًا: الإيمان والعمل الصالح، وأن الفرق

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٦)، في ١٣٥٧هـ.

كلها من اليهود والنصارى والصابئين والذين آمنوا مشروط عدم خوفهم وحزنهم بالإيمان والعمل الصالح.

والآية الثالثة فيها دعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، والرد عليهم بأنهم بشر ممن خلق، وأنه يعذبهم بذنوبهم كغيرهم من ذوي المعاصي، ولو كانوا كما زعموا لكانوا مطيعين ولما عذبهم الله بذنوبهم.

فتلخص مما ذكرنا: أن دين الله الخالص مبني على الإيمان والعمل الصالح، وأنه الميزان الذي توزن به كل دعوى دينية، وأن ذلك ينافي الهوى.

التطبيق

فإذا أردت اختبار شخص أو جماعة، فانظر لتعظيم أمر الله عنده واحترامه لأوامره ونواهيه، وحبه لله وفيه، وغضبه لله، يطلعك ذلك على صحة دعوى المدعين أو كذبها.

مثال ذلك: يدعى كثير من الناس المسيحية ويزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام، ويدعى كثير مثلهم اليهودية، وأنهم أتباع موسى عليه السلام، ويدعي آخرون الإسلام، وأنهم أتباع خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ. فإذا حققت دعوى كل فريق من هؤلاء المدعين من جهة العمل وجدت أكثرهم كاذبين.

فلا اليهود على دين موسى ولا النصارى على دين المسيح في زهده وما شرعه لهم من الورع والعزوف عن الدنيا، ولا المدعون الإسلام على دين محمد ﷺ يفردون الله بالعبادة ويوحدونه توحيد الإلهية؛ ويبرؤون من كل معبود سواه، ومن كل عبادة لغيره، ويخلصون له الدين، بل إن كثيرًا منهم أشرك مع ربه إنسًا وجنًّا بل وحيوانات وأخشابًا وعمدًا.

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن أمته تفترق أكثر من افتراق اليهود والنصارى ولا تنجو إلا فرقة واحدة وثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا

فرقة واحدة وهي من كان على ما كان عليه وأصحابه.

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن أمته تتبع اليهود والنصارى أيضًا؛ فقال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**» قيل: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[1].

هذا وللأعمال ظاهر وباطن فظاهرها ما يرى في الخارج وباطنها مراقبة الله فيها، وإرادة وجهه بها؛ وملاحظة اطلاعه على كل حركة وسكنة فيها. وهذا معنى قول النبي ﷺ جوابًا على سؤال جبريل المعروف عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢-٣]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية.

فإذا انحرف العبد عن الله ولم يعبده خالصًا، كان متبعًا هواه، عابدًا شيطانه؛ وقد قال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٦٠]، وقوله: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠]، وقوله: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[الجاثية: ٢٣]

ولقد أصبحنا في زمن لا يتبع الناس فيه إلا أهواءهم، فمتى هوى أحدهم شيئًا بادر إليه وأنفق في سبيله كل مرتحض وغال. ولقد يهان الدين أمام أحدهم ويسب فلا يتحرك ولقد يصبر الرجل على ترك أولاده الصلاة وفسوقهم فلا يتمعر وجهه، ولا يغضب لله ولا للشرف والفضيلة والدين؛

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

ويغضب لأتفه الأمور؛ بل قد يحمله الهوى على أن يتدخل فيما لا يعنيه، ظانًّا بذلك أنه يحسن صنعًا وهو من الظالمين.

والدين الخالص يحول بين صاحبه وبين هذه السفاسف والحمق واتباع الهوى كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

نسأله الله أن يعيننا على أنفسنا وأهوائنا، وأن يحول بيننا وبين كل شر ويشغل كل إنسان منا بإصلاح نفسه وبالله التوفيق وهو المستعان.

* * *

الدين الخالص

والمسلمون اليوم[1]

إننا إذا أردنا أن نبحث عن الدين الخالص بين عامة المسلمين اليوم وأن نعرفه لم نجد عندهم منه شيئًا يذكر، إلا قليلًا مشوبًا ببدع غيرت شكله وغطت جماله، وشوهت حسنه، كالمرض يصيب الإنسان أيامًا فينحف جسمه ويشحب وجهه، وتنفه عينه، وتضعف قوته حتى يتوكأ على عصى، وحتى يسنده بعض أهله وهو يكاد من الضعف أن يسقط والدين الخالص والإسلام الصحيح، كذلك المريض اليوم عند المسلمين.

ومن كان متمسكًا به من أبنائه الأبرار؛ فهو غريب بين أبنائه العاقين؛ وأهله الظالمين. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا تكاد تفتح صحيفة عربية إلا اطلعت فيها على ما يجرح القلب ويصدع الكبد؛ ويؤلم الفؤاد، من أخبار المسلمين وأحوالهم؛ وما يسومهم الغربيون والنصارى واليهود من ألوان العذاب.

ترى في تلك الصحف: المسلمين يستغيثون إخوانهم من المنظرين الذين لما ينزل بهم العذاب، يا أخواننا أغيثونا، نهبت أموالنا، هتكت أعراضنا، أخذت نساؤنا، وأموالنا، تيتمت أولادنا، خربت دورنا شرد برجالنا ملئت السجون بعلمائنا وكبرائنا!! ولا مغيث وأني لغريق أن ينقذ غريقًا مثله ومكبلًا في السلاسل والأغلال أن يفك مكبلًا مصفدًا.

ولقد أعي هذا التخاذل بين المسلمين الأساة والقائمين بدعوة الإصلاح فيهم وتركهم في حيرة لا يدرون الخلاص منها.

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٨)، في ١٣٥٧هـ.

ولكن عندي حل واحد لهذا المشكل، وأعرف غياثًا واحدًا يمكن أن يغيث المسلمين وينقذهم مما هم فيه لو رجعوا إليه صادقين مخلصين.

إنه لا ينقذ المسلمين مما هم فيه من هذا العذاب الأليم الذي سامهم إياه أعداؤهم من المستعمرين، والخزي المقيم الذي ألبسهم ثوبه الأوربيون، إلا التوجه إلى رب العالمين الحي القيوم أرحم الراحمين بالتوبة الصادقة من عبادة الأولياء والتعلق بهم والنذر لهم، فإن رجعوا إلى الله ودعوه بتضرع وإخلاص فوالله الذي لا إله إلا هو ليستجيبن لهم وليغيثنهم وذلك لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ [الأنعام: ٤٣] وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦] وقوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وأن يغرسوا في أولادهم وناشيءتهم في البيت وفي المدرسة وفي المصنع وفي المتجر، روح الدين ومعرفة الله والإيمان به وبرسوله ولا يكون ذلك إلا من القرآن الكريم، والحديث الشريف، لينشؤوا أمة إسلامية حقيقة مستمسكة بالدين، متفانية فيه، تضحي بكل غالٍ، وأن يرجعوا إلى التحاكم والتقاضي في الدماء والأموال والفروج إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

وأن يقلعوا عن الفسوق والمعاصي والتهتك بإباحة ما حرم الله ورسوله من الزنا والخمر والربا وغيرها من الموبقات التي قضت على كل مزايا الرجولة وكل صفات الكرامة فيهم وأن يقعلوا عن المنازعات والمشاحنات الشخصية لإرضاء أهوائهم وشهواتهم في مراكز الدنيا ورياستها ليكون جهدهم كله مجتمعًا على حرب العدو الخارج عن دينهم ووطنهم.

وأن يقضوا كل القضاء على هذه الأحزاب والشيع والفرق السياسية والدينية، ليكون الجميع حزبًا واحدًا هو حزب الله، العامل بدينه المقيم لأمره، الواقف عند حدوده. ألا إن حزب الله هم المفلحون.

هذا ما أشير به على أخواننا المنكوبين في بلاد العرب كفلسطين وسوريا والجزائر وتونس وغيرها من البلاد التي كانت معمورة بالإسلام وطغى عليها سيل الفرنجة، فاستباحوا حماها واستذلوا أهلها في صور حمايات أو معاهدات ومحالفات أو غير ذلك مما يختلف في الاسم ويتفق في الحقيقة؛ وما ذاك إلا بذنوب أهلها، ومخالفتهم تعاليم الإسلام وشرائع الإسلام وهداية الرسول ﷺ.

أنه لامنجى لهم إلا التوبة والرجوع إلى الله بصدق وإخلاص.

* * *

الدين الخالص

كيف ينشر بين طبقات الأمة[1]

لا يخفى على كل مفكر أن الإفرنج الذين دخلوا بلاد المسلمين واستولوا عليها حقبة من الزمان أفسدوا أخلاق أهلها؛ وذلك بإخلاء المدارس من التعليم الديني وسنهم برامج تبعد المتعلمين عن دينهم، وتاريخهم؛ فكل من تخرج منهم تخرج مصبوغًا بصبغة مخصوصة تتفق وإرادة الأعداء، وكان هؤلاء المتخرجون حكامًا آليين بيد الحكام الغالبين، يعادون كل ما فيه دين أو خلق أو فضيلة ومن كان فيه بقية من غيره دينية موروثة عن أهله، ورأوا فيه ميلًا أو عاطفة دينية أو قومية أقصوه عن الوظائف ونفوه في أبعد البلاد حتى كأنه في جزيرة موحشة منقطع عن العالم.

فإذا أردنا الآن أن ننشر الدين الخالص في البلاد وأن نعيده إلى مكانته في القلوب كان لابد لنا من تغيير البرامج المدرسية وعملها على نحو حديث يكفل لنا تخريج ناشيءة صالحة للحكم الاستقلالي متدينة تراقب الله فيما تأخذ وما تذر.

إن البرامج الحالية لا عناية فيها بدروس الدين الإسلامي قط مع أنها بلاد إسلامية وديتها الرسمي دين الإسلام أفليس عجيبًا أن تكون كذلك والدين في برامجها لا مكان له، وإن كان له فلا أكثر من جسم لا روح فيه؛ وذرًّا للرماد في عيون أهله لكي يقال إن هناك دينًا يدرس، ولا قيمة لهذه الدروس في الاختبارات (الامتحانات) فلا يتوقف عليها نجاح ولا سقوط.

الحق أنه يجب أن يكون الدين الاسلامي من الدروس الأولية في تثقيف

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٨)، في ١٣٥٧هـ.

أبنائنا علمًا وعملًا من بدء نشأتهم ودراستهم في المدارس الابتدائية إلى العالية، وإن الوزارة التي تعنى بهذا عملًا هي الجديرة والخليقة بالبقاء في كراسيها.

وليس أسخف من أستاذ يؤلف كتابًا في الفقه على أحد المذاهب للمدارس والمكاتب أو المعاهد - يجب أن يكون دين التلاميذ والطلبة واحدًا، وإلا فكيف يعلم الأستاذ مذهبًا وفي الطلبة الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي، أيُعلم كل تلميذ على حدة؛ أو كل طائفة في وقت، وهل يتسع الوقت وهل يعرف التلاميذ الصغار هذه المذاهب إنهم يلعمونهم الضلال والتعصب يعلمونهم ما لم يؤمروا بتعلمه وليس بواجب ولا مندوب تعليمه، بل حرام تعليمه وتلقينه للناشيء أقول حرام، والدليل عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾[الروم: ٣١-٣٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] فالذي يعلم الناشيءة مذاهب إنما يعلمهم ما نهى الله عنه من التعصب والتقليد ما يحيره.

فاتقوا الله أيها الناس وعلموا الناشيءة كتاب ربهم وسنة نبيهم، قبل كل شيء ربوهم على محبة الرسول ﷺ ومتابعته، وافتحوا أذهانهم ومسامعهم لسنة رسول الله، فإنه لا يجب على أحد تعلم شيء إلا ما جاء به الرسول الأعظم ﷺ.

وأنه لم يسلط الله على المدارس الأميرية من يفقدها العناية بأمر الدين إلا من ظلم المقلدين؛ وعدم اهتدائهم، كما لم يسلب المحاكم الشرعية الأحكام الإسلامية إلا من جهل من يسمونهم العلماء بدين المصطفى ﷺ.

فمتى يتوب هؤلاء ويرجعون إلى الله؟

سيتوبون إذا عرفوا أن ما هم عليه ضلال، وأن الدين ليس فيه مذاهب يجب اتباع واحد منها، وحتى يعلموا أن من قال: «وواجب تقليد حبر منهمو» مخطئ أشد الخطأ.

* * *

الدين الخالص

وحال المسلمين[١]

ما كنت أحسب ولا أظن أن المسلمين يصيرون إلى هذه الحال السيئة، وكنت دائمًا أحسن الظن بهم في الجملة، ولكني كلما قرأت القرآن الكريم وتدبرته والسنة النبوية أكذبا ظني وأرياني أن المسلمين اليوم ليسوا مسلمين فأعود إلى نفسي منهما وأقول: لعلك يا نفس لم تفهمي فكرري التدبر والتفقه واسألي الله أن يوفقك.

وأذهب بها بعيدًا عن الناس وضوضائهم، وأتمثل بقول القائل:

حيران لو شيءت أهتدى ظمآن لو شيءت ورد

وبعد التضرع إلى الله أعود فأنشر المصحف بين يدي وأنا على وضوء، وأقرأ وأرتل، وأكرر بعض الآيات: فأزداد إيمانًا بأن الإسلام غير ما عليه أكثر المسلمين اليوم في جملتهم وجمهورهم، فأنصرف محوقلا وأروح إلى كتب السنة ودواوينها التي أجمع على صحتها المسلمون في جملتهان واعتبروها أصول الدين فأجد فيها كما في القرآن.

وإليك البيان:

يقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقد نصر الله المؤمنين في القرون الأولى أيام كانوا متمسكين بالقرآن والسنة، ونرى النصر تأخر اليوم عن أهل هذا الزمان ممن يدعون الإسلام والإيمان ونرى الإفرنج ملحدين وصليبين مستولين على بلاد المسلمين فلماذا يا ترى؟ الأمر واضح، يدلك عليه قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (١)، في ١٣٥٨هـ.

وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨-٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ولا ريب أن المسلمين غيروا ما بأنفسهم فبعد أن كانوا أهل عقائد حسنة، يعبدون الله وحده، ويلجؤون إليه، ويتوكلون عليه ويدعونه مخلصين له الدين، ويتبعون سنة نبيه محمد ﷺ، أصبحوا يدعون الميتين ويعبدونهم بالطواف حول أضرحتهم وينذرون لهم ويذبحون لهم، ويقولون كما قال المشركون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. [الزمر: ٣]

والآيات القرآنية الدالة على سنة الله في خلقه من تعذيب المشركين، وإنزال عذاب الخزي بهم في الدنيا والآخرة وإعزاز المؤمنين الموحدين، والتمكين لهم في الأرض وإسعادهم في الدنيا والآخرة أكثر من أن تسعها هذه العجالة.

أما السنة فقد ورد فيها: «**لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**»، قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: «**فمن؟**»[1].

وقد وقع المسلمون فيما أخبر به المعصوم ﷺ وأصبحوا يقلدون اليهود والنصارى في كل شيء ظاهرًا وباطنًا.

ومما أخبر به عليه الصلاة والسلام: افتراق الأمة على فرق كثيرة؛ حيث قال «**افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا من كان على ما أنا عليه وأصحابي**»[2] ومن ذلك قوله

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (١٣٤٨).

ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وحتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**»[١] وهو صنم كان لهم في الجاهلية.

ومن ذلك حديث حذيفة المروي في البخاري ومسلم وغيرهما قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دَخن**» قلت وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[٢].

ألست ترى في هذا الحديث ما ينطبق على كثير من علماء هذا الزمان؟ وعلى مشايخ الطرق الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل؟ وألست ترى فيه أن المسلمين يكونون وليس لهم جماعة ولا إمام كما في هذا الزمان؟ فإن كل بلدة تكاد تكون منفصلة تمام الانفصال عن الأخرى بحكومتها وشؤونها كلها.

وورد أيضًا في الصحيح عن المعصوم ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

غريبًا كما بدأ»[١] رواه مسلم وفي غيره زيادة «فطوبى للغرباء».

وقد شعرت بهذه الغربة وشعر بها كل من عرف الإسلام من القرآن والسنة وسيرة السلف، لا من أولئك المقلدين المساكين الذين ولدوا في ظلمة الجهل ولم يفتحوا أعينهم إلا على أصنام تعبد وأوثان يطاف حولها وتدعى من دون الله:

وقد قلت من قصيدة لي:

يا غربة الدين من أهل ومن وطن ... أمسى بنوه وهم حرب لذا الزمن

وكتبت للشيخ أبي الفضل شيخ الأزهر رحمه الله مرة من قصيدة أقول:

إلام أبا الفضل التعلل بالصبر ... وحتام تبقى المحدثات بلا نكر

ولعلي أبعث بالقصيدتين لمجلة الهدي فتنشرهما للعبرة.

والمقصود هنا بيان أن المسلمين اليوم ليسو على شيء من الإسلام فإن قال قائل: حتى الصلاة؟ قلنا له: ما قاله أنس ﵁: ألستم غيرتم فيها ما غيرتم، فصرتم تنقرونها نقر الغربان، وبعد أن يصلي أحدهم يدعو الله من المقربين في زعمه ليقربوه إلى الله.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] الآية. وكذلك المسلمون ليسوا على شيء حتى يقيموا القرآن أي يتمسكوا به ويعملوا بأوامره ويحكموا به ويتحاكموا إليه وإلى سنة رسول الله ﷺ.

إننا إذا أردنا أن نزن حال المسلمين اليوم بالقرآن الكريم والسنة النبوية تجد كفتهم شائلة عائلة، وإذا أردنا أن نحقق نسبتهم إلى الإسلام نجد أدعياء لا يمتون إليه إلا بالاسم وإذا أردنا أن نقيس ما بينهم وبين أسلافهم من

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٥).

مشركي العرب وجد أبا جهل خيرًا من كثير منهم وأبا لهب أفقه منهم، وأعلم بما دلت عليه كلمة التوحيد وإذا أردنا أن نقايس بينهم وبين السلف الصالحين وجدناهم بالنسبة للصالحين في أسفل سافلين والصالحون في أعلى عليين، ذلك لأنهم أعرضوا عن كتاب الله علمًا وعملًا واعتقادًا، وعن سنة رسول الله ﷺ وفتنت قلوبهم بكتب وعلوم لا صلة لها بالقلوب ولا يمكن أن تستفيد منها القلوب والأرواح شيئًا بل بالعكس قد أفسدتها.

فجعلتها قاسية فاسقة عن أمر ربها.

تسمع العويل في فلسطين والصياح في طرابلس والجؤار في تونس وأخواتها من بلاد المغرب وتسمع في الشرق والغرب من الشعوب الإسلامية وقد اشتدت على الكل وطأة المستعمرين وهم يستغيثون فلا يغاثون ويستنجدون إخوانهم وإخوانهم في العذب مشتركون وقد ملؤوا الصحف عويلًا وبكاء وأسباب النصر والعز بين يديهم فلا يعلمون وتدعوهم إلى المتاب فلا يتوبون وسنة الله لا تتبدل قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦] ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١٠-١١] كان اليهود يدعون أنهم شعب الله وأنهم أبناؤه وأحباؤه وأولياؤه فما أغنت عنهم لك الدعاوى شيئًا ومثل هذه الدعاوى يدعيها المسلمون من غير عمل ولا اتباع فلم تغن عنهم شيئًا.

* * *

ما أحوجنا إلى مثل هذه الوصايا الغالية[1]

قال أبو نعيم في الحلية (ج ٣ ص ٢٤٦) كتب أبو حازم – سلمة بن دينار الأعرج إلى الزهري:

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، ورحمنا وإياك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها: أصبحت شيخًا كبيرًا، قد أثقلتك نعم الله عليك؛ بما أصح من بدنك، وأطال من عمرك وعلمك من حجج الله تعالى بما حملك من كتابه، وفقهك فيه من دينه، وفهمك من سنة نبيه ﷺ فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك، وكل حجة يحتج بها عليك، الغرض الأقصى، ابتلى في ذلك شكرك وأبدى فيه فضله عليك، وقد قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

انظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك، كيف رعيتها؟ وعن حججه عليك. كيف قضيتها؟ ولا تحسبن الله راضيًا منك بالتغرير، ولا قابلا منك التقصير. هيهات، ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه، إذا قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] أنك تقول: إنك جدل، ماهر عالم، قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم، ادلالا منك بفهمك، واغترارًا منك برأيك، فأين تذهب عن قول الله ﷻ: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩].

أعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت: أن أنست بالظالم، وسهلت له طريق الغي بدونك حين أدنيت، وأجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن تبوه

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٦)، في ١٣٥٨هـ.

بإثمك غدًا مع الجرمة، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ودنوت ممن لا يرد على أحد حقًّا ولا ترك باطلًا حين أدناك، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطبًا تدور رحى باطلهم عليك، وجسرًا يعبرون بك إلى بلائهم وسلما إلى ضلالهم وداعيًا إلى غيهم، سالكًا سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء؛ ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم فلم تبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جانب ما خربوا عليك. وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيرًا وكبيرًا؟ وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيلًا وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيرًا؟ وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريبًا. ما لك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول: والله ما قمت لله مقامًا واحدًا أحيي له في دينًا، ولا أميت له فيه باطلًا، إنما شكرك لمن استحملك كتابه؛ واستودعك علمه. ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ [الأعراف: ١٦٩] إنك لست في دار مقام قد أوذنت بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل، يابؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلا أن تردنه على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره، احذر فقد أتيت؛ وتخلص فقد دُهيت إنك تعامل من لا يجهل

والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر وداوِ دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما غرب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك؛ وبقيت بعدهم كقرن أعضب، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه وهل تراه ادخر لك خيرًا منعوه، أو علمك شيئًا جهلوه؟ بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة وكلفهم بك: أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلوا، وإن حرمت حرموا وليس ذلك عندك، ولكنهم إكبابهم عليك ورغبتهم فيما بين يديك ذهاب عملهم وغلبة الجهل عليك وعليهم، وطلب حب الرياسة، وطلب الدنيا منك ومنهم. أما ترى ما أنت فيه من الجهل والعزة وما الناس فيه من البلاء والفتنة ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك؛ وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت ويبلغوا منه مثل الذي بلغت فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره، وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.

واعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه، الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله ﷺ **«إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة، فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢]»**[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩) قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٠): سنده ضعيف. وقال البوصيري (٤/ ١٧٩): هذا إسناد فيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٢٠٢٩).

وجاه يجريه الله على يدي أعدائه لأوليائه ومِقَة يقذفها الله في قلوبهم لهم فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيما لديهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وما أخوفني أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستورًا عليه في دينه، مقتورًا عليه في رزقه، معزولة عنه البلايا، مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه وظهور جلده، وكمال شهوته، ففنى في ذلك دهره حتى إذا كبر سنه ورق عظمه، وضعفت قوته، وانقطعت شهوته ولذته، فتحت عليه الدنيا شر فتوح؛ فلزمته تبعتها، وعلقته فتنتها وأعشت عينيه زهرتها وصفت لغيره منفعتها، فسبحان الله! ما أبين هذا الغبن، وأخسر هذا الأمر، فهلا إذ عرضت لك فتنتها ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في كتابه إلى سعد، حين خاف مثل الذي وقعت فيه عند ما فتح الله على سعد:

أما بعد فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب؛ لم تفتنهم الدنيا ولم يفتنوا بها؛ رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا.

فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا، مع كبر سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فمن يلوم الحدَث في سنه، والجاهل في علمه، والمأفون في رأيه، المدخول في عقله إنا لله وإنا إليه راجعون.

على من المعول وعند من المستعتب نحتسب عند الله مصيبتنا، ونشكو إليه بثنا وما نرى منك، ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. اهـ.

يقول أبو السمح – عفا الله عنه – ما أروعها موعظة؛ وما أبلغها نصيحة،

وما أجدرنا وأحرانا أن نأخذ أنفسنا بها، وأن نحلها من قلوبنا في السويداء، ونتخذ منها دستورًا نحفظه، ونبراسًا نهتدي به!!

نعم؛ فلقد كانت هذه الوصية من أبي حازم رضي الله عنه للإمام الجليل محمد ابن شهاب الزهري رضي الله عنه استدعاها من أبي حازم اتصال ابن شهاب بخلفاء العباسيين في أول أمرهم؛ رغبة النصيحة لهم وحرصًا على تقويم معوجهم جهد طاقته وقدر استطاعته؛ فكان هذا الاتصال الشريف الكريم اللائق بالإمام ابن شهاب سبب توجيه أبي حازم إليه بهذه الوصية. فنحن في عصرنا أشد حاجة إليها وإلى مثلها وقد غلبت الفتنة على كثير؛ وأخذت الدنيا بجاهها ورياستها، وزهرتها ومتاعها من ديننا وعلمنا الشيء الكثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. والله المستعان؛ والعافية منه، والهداية بيده. فاجعلنا ربنا من المهتدين ولا تجعلنا فتنة للظالمين.

توفى أبو حازم في سنة خمس وثلاثين ومائة.

ولعلي أوفق لإتحاف مجلة «الهدي النبوي» بأمثال هذه الوصايا والنصائح عن ساداتنا السالفين؛ ففيها كل الخير للمتقين.

* * *

صبرًا يا أنصار السنة المحمدية

فلكم برسول الله أسوة حسنة[(١)]

قال ابن إسحاق رحمه الله: عن صفية بنت حيي بن أخطب، رضي الله عنها أنها قالت: «كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر. لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب؛ وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع. فو الله ما التفت إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيى بن أخطب: أهو هو؟ قال. نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت».

هذا يا جماعة أنصار السنة المحمدية موقف من مواقف حزب الشيطان ببغيهم وعداوتهم وحسدهم وظلمهم، بعد أن تبين لهم الحق من ربهم، ووضحت لهم سبيل الرشاد، وأشرقت شمس الرسالة المحمدية تملأ العالم بنورها اللألاء وتخرج العالم من ظلماته القاسية، وتفك عنه أغلال الأحبار والرهبان المتحكمين في العقول، والمستبدين بالنفوس؛ والمتربيين بالباطل والغطرسة مع رب العالمين الحق، والناشرين على القلوب شباك مكرهم

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٧)، في ١٣٥٨هـ.

وخدعهم يصطادونها ليستغلوها في إشباع نهماتهم، وملء بطونهم وجمع الأموال الجمة بدون عناء ولا مشقة باسم الدين وباسم خدمة ذلك الدين. والعمل على انقاذه وتخليصه من أعدائه والله يعلم وهم يعلمون أن ذلك باسم الدنيا وزينتها ودورها وعقارها ومتاعها القليل؛ يجمع أولئك الأحبار تلك المآت من الدراهم والدنانير ولتلك الدراهم والدنانير والدور والعقار يحرصون على الرياسات الدينية، ولتلك الدراهم والدنانير والدور والعقار يكتبون الكتب والمقالات الطنانة بأيديهم ويقولون هي من الدين وما هي من الدين بل هي لهدم أسس الدين وتقويض دعائم الإيمان برب العالمين، ولعبادة الخلق من دون أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، ويقولون هي من عند الله وما هي من عند الله، لأنها إما تحريف لنصوص الكتاب المنزل وتحكيم أهوائهم الضالة فيه، وإما كذب وافتراء على الله ما لم يقل الله ولا رسله ولا أنبياؤه؛ كذب أشاعة سلفهم وروجوه منسوبًا إلى رسل الله فورثه هؤلاء عن سلفهم يحاولون ترقيعه بكل ما استطاعوا من خرق ممزقة، ورقع مهلهلة يروجوه على العامة إخوانهم والدهماء من الناس أشباههم، الذين هم مستغلهم، ومزرعتهم الخصبة التي يستثمرونها للمال والرياسة والشرف الدنيوي الحقير عند الله وفي الدار الآخرة.

هذا حيي بن أخطب وأخوه ياسر، يشهدان في خلوتهما أن محمدًا رسول الله الذي بشر به موسى عليه السلام، ويؤكدان أنه النبي الخاتم للنبوة الذي أخذ موسى العهد على بني إسرائيل بالإيمان به واتباعه ونصره، ويزيدان ذلك التأكيد بالقسم بالله ثم يتساءلان ما لهذا الرسول المأخوذ علينا العهد بالإيمان به ونصره فيكون الجواب هو الجواب الطبيعي لمثل هاتين النفسين الخبيثتين، ولمثل هذين القلبين المتحجرين ولمثل هذين الوحشين

الضاريين اللذين لا يهنآن إلا إذا ولغا في دماء الناس، ولا يعيشان إلا بامتصاص تلك الدماء ولا يجدان الحياة إلا في أفسق الفسوق وأعصى العصيان والتمرد على الله وعلى أنبياء الله، وعلى كتب الله وعلى الحق كله وعلى الصلاح كله، لأنهما قد أراهما شيطان الحسد والبغي: أنهما إن اتبعا محمد ﷺ وآمنا به ووفيا بعهد موسى ضاعت رياستهما، وذهبت دنياهما، وانقطعت موارد الرزق عنهما ونزلا عن كرسي الرياسة الذي ينالون عليه التمجيد وتقبيل الأيدي والركب، والتمسح بالجبب الفضفاضة، والتماس البركة من أيديهما الطرية بعد ملئها بالأصفر والأبيض والأسود، كل ذلك قد أقامه لهما شيطان الحسد والبغي وإله الهوى والمال والعظمة الكاذبة والكبر بالباطل.

يا جماعة أنصار السنة: الحق هو الحق في كل زمان، وأنصاره هم أنصاره في كل وقت، وأعداؤه أعداؤه مهما لبسوا للناس جلود الضأن من اللين، ومهما أسبغوا من مسوح الزهادة والتقشف فالعبرة بما يفيض على اللسان مما انطوت عليه القلوب من حب الدنيا وعبادة المال، وحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

والباطل هو الباطل مهما غير الشيطان اسمه وخلع عليه من أثواب مزخرفة، وأسبغ عليه من زخرف القول غرورًا.

وها أنتم يا أنصار السنة قمتم اليوم تحيون سنة هذا الرسول الأكرم ﷺ، وتجاهدون للحق وبالحق، وتعملون على مثل ما كان عليه إمام المهتدين وسيد المرسلين وأشرف الخلق أجمعين فهل تظنون أن الباطل قد مات وماتت أنصاره؟ فلماذا إذن قمتم تجاهدون؟ أم هل تظنون أنكم ستسلمون مما لم يسلم منه إمامكم سيد المرسلين ﷺ؟ أم هل تظنون أنكم

ستجدون الناس كلهم لكم أحبابًا وأنصارًا، وذلك لم يكن لامامكم أحب الخلق عند الله؟!

ماذا كنتم تظنون يوم قمتم تجاهدون البدع الشركية، وتعلنون الحرب على الخرافات الوثنية، وتكسرون بمعاول الكتاب والسنة أغلال الأحبار والرهبان التي قيدوا بها القلوب، وتحاولون بذلك تخليص القلوب من العبودية لأولئك الأحبار والرهبان لتكون خالصة لله وحده، لا تذل إلا له، ولا تعبد سواه، ولا تقبل القول إلا عنه وعن رسوله؛ فتتم لها بذلك الحياة الطيبة، وتنال بذلك عز الدنيا والآخرة فما ينال عز الدنيا ولا حياتها إلا بالذل لله وحده والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

يا جماعة أنصار السنة، ويا أخي حامد: أنا على يقين – إن شاء الله – من أنكم واضعون نصب أعينكم المثل الأعلى والقدوة الحسنة برسول الله ﷺ وأصحابه البررة الأخيار، وواضعون نصب أعينكم أعداء ذلك الرسول وما ناصبوه من حرب وما حاولوا من إطفاء نور الله وما بذلوا من مجهود في ذلك الحرب؛ ما ردهم بالخيبة والخسران منه إلا صبر رسول الله ﷺ وصدقه وصدق من اختارهم الله لصحبته، وأنهم باعوا أنفسهم وأموالهم لله، فاشتراها منهم بالجنة، وتمت الصفقة الرابحة على ذلك، ومن أوفى بعهده من الله، ألا فبيعوا أنتم كذلك أنفسكم وأموالكم في سبيل سنة رسول الله ﷺ واستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به إن كنتم صادقين.

أخي حامد: إنه لم يهل رسول الله ﷺ وفئته القليلة ما هول به أولئك الأحبار وإخوانهم من حزب الشيطان وقد كان كل أهل الأرض، ولم يقع ذلك من نفس رسول الله وأصحابه إلا كطنين الذباب الحقير، يحاول أن يؤذي السمع وما هو ببالغ شيئًا من ذلك، ولقد كان يرسل من صواعق الحق

ما يحرق ذلك الذباب ثم يملأ الدنيا نورًا وهدى ورحمة. وأنت وجماعتك أنصار السنة إنما ترسلون على صفحات (الهدى النبوي) من تلك الصواعق المحمدية والشهب القرآنية على ذلك الذباب الطنان ما يحرقه ويدسه في الرغام أو يذروه مع الهباء.

أخي حامد: أنت تبيض صحائف الهدى النبوي بتبيان القرآن وحكمة السنة النبوية وترسلها شمسًا مشرقةً يستضيء بها الذين استجابوا لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم، والذين لهم قلوب يفقهون بها ولهم أعين يبصرون بها ولهم آذان يسمعون بها، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، أما الذباب الطنان فإنه إنما يسود صحيفة العوام والطغام بما يحمل بخرطومه ورجليه من برك ومستنقعات الأهواء والبدع، وحثالات الأفكار وزبالات الآراء، ونفايات أقوال الأحبار والرهبان، ثم يرسلها عفنة منتنة على الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون قد حرمهم الله الإنسانية وجردهم من ميزاتها، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.

أي أخي حامد؛ لا يهولنك أحبار اليوم ورهبانه، فإن كيدهم في تباب، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، فو الله ثم والله إنهم ليكفونك كثيرًا من شرهم بما يسجلون على أنفسهم من فضائح ومخازي، قد اشمأز منها الذين يعقلون.

وإلا فبالله عليك قل لي يا أخي: أكنت تستطيع أن تفضحهم بمثل قول كبيرهم «ولو تنزلنا وقلنا أن له – أي: للميت الذي يدعي من دون الله – قوة روحية تشبه قوة الملائكة يغيث بها المستغيث لم يكن هناك شرك أصلًا»

ومن قبل قال: «إن لم نقل إن محمدًا رسول لوجب أن نقول أنه إله» أسألك بالله أأنت أو جميع أنصار السنة وأمثالهم معهم لو كتبوا ليلًا ونهارًا في هؤلاء أكانوا يستطيعون أن يخزوهم بمثل هذا الخزي الذي أسبغه الله عليهم من ألسنتهم وأقلامهم.

أخي حامد: ثق والله كل الثقة؛ ولا أظنك في شك - أن كل ما يكتبون في ترويج ذلك الشرك الصريح قد مقته كل الناس؛ وتقززت نفوسهم منه كل التقزز ولكنهم يغترون بالعامة والدهماء والأنعام الذين هم أشباههم وأن الطيور على أشكالها تقع.

أخي حامد: ويا جماعة أنصار السنة، أأنتم المشبهون لله بخلقه، وأنتم الذين تقولون: لا نقول في الله وصفاته ودينه إلا ما قال الله ورسوله، ولا نرضى بذلك بديلًا ولا نقول إلا ما قال الصحابة عندما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ يتلوه عن الله، أو يشرحه ويفصله بقوله الحكيم أأنتم المشبهون والذي يقول: إن محمدًا يجب أن يكون إلهًا، والذي يقول: إن الميت يستغاث به فيغيث، ويسأل فيجيب هو الذي يعرف الله وينزهه؛ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا ومن قبل قال سلف هؤلاء الأحبار لسيد المهتدين وإمام العارفين ورسول رب العالمين: أنت صابئ ولأصحابه البررة الخيرة: الصبأة، وقالوا: إنه لمجنون وساحر وكاهن فإذا كان أسلافهم قد قالوا هذا لسيد المهتدين فتستبعدون أنتم أن يقول عليكم خلفهم مثل ذلك وأشنع؟!

فليقولوا ما شاءوا وليحرفوا القول ما شاء لهم الحقد والحسد لدين الإسلام والضغينة على كل قائم بالقسط من الناس؛ فقد انكشف لعقلاء الناس عوارهم؛ والله من ورائهم محيط، وإن الله يدافع عن الذين آمنوا

إن الله لا يحب كل خوان كفور والسلام عليكم أنصار السنة ورحمة الله وبركاته.

* * *

يا صاحب الهدى إن العُمْي قد كثُروا[1]

ذنبي إلى الناس ما إن قط يغتفر ... كلا، ولا أنا عنه الدهر معتذر
ذنبي العظيم إليهم: أنني رجل ... ديني اتباع الهدى، للحق أنتصر
مستمسك بكتاب الله، متبع ... هدْىَ النبي، مدى الأيام، لا أذر
مجاهد في سبيل الله من عبدوا ... غير الإله، وبالتنزيل قد كفروا
رمحي لساني؛ وسيفي المنتضى قلم ... إذا غزوت العدى يومًا به اندحروا
سلوا السويس، ورملا؛ عن وقائعنا ... وأهل جيزة، والتلّين؛ ما الخبر؟
لم ينقم الناس منا غير معتقد ... ما إن سواه لدى الأسلاف يعتبر
ففي الصفات وفي الأسماء نثبت ما ... جاءت صريحًا به الآيات والأثر
ولا نشبه جل الله عن شبه ... وإن تقول عنا السفلة الغجر
ونفرد الله بالإخلاص نعبده ... هذا هو الحق، لا الأحجار والشجر
إلهنا الله ندعوه لكربتنا ... فهل سواه على ما شاء مقتدر؟
أليس أرحم من أم على ولد ... له الصفات ومنها السمع والبصر
أن الأولى أولوا الآيات وانتحلوا ... عقيدة النفي عن جهم فقد خسروا
والعابدون سوى الرحمن كلهمو ... صم وبكم، وخير منهم الحمر
وآخرون أضل الله سعيهم ... قد اطمأنوا إلى الدنيا، وما حذروا
إذا ذكرت كتاب الله عندهم ... هزوا الرءوس، وبالآيات قد سخروا

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (٩)، في ١٣٥٨هـ.

وليس أثقل من ذي النصح عندهم ... ومن يغار، ومن للدين ينتصر
كأنما الدين أقذاء لأعينهم ... وأهله غصة في الحلق تشتجر
وعلة البغض: أن الدين ضايقهم ... فيما استباحوا من اللذات وافتجروا
وهمة النذل منهم ملء معدته ... ومنتهى ما يحب الفرج والدبر
الله أكبر، لا قرت عيونهم ... مدى الزمان، ولا عزوا ولا كثروا
هم يفرحون بدنيا لا بقاء لها ... فليفرحوا اليوم، والمأوى غدًا سقر
وليهننا نحن بيت طاب زمزمه ... فيه المقام، وفيه الحِجر والحَجر
وحكمة من كتاب الله، أو أثر ... عن الرسول، كجنات بها ثمر
نظل نقطف منها كل فاكهة ... من المعاني التي ألفاظها درر
ونطرب السمع بالقرآن نقرؤه ... فيه الشفاء وفيه النور والعبر
جليسنا الله إذ ندعوا ونذكره ... نعم الجليس، ونعم المجلس العطر
إن يسكر الناس بالدنيا وزخرفها ... فنحن قوم بحب الله قد سكروا
يا صاحب (الهُدْى) إن العمى قد كثروا ... وأنكروا الشمس؛ لا عقل ولا بصر
فاصبر عليهم، ولا يحزنك كفرهم ... عما قريب يجازي الكاذب الأشر
وعامل الله في سر وفي علن ... تلق الجزاء لديه ليس ينحصر
ووال في الله من والاك محتسبًا ... وعادِ من بصفات الله قد كفروا
وإن رأيت كلاب الشرك نابحة ... فلا تعرها التفاتا؛ إنها قذر
واصبر على الحق صبرًا لا يخالطه ... عتب على أحد، كلا ولا ضجر
الحق أبقى على كيد الكثير له ... وضده زاهق؛ والحق منتصر

لا يخدعنك من قوم ظواهرهم فكم خدعنا، وغرتنا لهم صور
تراهم كبني الإنسان إن نطقوا وهم لعمري إذا حققتهم بقر
لا تعتبن على الأيام إن رفعت أسافلا وأذلت من لهم خطر
لا تشكوَنْ لغير الله نازلة إن الشكاة لغير الله تحتقر
نشكوا إلى الله، لا للخلق غربتنا بين الأنام، ودين الله محتضر
بدا غريبًا، وعادت بعد غربته كما أتى صادقا في ذلك الخبر
كم ادعاه أناس ليس عندهم إلا أماني، لا يقضي بها وطر
فإن سألتُ: أروني الدين، ويحكم أأمره نافذ، والحكم معتبر؟
أما المساجد فالأوثان قبلتها وإن خلا مسجد منها فمندثر
أما المحاكم فالأحكام قد بطلت إلا قضايا النسا، والحكم منحصر
أما المدارس والتعليم وا أسفا فقد خلت منه، لا عين ولا أثر
جاس.. خلال الدور، واحتكموا في المال والعرض والأرواح قد أسروا
والدود يأكل حرثًا، وهو غالبهم وكم أرادوا امتناعا منه لو قدروا
فأين أين الأُلى يدعون، هل نفعوا؟ وهل أجابوا صريخ القوم وانتصروا؟
ياويلهم من عذاب الله إذ عبدوا غير الإله، وللأصنام قد نذروا
أخزاهم الله في الدنيا، وعذبهم بكل شيء فما تابوا وما اعتبروا
لم يخجلوا قط يومًا من جهالتهم ولو أحسوا بما هم فيه لانتحروا
يا غربة الدين من أهل ومن وطن دمعي عليك من الأحزان منهمر

كيف ذُلَّ المسلمون؟!(١)

هذا عنوان رسالة كتبها الأستاذ العلامة صديقنا وأخونا في الله الشيخ عبد الله القصيمي النجدي، فألفيتها رسالة قيمة حرية بالتقدير. غير أني وجدت فيها أشياء أنكرها قلبي، ولم أرد أن أسكت عليها حتى أبين للأخ القصيمي لعله أن يقنع به فيصلحه في الطبعة الثانية، وإلا فهو معذور فيما يراه كما أنا معذور فيما أرى.

استعرض الأستاذ أقوال الناس في تأخر المسلمين قولًا قولًا وفندها، ولم يرض واحدًا منها، وقد كانت النفس مشوقة تواقة إلى سماع السبب الصحيح لتأخر المسلمين من الأستاذ عقب رفضه ما استعرضه من أبحاث الباحثين في ذلك، فلم تظفر – مع الأسف – بكلمة منه تشفي الغليل، وتهدي سواء السبيل. بل ترك الموضوع وتكلم على قضية التأخر وأنه لا يصح السكوت عنها، ولا الصبر عليها إلخ.

حقائق مقدمة إلى كل رجل في هذه الأمة

هذا عنوان الفصل الأول من هذه الرسالة، وقد تكلم الأستاذ على العقيدة الفاسدة وضررها بالأمة؛ وأنكر على ملحد زنديق يزعم أن شيوع العقائد المنكرة الزائفة في الأمة من أسباب نهوضها – إلى أن قال: – فعقيدة الأمة بلا ريب هي المسيطرة على كل آثارها وأعمالها في الحياة – وهذا حق – ولكنه في الخلاصة ص ١١٤ نسى ما قرره أولًا، واعترض قول الذين قالوا: «إن المسلمين تأخروا لأنهم بعدوا عن دينهم وأهملوه».

---

(١) صحيفة الهدي النبوي، العدد (ربيع الثاني)، في ١٣٦٦هـ.

ثم أورد اعتراضًا على هذا القول فقال: «ولكن يبقى على هذا سؤال وهو: لماذا تأخر المسلمون حين أهملوا دينهم وتركوا العمل به؛ ولم يتأخر غيرهم لما فعلوا ذلك بدينهم؟ قال: وهذا سؤال ولا شك صحيح ظاهر وعلل ذلك بقوله – ولم يوفق فيه –: لأن التقدم في الحياة لا يلزم أن يكون قائمًا على الدين والتقوى – تأمل – ولا يلزم لا في حكمة الله ولا في دينه، ولا في سننه المشهودة المنظورة أن يكون المتقدم أو الغالب في الدنيا أتقى وأقرب إلى الله من المتأخر المغلوب. ا هـ.

قلت: لو قال الأستاذ في تعليله: إنما تقدم غير المسلمين بتركهم دينهم، وتأخر المسلمون بتركهم دينهم، لأن دين الإسلام حق وغيره هو الباطل، فلما ترك المسلمون الحق وقعوا في الباطل والباطل زاهق مغلوب ولما ترك النصارى وغيرهم دينهم الباطل الذي يعارض الحق تقدموا.

أن دين الإسلام ليس كالأديان الأخرى، فهو دين السيادة والعزة، دين ليس كالأديان الأخرى التي كانت قاصرة على الأمر بالعبادة والتقوى والزهد في الدنيا والورع وما إلى ذلك، وهذه بقاياها في الكتب المحرفة يستطيع المفكر البصير أن يستشف منها حقيقة تلك الأديان. أما الدين الإسلامي فهو عقيدة تسيطر على الأعمال الظاهرة والباطنة، وهو مع كونه يأمر بالعبادة والتقوى؛ قد انتظمت أوامره الحركات والسكنات، ودخل مع المرء بينه وبين نفسه؛ وبينه وبين امرأته وعشيرته في أموره الشخصية والمنزلية والفردية والاجتماعية والأدبية، وفي كل شأن من شيءون الحياة، وضمن السيادة والعزة والمجد لكل من استمسك بعروته الوثقى وعمل به، وسار على صراطه المستقيم ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥] الآية. فهل

معنى هذا إلا السيادة والمجد؟ وهل معنى الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها إلا ذلك؟.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] فما معنى العزة إذا لم يكن للمؤمن النقي: السيادة والخلافة في الأرض؟ ولو كان ثَم مؤمنون على ما ينبغي أو كما يصف الله في كتابه ولو كانوا عددًا قليلًا لأنجز الله لهم وعده بالنصر والعزة والسيادة؛ ولكان من مقتضيات إيمانهم وتقواهم أن يشاركوا في العلوم الدنيوية التي يغلبون بها أعداءهم ولهداهم الله إلى كنوز الطبيعة وسنن الكون حتى يبزوا عدوهم، وحتى يأتوا بما لم يطق أعداؤهم من الكفار الإتيان به.

فالغربيون تركوا دينهم فتقدموا، وذلك لأن دينهم باطل يعارض العلوم الكونية والمعارف الإنسانية، والفنون الدنيوية، ويقف في سبيلها حجر عثرة سدًّا منيعًا.

والمسلمون تركوا دينهم فتأخروا فالفرق بين التركين عظيم، كالفرق بين الحق والباطل والعلم والجهل، والعدل والجور.

وليست التقوى كما يفهم الأستاذ خاصة بالعبادة، ولكنها تفسر في كل مكان بحسبه، فتأتي في الجهاد كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وكقوله في آية الدين والكتابة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢] إلى قوله: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وكقوله في آية الإشهاد والكتابة أيضًا: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] والآيات في ذلك كثيرة تبين أن التقوى في كل شيء بما يناسبه.

وهذا التقدم والغلب الذي نراه في أمم الغرب لا ريب أنه جار على سنن

الله في الخلق، ولا ريب أن أسبابه من دين الله الحق وسننه الكونية التي لا تتبدل، والتي من أخذ بها تقدم، ومن تركها تأخر. يقول الله تعالى آمرًا بالجهاد في سبيله؛ مرغبًا في ذلك غاية الترغيب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١] فبدأ بالإيمان به وبرسوله ثم عطف على ذلك الجهاد في سبيله فلو أن المسلمين رجعوا إلى دينهم، وعملوا بأوامر ربهم، لرأيت التقدم الحق والسيادة الرحيمة العادلة.

نعم تقدم الغرب في الحضارة الدنيوية؛ وتقدموا في الاختراعات وعمل الأسلحة المهلكة المبيدة لبني الإنسان، ولكن هل تقدموا في خلق حسن أو دين قويم، أو رحمة وعدالة، كلا. بل هم والله أقرب إلى الوحشية من الإنسانية.

ومن العجائب قول الأستاذ القصيمي هداه الله: «وهنا يضل كثيرون من المسلمين – ومن علمائهم خاصة – تأمل! فيظنوا أن المسلمين لا يمكن أن يعزوا في الحياة، ولا أن يتقدموا ويتغلبوا على أعدائهم وظالميهم؛ ولا أن يستردوا استقلالهم ما داموا مخالفين لأوامر الله، هائمين في أودية معاصيه مهما أخذوا بأسباب التقدم والعلو والملك».

وردنا على هذه الجملة أن نقول مقررين ما قاله الكثيرون من المسلمين ومن علمائهم خاصة. ولسنا نقرره بالهوى بل بالأدلة التي لا يمكن نقضها:

أولها: – ما قرره الأستاذ القصيمي نفسه أول رسالته في فصل (حقائق مقدمة) ورده على زكي مبارك، وكلامه في البدع وضررها في الأخلاق والأنفس والأموال والأديان فالشيخ يناقض نفسه بنفسه، وسبحان من لا ينسى.

ثانيها: أن الله تعالى ما أهلك أمة ولا عذبها وأبادها بأنواع العذاب ولا أذلها وسلب ملكها ومجدها؛ وسلط عليها عدوها، ألا بعصيانها، والآيات على ذلك كثيرة. قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الطلاق: ٨-١٠] وتأمل أمره بالتقوى هنا.

وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج: ٤٥]، وقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٤٨]، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦] ويظهر أن الأخ القصيمي هاجر لتلاوة القرآن، مكتف بعقله، وإلا فماذا يقول في هذه الآيات وأمثالها؟

وقولهم: أنهم - أي: المسلمين - لا يمكن أن يعزوا ... و...و...ما داموا مخالفين لأوامر الله مهما أخذوا بأسباب التقدم والعلو. إلخ - هذه الجملة غير مقبولة، وذلك أنهم ما داموا مخالفين لأوامر الله لا يهتدون إلى أسباب التقدم والغلب فكيف يقال: مهما أخذوا بأسباب التقدم، وهو محال كالجمع بين النقيضين، بل هو الجمع بين النقيضين بعينه. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فهذه الجملة لا محل لها إذًا وهم لا يأخذون بأسباب التقدم والغلب إلا إذا تابوا إلى الله، ورجعوا إلى دينه.

ولا يقال لنا إن المتقدمين من الغرب ما تابوا إلى الله ولا رجعوا إلى دينه فكيف تقدموا فإنا نقول لهم ما قلنا أولًا: أنهم تركوا باطل دينهم وأخذوا ببعض دين الإسلام فتقدموا هذا التقدم الناقص، ولو أنهم أخذوا بدين

الإسلام كله لأصبحوا أرقى بني الإنسان وأكمل تقدمًا ورقيًا، فهم في هذا التقدم كالأسود والسباع الأخرى كالنمور، والأمم الأخرى المتأخرة كالحيوانا الضعيفة الدجاج والأنعام ونحوها من البهائم المسخرة للإنسان.

وجملة القول أنه لا عز ولا سيادة للمسلمين إلا إذا تابوا ورجعوا إلى ديتهم وغرضنا بالسيادة التامة والعز الصحيح – وعلى كل فكل عز وسؤدد فلا ينال إلا بأسباب صحيحة؛ وهذه الأسباب كلها في دين الله ينال الناس من مسبباتها بقدر ما يأخذون منها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقول الأستاذ القصيمي (ص ١١٥) عقب جملته التي تكلمنا عليها «ثم يرتكبون خطأ آخر ويضيفون إلى هذه الضلالة ضلالة أخرى، فيزعمون أن عباد الله الأتقياء والمسلمون إذا صاروا أتقياء لابد من أن يعزوا وأن يتغلبوا على أعدائهم على كل حال.

قال حضرته: وقد سمعنا هذه الأخطاء من كثيرين وجادلناهم فيها فأصروا عليها والشطران من هذا الكلام باطلان كلاهما». اهـ.

قلت: وهذا أعجب وأغرب إذ يعد الأستاذ نيل العز والغلب بتقوى الله ضلالة فياليت شعري ما هي أسباب العز والغلب عند الأستاذ؟ فإن قال أن تعد للحياة أهبتها وعدتها وسلاحها، قلنا: وهذا من التقوى، فماذا ينكر؟ لقد أُتى الأستاذ من جهة قصر التقوى على بعض معانيها، والتقوى في الحقيقة أعم كما قدمنا.

أن من التقوى يا أستاذ أن يتعلم المسلمون علوم الكون وسننه من الكيمياء والطبيعة، والهندسة الميكانيكية، وغيرها حتى يستطيعوا عمل المدافع بأنواعها؛ والطيارات والدبابات؛ وواجب على المسلمين أن يعملوا الحصون وغيرها؛ ويعدوا ما استطاعوا من قوة؛ وهذا لا يمكنهم إلا إذا

صححوا عقيدتهم وتركوا أوثانهم، وإلا فسيدوم الخزي عليهم والذل ما دموا يعبدون الأوثان. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقصارى القول أن الأستاذ أخطأ خطأ بينًا فليرجع إلى الحق.

ومما يؤخذ على الأستاذ القصيمي أنه عزا تأخر المسلمين إلى كتبهم حتى كتب التفسير والحديث، ولم يستثن شيئًا منها، وهذا خطأ بين وحكم جائر قاس؛ بل في مكاتب المسلمين في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية من الكتب العلمية والدينية والفنية ما نفاخر به مكاتب الغرب؛ بل في الغرب من هذه الكتب ما عرف فضله المستشرقون واستفادوا منه، وأفادوا شعوبهم، نعم يوجد من بين هذه الكتب الكثيرة كتب كما وصفها الأستاذ القصيمي ولكن ينبغي أن يكون الحاكم قائمًا بالقسط وبعد فقد كاد الباحثون يجمعون على أسباب تأخر المسلمين والأمراض التي قعدت بهم عن اللحاق بأسلافهم الأمجاد ولكن لم نر من وصف العلاج الشافي منها وصفًا صحيحًا ومن السهل أن يقول قائل أن العلاج هو الرجوع إلى الدين والأخذ بما فيه من أسباب السيادة، ولكن من الذي يأطر هؤلاء الشعوب المتفرقة والأمم المختلفة على هذا الدين القويم وعقيدته الخالصة. هذا ما أريد بحثه وتحقيقه والله الموفق.

* * *

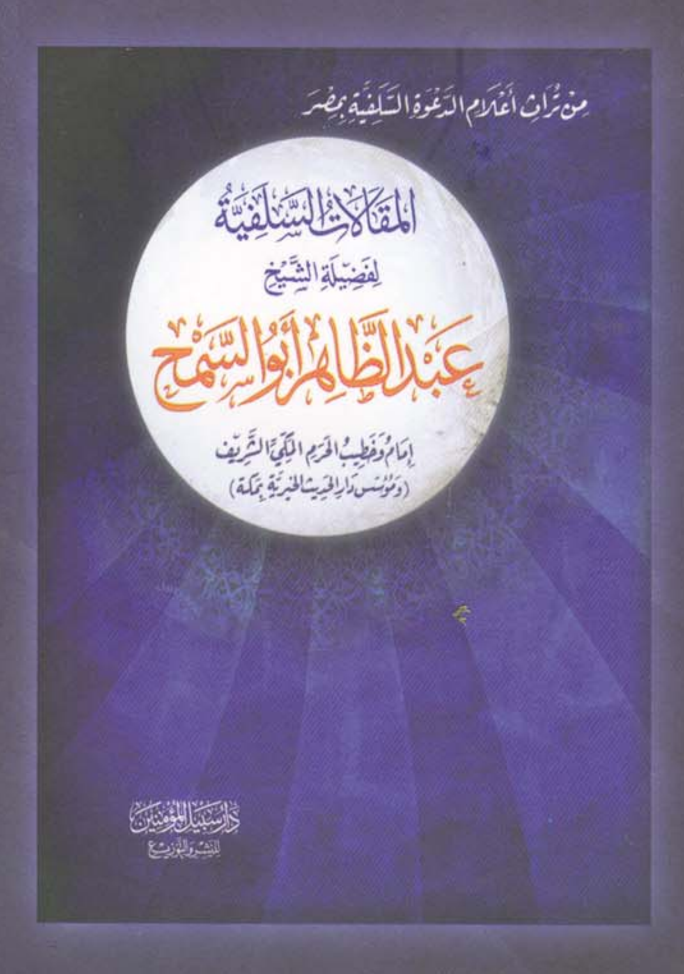


فهرس الموضوعات

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com







عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال / ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩
www.darsabilelmomnen.com
E-mail: Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com